

الْقِيَامُ

مَشَاهِدَهَا وَعِظَاتُهَا
فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

الدكتور محمد أزيب صالح

المجلد الثالث

الكتب الإسلامية

الْقِيَامُ

مَشَاهِدُهَا وَعِظَاتُهَا

فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ



الدكتور محمد أزيب صالح

الْقِيَامُ

مَشَاهِدَهَا وَعِظَلَاتُهَا
فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

المجلد الثالث

المكتب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

المكتبة الإسلامية

بيروت : ص.ب. : ١١/٣٧٧١ - بريقا، اسلاميا - تلكن : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب. : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١٦٣٧
عُمان : ص.ب. : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

فلم أرَ كاليوم في الخير والشر

القراءة المتبصرة للهدي النبوي من قبل المؤمن - وهو يرتحل في تلك الرياض النضرة من حديث رسول الله ﷺ - عنوان خيرية يغبط عليها ويغبط : وعلى الأخص ما يكون من النظرات الإيمانية الواعية فيما جاء عنه عليه الصلاة والسلام - وهو المبين لكتاب الله - في شأن يوم القيامة والحصاد الذي يكون هناك ؛ فإما جنات تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلُّها ، وإما عذاب السَّعِير في نار الجحيم .

وليس بخاف أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، عندما يخبر عما يكون في يوم الفصل الذي جعله الله ميقاتاً يجمع فيه الأولين والآخرين ، فإنما يبلغ ما أمر به من ذلك ، توثيقاً للعلاقة بين العمل في الدنيا وبين المسؤولية يوم الحساب ؛ ولهذه الحقيقة ما لها من انعكاس على انتظام شؤون الحياة ، واستقامة التعامل بين الإنسان والكون ، وبين الإنسان والإنسان ، على المنهج الذي يرضي الله تبارك وتعالى ، ويحقق الخير والعدل ويؤدي - بفضل الله ورحمته - إلى سعادة الدنيا والآخرة ؛ وسيد العالمين صلوات الله وسلامه عليه ، لم ين يؤدي حق الله في البلاغ والتعليم والتربية على ما يبلغ ويعلم ، حتى لقي الله مستكملاً ما أوجب الله عليه في ذلك ، على خير وجه .

وكان من ثمرات ذلك ، ما رأت الإنسانية من خصائص الجيل الفريد جيل الصحابة رضي الله عنهم ، ثم من تبعهم بإحسان إلى يوم الناس هذا - وحتى يرث الله الأرض ومن عليها - من النظرة المتكاملة إلى الدنيا والآخرة جميعاً ، والسلوك الأمثل وفق ما تقتضيه حقيقة أن الدنيا هي الدار العاجلة الفانية متاع الغرور ، وأن الآخرة هي الدار الآجلة الباقية : وهي الحياة الحقيقية لو كان الناس يعلمون . أخرج الإمام البخاري في كتاب الاعتصام من الجامع الصحيح بسنده عن أنس

رضي الله عنه « أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلّى الظهر ، فلما سلم ، قام على المنبر ، فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظماً ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا . قال أنس فأكثر الناس البكاء ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلوني : قال أنس : فقام إليه رجل فقال : أين مُدخلي يا رسول الله ؟ قال : النار . فقام عبدالله بن حذافة ، فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال : أبوك حذافة . قال : ثم أكثر أن يقول : سلوني سلوني ، فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً . قال : فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : أولى ، والذي نفسي بيده ، لقد عرضت عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط ، وأنا أصلي ، فلم أر كهذا اليوم في الخير والشر . »

هكذا خرج رسول الله ﷺ حين زالت الشمس ، فصلّى الظهر في أول وقتها ، ثم قام إلى المنبر بعد أن سلّم من الصلاة ؛ وذلك لما بلغه - كما يقول العلماء - أن قوماً من المنافقين يسألون منه للتعجيز - على زعمهم - عن بعض ما يسألونه . وقد أثار كلامه ﷺ مشاعر الإيمان والخشية في الناس ، فأكثروا من البكاء . ولأبي ذر عند الكُشميهيّني « فأكثر الأنصار البكاء » وذلك خوفاً مما سمعوه عن أهوال القيامة أو من نزول العذاب العام للمعهود في الأمم السالفة - كما يقول القسطلاني - عند ردهم على أنبيائهم ، بسبب تغيبه صلوات الله وسلامه عليه من مقالة المنافقين السابقة آنفاً .

أما عن الرجل الذي قال : أين مُدخلي يا رسول الله ؟ فقال : « النار » فقد جاء في فتح الباري للحافظ ابن حجر قوله : (ولم أقف على اسم هذا الرجل في شيء من الطرق ، كأنهم أبهموه عمداً للستر عليه) وكذلك قال القسطلاني . قال الحافظ : وللطبراني من حديث أبي فراس الأسلمي نحوه وزاد « وسأله رجل في الجنة أنا ؟ قال : في الجنة » ولم أقف على اسم هذا الآخر . وقوله ﷺ : « أولى »

يعني أولاً ترضون ، يعني رضيتم أو لا وفي رواية « أولي لكم » أي قرب منكم ما تكرهون قال ابن الأثير : وهي كلمة تلُفُّ ، يقولها الرجل إذا أفلت من عظمة . وقيل : هي كلمة تهدد ووعيد .

والملاحظ أن النبي عليه الصلاة والسلام ، كان حريصاً على الكشف عن أن النار حق ، وأن الجنة حق ، وتبنيه المسلمين على ما يكون في الجنة من الخير ، وفي النار من الشر ؛ ذلكم قوله صلوات الله وسلامه عليه : « والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً فلم أر كاليوم في الخير والشر » أي لم أبصر يوماً مثل هذا اليوم في الخير الذي رأيته في جنة الخلد ، والشر الذي رأيته في نار الحجيم ؛ قال هذا وهو يتحدث عنهما كأنهما رأي عين .

ولكم تبدو هذه الكلمات الهادية عميقة ومؤثرة ، على ساحة ما يجب من استشعار صادقٍ لأحقية يوم اللقاء ، وما أعدَّ الله فيه للمؤمنين الذين يعملون الصالحات - وهو خير كله - وما أعدَّ للكافرين الظالمين الذين جاهدوا الله بالعداوة وظلموا أنفسهم والعباد - وهو شر كله - .. وما يستتبع ذلك من وجوب الاستقامة ، ومداومة العمل خوفاً من عذاب الله ، وطمعاً في رحمته . وحين يأخذ المؤمن نفسه بهذا المنهج الرشيد ، يكون على الجادة في أمور دنياه وآخرته ، ويكون - بفضل الله - من الفائزين يوم الدين ، لأن من تمثَّل الجنة والنار بين عينيه ، كان ذلك باعثاً له على المواظبة على الطاعة - بأوسع معانيها - في كل شأن من شؤونه ، والانكفاف عن المعصية وكل ما هو منها بسبب ، وذلكم طريق الفلاح والنجاح .

وفي بعض روايات الحديث ما يزيد هذه الحقيقة وضوحاً ، يبلغ بها أعماق النفس عند المؤمن ؛ وفي ذلك ما فيه من الخير .. قال الإمام البخاري : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال : حدثنا محمد بن فُليح قال : حدثني أبي عن هلال بن علي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعته يقول : إن رسول الله ﷺ صلى لنا يوماً الصلاة ، ثم رقي المنبر ، فأشار بيده قبْل قبلة المسجد فقال : قد أريت الآن -

منذ صليت لكم الصلاة - الجنة والنار ممثلتين في قُبُل هذا الجدار ، فلم أر كالיום في الخير والشر . وقال في « باب التعوذ من الفتن » من كتاب الفتن : حدثنا معاذ ابن فضالة قال : حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : سألو النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ، فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال : لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم ، فجعلت أنظر يمينا وشمالاً فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي .. إلى أن قال : ثم أنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد رسولاً نعوذ بالله من سوء الفتن ، فقال النبي ﷺ : « ما رأيت في الخير والشر كالיום قط إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط » قال قتادة : يذكر هذا الحديث عند هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ . وقال عباس النرسبي : حدثنا - يزيد بن زريع قال : حدثنا قتادة أن أنساً حدثهم « أن نبي الله ﷺ حدثهم بهذا وقال : كل رجل لافاً رأسه في ثوبه يبكي ، وقال : عائذاً بالله من سوء الفتن ، أو قال : أعوذ بالله من سَوَأى الفتن » .

إنهم رضي الله عنهم ييكون خوفاً من الفتن في الدنيا ، وخوفاً من عذاب الله في الآخرة . وقد كان لذلك ماله من الأثر في حياتهم التي اصطبغت بالجدية في الاستعداد ليوم المعاد ، وتجويد العمل بإخلاص لله عز وجل ، كيما يكون حظ الواحد منهم في الآخرة ، جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله نُزْلاً لأحبابه المتقين . والحديث رواه أيضاً مسلم وأحمد وغيرهما .

لضحكتكم قليلاً... ولبكيتكم كثيراً

يتقضى الليل والنهار ، ويتابع الإنسان رحلته مع الحياة إلى أجله المضروب ؛ وفي بُحْران هذه الرحلة التي يتشابك فيها الرغب والرهب ، واليقظة والغفلة ، ضمن مطالب الدنيا ومطالب الآخرة . تتجدد الحاجة أبداً دونما انقطاع إلى تنمية الحوافز التي ترتفع بالمؤمن إلى جو النقاء والصفاء ، ذاك الذي لا يكدره الاغترار بزخرف العاجلة الفانية ، ولا الركون إلى الظلم والظالمين ، والغفلة والغافلين .

إنه جو التطلع إلى الجنة مهما غلا الثمن ، والاستعلاء على المعوقات التي تهبط بمن يذعن للباطل وأهله - من شياطين الإنس والجن - إلى المستوى الذي يتجافى عن طريق طلاب الآخرة ، أولئك الذين صحبهم التوفيق ، فتراهم لا يرضون بمرضاة الله بدلاً ، ولا يبتغون عن دار كرامته في الآخرين حولاً . وإذا ذكرت هذه الحقائق : ذكرت معها القاعدة الصلبة التي يقوم عليها البناء على ساحة الفكر والسلوك ، ومن معالم هذه القاعدة المباركة - بعد الإيمان بالله - التصديق الجازم بيوم المعاد ، وما يلقاه العباد فيه ثمرة ما كسبوا واكتسبوا ، حيث يقترب الوعد الحق ، ويكشف عن الإنسان الغطاء ، فإذا بصره يومذاك حديد ، وإذا جنات عدن قد أزلفت للمتقين ، وإذا الجحيم قد برزت للغاوين .

ومنذا الذي خالط الحقيقة ، أو بعضاً منها في ثنايا حديث النبي عليه الصلاة والسلام - المؤمن على بيان القرآن - بنفاذ بصيرة واستنارة عقل ورقة قلب ، ولا يبصر تلك المعالم الهادية التي ترخر بها الأخبار الصادقة عن اليوم الآخر ، وما يكون في عرصات القيامة ، وما يؤول إليه أمر الخلق بعدها ، والتي تقود من آمن بها وتمسك بمقتضاها - كما وعد ربنا - إلى خير مستقر وأحسن مقيلاً ؟! ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾ .

وقد أوردت من قريب بعضاً مما رواه الإمام البخاري من هديه عليه الصلاة والسلام على ساحة التوجيه إلى تلك المعالم ، حيث أحقية وجود الجنة والنار ، وارتقاء الصحابة رضوان الله عليهم إلى مستوى الانفعال الصادق بذلك البيان ، والتأثر البالغ النافع الذي تبدو هيمنته على السلوك في خشية الله تعالى ، ودموع حرى تذرفها العيون ، خوفاً من سوء العاقبة ، وأن لا تكون الجنة هي المأوى .

وتقتضينا الرحلة المباركة، اصطحاب روايات أخر عند مسلم وغيره ، تؤكد ما ينفع تأكيده ، وتنير السبيل أكثر وأكثر للصادقين في طلب الفوز الكبير يوم الدين . قال الإمام مسلم : حدثنا محمود بن غيلان ومحمد بن قدامة السَّلَمِيُّ ويحيى بن محمد اللؤلؤي - وألفاظهم متقاربة - قال محمد : حدثنا النضر بن شميل وقال الآخران : أخبرنا النضر قال : أخبرنا شعبة قال : حدثنا موسى بن أنس عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب فقال : «عُرِضَتْ علي الجنة والنار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قال : فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منه ، قال . غَطُّوا رؤوسهم وهم خنين . قال : فقام عمر فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . قال : فقام ذلك الرجل فقال : من أبي ؟ قال : أبوك فلان ، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ .

هكذا اشتد الأمر على أصحاب رسول الله ﷺ بعد قوله عليه الصلاة والسلام : «عرضت علي الجنة والنار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، فما أتى عليهم يوم أشد منه ؛ ولذلك كان تأثرهم بالغاً ، فغطُّوا رؤوسهم وهم خنين » لقد فهموا أن سيد العالمين ، الرحمة المهداة ، جزاه الله عن الأمة ما هو أهله ، لم ير خيراً أكثر مما رآه ذلك اليوم في الجنة ، ولا رأى شراً أكثر مما رآه اليوم نفسه في النار ، يقول : ولو رأيتم ما رأيتم وعلمتم ما علمت ، مما رأيته اليوم وقبل اليوم ، لأشفقتم - كما يقول الإمام النووي - إشفاقاً بليغاً ، ولقلَّ ضحككم وكثر بكاؤكم . وسرعان ما كان التأثر البالغ - كما ألمحنا -

إشفاقاً من عذاب الجحيم ، وانهمرت دموعهم من شدة البكاء ، وغطوا رؤوسهم أدباً مع الله ومع رسوله ولهم خنين .

وقد وردت هذه اللفظة بالخاء والحاء . فالخنين - بالخاء - صوت البكاء ، وهو نوع من البكاء دون الانتحاب ، قالوا : وأصل الخنين : خروج الصوت من الأنف كالحنين بالخاء من الفم ونقل الإمام النووي عن الخليل قوله : هو صوت فيه غنة كما أشرت من قبل . وقال الأصمعي : إذا تردد بكأؤه فصار في صوته غنة فهو خنين ، وقال أبو زيد : الخنين مثل الحنين وهو شديد البكاء .

ولمسلم في رواية أخرى بسنده عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج حين زالت الشمس فصلّى لهم صلاة الظهر ، فلما سلّم قام على المنبر ، فذكر الساعة ، وذكر أن قبلها أموراً عظيماً ، ثم قال : من أحب أن يسألني عن شيء فليسألني عنه ، فوالله لا تسألونني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا . قال أنس بن مالك : فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ إلى أن قال : فلما أكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلوني ، برك عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، قال : فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك . ثم قال رسول الله ﷺ : أولى ، والذي نفس محمد بيده لقد عرضت عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كالיום في الخير والشر .

وقول النبي ﷺ أولى : أي أو لا ترضون ، رضيتم أو لا - كما مر سابقاً - وعلى أية حال هي - كما يقول العلماء - للتهديد والوعيد وقيل : كلمة تلهف : فعلى هذا يستعملها من نجا من أمر عظيم ، والصحيح المشهور أنها للتهديد والوعيد ومعناها قرب منكم ما تكرهونه ومنه قوله تعالى : ﴿ أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى ﴾ أي قاربك ما تكره فاحذره ، مأخوذ من الولي وهو القرب . ومعنى آنفاً : قريباً الساعة ... وعرض الحائط : جانبه .

وليس خفياً أن المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه ، لم يدع عذراً لمعتذر
بعد هذا البيان الشافي ، وما على المؤمن المصدق بما جاء به من لا ينطق عن الهوى ،
إلا أن يحزم أمره في طاعة الله وطلب رضوانه ؛ عبادة وعملاً وجهاداً ، على هدي
العلم النافع والإخلاص لله عز وجل ، وأن يتجنب مواطن الزلل وصحبة الغافلين ،
لكيلا يكون ممن تسقر بهم لظى يوم القيامة ، ويقال لهم : ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

مخافة أن يصيبني من لفحها

من الحقائق الناصعة التي تتأكد وتزداد وضوحاً ، كلما طال اصطحاب المرء لنصوص السنة من حديث رسول الله ﷺ ، كما يتضاعف إحساس المؤمن بموقعها على ساحة الهدى النبوي في بيان الفرقان الحكيم ؛ تربية وتعليماً : أنه صلوات الله وسلامه عليه ، قد ترك الأمة في كل ما أوتمن على تبليغه وبيانه .. على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . لقد أدى - فداه أبي وأمي - الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

ومن هذا الباب : كشفه ﷺ عما أطلعه الله عليه من الغيب ، وعما يكون في الآخرة من مشاهد يوم الدين ، وما يزره به من الأمور الجسام ، والجنة وما فيها ، وأحوال أهلها ، والنار وما فيها ، وأحوال أهلها . ولقد وقفتنا من قريب أحاديث أخرجه الإمام البخاري ، وأحاديث أخرجه الإمام مسلم تنص على أن النبي ﷺ قال في واحدة من خطبه بعد أن صلى للناس الظهر : « لقد عُرضت علي الجنة والنار آنفاً في عُرض هذا الحائط ولم أر كاليوم في الخير والشر » .

وفي متابعة لاصطحاب النصوص والاستنارة بهديها ، نقع على ما يزيد من جلاء هذه الحقيقة ، وينمي في نفس المؤمن - إن شاء الله - بواعث العمل ، بكل ما يقربه إلى الله زلفى ، ويصل به إلى أن يكون من أهل السعادة في جنة النعيم خالداً فيها مع الخالدين .. أخرج مسلم وأبو داود والنسائي - واللفظ لمسلم - قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عبدالله بن نمي وحدثنا محمد بن عبدالله ابن نمير - وتقاربا في اللفظ - قال : حدثنا أبي قال : حدثنا عبدالملك عن عطاء عن جابر رضي الله عنه قال : « انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال الناس : إنما انكسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقام النبي ﷺ فصلّى بالناس ست ركعات بأربع سجعات ، بدأ فكبر ، ثم قرأ فأطال القراءة ، ثم ركع

نحواً مما قام ثم رفع رأسه من الركوع ، فقرأ قراءة دون القراءة الأولى ، ثم ركع نحواً مما قام ، ثم رفع رأسه من الركوع فقرأ قراءة دون القراءة الثانية ، ثم ركع نحواً مما قام ، ثم رفع رأسه من الركوع ، ثم انحدر بالسجود ، فسجد سجدتين ، ثم قام فركع أيضاً ثلاث ركعات ليس ركعة إلا التي قبلها أطول من التي بعدها وركوعه نحواً من سجوده ، ثم تأخر وتأخرت الصفوف خلفه حتى انتهينا . وقال أبو بكر : حتى انتهى إلى النساء ثم تقدم وتقدم الناس معه ، حتى قام في مقامه ، فانصرف حين انصرف - وقد آضت الشمس - فقال : يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس - وقال أبو بكر : لموت بشر - ، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فصلوا حتى تنجلي . ما من شيء توعدون إلا قد رأيته في صلاتي هذه ، لقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجرُّ قُصْبَه في النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجني ، وإن غُفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خَشَاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، ثم جيء بالجنة - وذلكم حين رأيتموني تقدمت - حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا أفعل ، فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه .

آضت الشمس : رجعت إلى حالتها قبل الكسوف وهو من آض يبيض إذا رجع ومنه قولهم : أيضاً وهو مصدر منه . وقوله ﷺ : « مخافة أن يصيبني من لفحها » أي من ضرب لهبها وهو حرُّها ووهجها والعياذ بالله . ومنه قوله تعالى : ﴿ تَلْفَحْ وُجُوهَهُم النَّارُ ﴾ أي من يضر بهم فيها قالوا : والنفح دون اللفح قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ أي أدنى شيء منه ، قاله الهروي وغيره .

هكذا نجد أنه ﷺ رأى في جهنم أناساً بأعيانهم تردوا في ظلماتها بسيء أعمالهم ؛ فرأى صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج بمحجنه يجرُّ قُصْبَه في النار . قال ابن الأثير : المحجن : الصولجان وليس به ، وفُسِّرَ النووي بالعصا

المغففة الطرف . يجر قُصْبته : القُصْب : واحد الأقصاب وهي الأمعاء . كما رأى عليه الصلاة والسلام تلك المرأة التي ظلمت القطة بحبسها عن الطعام ، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . خشاش الأرض : حشرات الأرض وهوائها .

وقد روى الحديث أبو داود مختصراً ، وجاء في رواية النسائي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه - بعد الكلام على صلاة الكسوف - ثم انصرف - يعني النبي عليه الصلاة والسلام - وقد تجلت الشمس فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله عز وجل ، قالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكت - يعني تأخرت - قال : إني رأيت الجنة أو أريت الجنة ، فتناولت منها عنقوداً ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كالיום منظراً قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : لم يا رسول الله بكفرهن ، قيل : يكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط . »

وقال النسائي أيضاً : أخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن المسور الزهري قال : حدثنا غُندَرُ عن شعبة عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو قال : « كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع فأطال - قال شعبة : وأحسبه قال في السجود نحو ذلك - وجعل يبكي في سجوده وينفخ ويقول رب لم تعدني هذا وأنا أستغفرك لم تعدني هذا وأنا فيهم ؛ فلما صلى قال : عُرضت عليّ الجنة حتى لو مددت يدي تناولت من قطوفها وعُرضت علي النار فجعلت أنفخ خشية أن يغشاكم حرّها ورأيت فيها سارق بدّنتني رسول الله ﷺ ورأيت فيها أخا بني دُعْدُع سارق الحجيج فإذا فُطِن له قال هذا عمل المحجن ورأيت فيها امرأة طويلة سوداء تعذب في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش

الأرض حتى ماتت ، وإن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا انكسفت إحداهما - أو قال فعل أحدهما شيئاً من ذلك - فاسعوا إلى ذكر الله عز وجل .»

قال ابن بطال : لم يأخذ العنقود رسول الله ﷺ لأنه من طعام أهل الجنة وهو لا يفنى ، والدنيا فانية ، لا يجوز أن يؤكل فيها مالا يفنى ، وقيل : لأنه لو رآه الناس لكان إيمانهم بالشهادة لا بالغيب ، فيخشى أن يقع رفع التوبة ، فلا ينفع نفساً إيمانها ، وقيل لأن الجنة جزاء الأعمال والجزاء بها لا يقع إلا في الآخرة .

ومهما يكن من أمر : فالأصل الطمأنينة العميقة بالخبر الصادق ، وقف المؤمن على العلة أم لم يقف ؛ ولا بد من ملاحظة أن هذا البيان من رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، أمانة في أعناق المسلمين حتى قيام الساعة ، وانتفاع الصحابة رضي الله عنهم به ، في رحلة كل منهم مع سيئه التي عُمِّرها وهو يخوض معركة الحياة ، مدعاة لأن يعمل المسلم جاهداً في أن يكون على مستوى الانتفاع أيضاً بصنيعهم عليهم الرحمة والرضوان ، وسبحان الموفق لا إله إلا هو العليم الحكيم .

أعوذ بك

من عذاب القبر ومن عذاب النار

مما يتميز به أهل التوفيق الذين حباهم الله صدق الإنابة إليه سبحانه ، والحرص على المواءمة أبدأ بين الإيمان والعمل ، تفاعلهم العميق مع الذي أخبر به الصادق المصدوق - وهو المبلغ عن الله عز وجل - وكشف عنه من الحقائق الغيبية التي تحصل يوم القيامة ، فتراهم مع عظيم رجائهم أن يكونوا من أهل الجنة بفضل الله ورحمته : خائفون أشد الخوف من النار ، وأن يكونوا من حصبها ؛ وهو خوف تبدو آثاره في أفعالهم وسلوكهم ، حتى كأن النار أمام ناظرهم أبداً ، فهم يرونها رأي العين ، لذا فهم يحذرونها ويحذرون منها .

ولقد حملت إلينا المصادر التي تحدثت عن الزاهد العابد علم العلماء الأبرار التابعي الثقة مالك بن دينار البصري المتوفى سنة ثلاثين ومائة للهجرة ، قوله يرحمه الله : « لو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها : يا أيها الناس النار النار » وفي رواية ؛ « لو استطعت لم أنم مخافة أن ينزل العذاب ، يا أيها الناس النار النار » . والمقصود : احذروا النار احذروا النار . وهذا يعني أن هذا الرجل المبارك ، قد استنار قلبه بما هدى إليه الكتاب الكريم ، وبينه حديث رسول الله ﷺ على ساحة التصديق الجازم بما هو واقع يوم المعاد ؛ فهو خائف أن يكون من أهل الجحيم ، وحريص في الوقت على النصيحة لإخوانه وأخواته من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، كي يعملوا صالحاً ويسلكوا سبيل النجاة ، والفوز يوم الدين . وإذا صفا القلب من الشوائب وأخذ المؤمن نفسه بطريق أهل التوفيق ، كان ذلك عنوان الاستنارة بهدي النبي عليه الصلاة والسلام فيما رغب به ورهب منه ..

وينبغي أن لا يفرط المؤمن في جنب البيان النبوي الشافي الذي بلغ من صدقه

وأحقته كما أراد الله عز وجل ، أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر - كما جاء في الحديث الصحيح - أن الله تعالى أراه الجنة والنار وأنه تناول عنقوداً من الجنة، لكنه رأى أن لا يأكله لحكمة أرادها الله ، وقد أوردت عدداً من الروايات في ذلك. ولعل من الخير أن نقف على عدد أكثر منها، لأن العناية بجمع روايات الحديث أمر بالغ الأهمية - في كثير من الأحيان - عند العلماء ، لما أنه يعين على مزيد من فقه ذلك الحديث ، واستنباط مدلولاته ، والإحاطة بمرامي قدر المستطاع ، كيما يتسنى للمكلف أن يعمل بالنصوص ويفيد من هديها ، والمفلح الموفق من آمن وعمل بالهدي المحمدي ، ولم تلهه الدنيا عن الآخرة ، وحل نفسه على الجادة تأسيّاً بالنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان .

روى الإمام مسلم بسنده عن فاطمة عن أسماء قالت : «خَسَفَت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فدخلت على عائشة وهي تصلي : فقلت : ما شأن الناس يصلون ، فأشارت برأسها إلى السماء ، فقلت : آية ؟ قالت : نعم ، فأطال رسول الله ﷺ القيام جداً حتى تجلّاني الغشي ، فأخذت قربة من ماء إلى جنبي ، فجعلت أصب على رأسي - أو على وجهي - من الماء . قالت : فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلّت الشمس ، فخطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار ، وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً ، أو مثل فتنة المسيح الدجال - لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء - فيؤتى أحدكم فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو المؤمن - لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء - فيقول : هو محمد هو رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرار ، فيقال له : نعم فقد كنا نعلم إنك لتؤمن به ، فثم صالحاً . وأما المنافق أو المرتاب - لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء - فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت . »

قول أسماء رضي الله عنها : «حتى تجلّاني الغشي» الغشي : بفتح الغين وسكون الشين ، وروي أيضاً بكسر الشين وتشديد الياء - العَشيّ وهما بمعنى العشاوة،

وهو معروف يحصل بطول القيام بالحر وفي غير ذلك من الأحوال ، ولهذا جعلت تصب على رأسها أو على وجهها من الماء . وقد ذهب الإمام النووي إلى أن قولها : « فجعلت أصب على رأسي أو على وجهي من الماء » محمول على أنه لم تكثر أفعالها متوالية ، لأن الأفعال إذا كثرت متوالية أبطلت الصلاة .

ومن لطائف التعبير في الحديث عن « سؤال الملكين أنها يقولان للإنسان : ما علمك بهذا الرجل ؟ والحكمة - كما يرى الشراح - في أنها يقولان ما علمك بهذا الرجل ولا يقولان : برسول الله ؟ أن يكون ذلك امتحاناً للمسؤول وإغراباً عليه ، لكيلا يتلقن منهما إكرام النبي ﷺ ورفع مرتبته ، فيعظمه هو تقليداً لهما لا اعتقاداً ، ولهذا يقول المؤمن : هو رسول الله ، ويقول المنافق : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت . فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ورواه مالك في الموطأ .

هذا : وفي بعض الروايات عند مسلم من رواية أسماء رضي الله عنها تفصيل رأينا نظيره عند النسائي من رواية عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ؛ فقد جاء في هذه الرواية قول أسماء بعد الكلام على صلاة الكسوف كيف صلاها النبي عليه الصلاة والسلام : « ثم انصرف وقد انجلت الشمس ، فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك ، فاذكروا الله . قالوا : يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ، ثم رأيناك كففت ، فقال : إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كالיום منظرأ قط .. » الحديث . وقد جاء في بعض الروايات « تكعكت » بدل « كففت » والمعنى : توقفت وأحجمت . ولا يخفى ما في تلكم النصوص المباركة ، من تنبيه المؤمنين على أن المسألة تبدأ من سؤال القبر؛ فقد ذكر رسول الله ﷺ بذلك وأخبر بها أخبر عن الجنة والخير فيها وعن النار والشر فيها .

ثم إنه لابد من الإشارة إلى أنه قد جاء في بعض روايات الحديث ، استعاذته

ﷺ من عذاب القبر ومن عذاب النار جميعاً . روى الدارمي بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها « أن يهودية دخلت فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ، فلما جاء النبي ﷺ سألته أيعذب الناس في قبورهم ؟ قال : عائذاً بالله ، قالت : إن رسول الله ﷺ ركب يوماً مركباً فحَسَفَت الشمس فجاء النبي ﷺ فتزل ثم عمد إلى مقامه الذي كان يصلي فيه ، فقام الناس خلفه ... إلى أن تقول : ثم تجلت الشمس فدخل علي فقال : إني أراكم تفتنون في قبوركم ، كفتنة الدجال ، سمعته يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من عذاب النار . »

وإنا نعوذ بالله مما استعاذ منه النبي عليه الصلاة والسلام ، نعوذ به — جل شأنه — من عذاب القبر ، ونعوذ به من عذاب النار ، ونسأله أن يتفضل علينا برحمته ويغفر لنا خطيئتنا يوم القيامة إنه البر الرؤوف الرحيم .

يُغْبِطُهُمُ الْأُولُوُُ وَالْآخِرُونَ

إذا ذكر النعيم المقيم في جنة الخلد التي وعد المتقون ، وذكر العذاب الأليم لأهل الضلالة في نار السعير ، تحركت في قلب المؤمن نوازع الرجاء والخوف ، وسارع إلى سلوك السبيل التي يكون معها - برحمة الله - من أهل الفوز بالجنة والنجاة من النار ، ولن يكون ذلك إلا بحسن التعامل مع حقيقة أن الآخرة هي دار البقاء ، وأن الدنيا هي دار الفناء ، وأن العاقل الفهم هو الذي يكون - وهو يكدح ويتحرك وفق سنن الله في الحياة - من طلاب الآخرة ، فهو يعمر الأرض ، ويبني القوة التي تعود عليه وعلى أمته بالنفع ، ويحمي حمى الإسلام ، ولا يني يسهم في بناء الحضارة الإسلامية التي تسعد الإنسان في الدنيا ويوم الدين .. كل أولئك بنية خالصة ، وطلب لمرضاة الله عز وجل ، وسعي حثيث لأن تكون الجنة هي المأوى وإدراكٍ لواحدة من المسلّمات ؛ وهي أنه مهما عمل العبد في هذه الدار ، فلا بد له من رحمة الله عز وجل ولطفه وإحسانه ، فالعمر محدود ، والآجال بيده سبحانه ، ونعمه على عباده لا تحصى ، ومنه لا تستقصى .

قال الإمام الطبراني : حدثنا علي بن عبدالعزيز قال : حدثنا محمد بن عمار الموصلي قال : حدثنا عتبة بن سالم عن أيوب بن عتبة ، عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام : سل واستفهم فقال : يا رسول الله فضلتُم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتَ بمثل ما عملتَ به إني لكائن معك في الجنة ، قال : نعم والذي نفسي بيده ، إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ، ثم قال رسول الله ﷺ : من قال : لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحانه الله وبحمده كتبت له مائة ألف حسنة ، فقال رجل : كيف نهلك بعدها يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الرجل ليأتي يوم

القيامه بالعمل لو وضع على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة - أو نعم الله - فتكاد تستنفد ذلك كله ، إلا أن يتغمده الله برحمته ، ونزلت هذه السورة ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ إلى قوله : ﴿ ملكاً كبيراً ﴾ فقال الحبشي : وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة ؟ قال : نعم ؛ فاستبكي حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدليه في حفرة بيده « هكذا أورده الحافظ ابن كثير وقال : غريب جداً .

على أن المؤمن - وهو يسهم في حركة الحياة ضمن عمره المحدود ، امتثالاً لأمر الله عز وجل ، وإفادة مما أكرم الله به الإنسان من تسخير ما سخره له - لا ينسى ما وُعد به من العطاء الإلهي في دار الكرامة ، وأن عليه إن أراد أن يكون أهلاً لهذا العطاء ، أن يأخذ نفسه بطريق أهل الجد والعزيمة في طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله ، ذاكرًا قوله سبحانه : ﴿ وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ وقد ثبت في الصحيح - كما سلف من قبل - أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها : « إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها » . وقد أوردت في مناسبة أخرى عدداً من الروايات للحديث المروي عن ثوير بن فاختة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : فإذا كان هذا عطاءه لأدنى من يكون في الجنة ، فما ظنك بها هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى ؟! .

هذا : وحديث ابن عمر الذي تقدم من قبل أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » بلفظ « أن رجلاً من الحبشة أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله فضلتُم علينا بالألوان والنبوة ، أفرايت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت ما عملت به إني لكائن معك في الجنة ؟ فقال النبي ﷺ : نعم ثم قال عليه الصلاة والسلام : من قال : لا إله إلا الله ، كان له بها عهد عند الله ، ومن قال : سبحانه الله كتب له مائة ألف حسنة . فقال رجل : يا رسول الله ، كيف نهلك بعد هذا ؟ فقال النبي

ﷺ : والذي نفسي بيده إن الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ، ثم نزلت ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ إلى قوله : ﴿ وإذا رأيت ثمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ فقال الحبشي : يا رسول الله ، وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك ؟ فقال النبي ﷺ : نعم ، فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : فأنا رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرة . قال المنذري : رواه الطبراني من رواية أيوب بن عتبة . وأورده السيوطي في كتاب « الدر المنثور » منسوباً إلى الطبري ، وابن مردويه وابن عساكر .

ومهما يكن من أمر : فإن موائد الخير منصوبة يرتادها الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك الذين يفوزون بالموعود من كرم الله عز وجل وفضله يوم المعاد ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ . أجل يفوزون بذلك الموعود من عطاء من لا تنفد خزائنه سبحانه وتعالى . وتشهد الخلائق يوم القيامة ، ما يفيض عليهم جل شأنه من الخير ، وما يجزيهم به في جنات النعيم التي هم فيها خالدون . قال الإمام الترمذي : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي اليقظان عن زاذان عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة على كثران المسك — أراه قال : يوم القيامة — يغبطهم الأولون والآخرين : رجلٌ ينادي بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، ورجل يؤم قوماً وهم به راضون ، وعبدٌ أدى حقَّ الله وحق مواليه » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري . وأبو اليقظان اسمه عثمان بن عمير ، ويقال : ابن قيس .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه « أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ بعرفة ، فدنا منه حتى اختلفت عنق راحلته مع عنق راحلة رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أنبئني بعمل ينجيني من عذاب الله ويدخلني الجنة ، فقال له رسول الله ﷺ : اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأقم الصلاة ، وأدِّ الزكاة ، وصم رمضان ، وحج واعتمر ، وانظر ما تحب من الناس أن يأتوه إليك فافعله ، وما تكره من الناس أن

يأتوه إليك فذره « أخرجه رزين .

والله نسأل أن يبصرنا بدينه ويهدينا سواء السبيل . وصلى الله وسلم وبارك على
الرحمة المهداة الذي هدى أمته الى الصراط المستقيم ووضعها على المحجة البيضاء
في دينها ودنياها وآخرتها وعلى آله وصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم اللقاء .

حجائذ الألسنة.. والكب في النار

حقيقة الارتباط الوثيق بين الترغيب بما أعد الله لعباده الصالحين في الآخرة ، والترهيب مما توعده به من يجاهرونه بالعداوة ويستكبرون عن عبادته ، وبين الشعور بالمسؤولية في الحياة الدنيا : حقيقة لا بد أن تعمل عملها في انتظام السلوك عند الفرد ، والبناء الذاتي على شريعة الله في المجتمع ، لما أنها سبيل الانضباط بضوابط الحق ، وأخذ النفوس بأخلاق أهل الآخرة ؛ من أجل هذا كانت حقيقة يأسى على الغفلة عنها المؤمن ، ولا ينكرها إلا مكابر ، يغلبه هواه ، أو متجاهل لا يعبأ بدلات النصوص ، فضلاً عن أن يكون هذا المنكر فريسة لما يوحى به شياطين الإنس والجن من زخرف القول والضلال المبين .

ولا تثريب على من يقرر ذلك الارتباط ، أن يؤكد ما كان له عبر التاريخ من أثر بالغ في تكوين شخصية المسلم ، وبنائها على أخذ المنهج الرباني بقوة ، وإتقان العمل والإخلاص فيه ، مهما كان الثغر الذي أقامه الله تعالى عليه ، وهو يتعاون مع إخوانه على البر والتقوى ويسهم - حسب تخصصه وطاقته - في بناء المجتمع المسلم المتكامل ، والحضارة الإسلامية الرشيدة .

ومن شاء الاستزادة من المعرفة على هذه الساحة ، فلينظر ما جاء في كتاب الله وبيانه من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، حيث أعطى النبي ﷺ - وهو إمام المرين وسيد الحكماء والمبين عن الله تعالى - قضية الفوز بالجنة والنجاة من النار ، ونشدان رضوان الله تبارك وتعالى في كل ما يأتي المؤمن ويذر ، مكانها اللائق في منهجه الذي سلكه لتبليغ الرسالة ، وتربية المسلم على مفهوماتها ، كي يعمل ويجاهد لتحقيقها في نفسه وفي المجتمع .

وددت أن أقدم لرحلة اليوم بهذه الكلمات التي ما أحسبها من مكرور القول،

وأنا أقرأ شيئاً من سيرة خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز ، وأنظر في بعض كلماته رحمه الله وأجزل مشوبته في الآخرين ، حيث اتخذ من مخافة الله واليوم الآخر والرغبة في النجاة من عذاب الله ، والفوز بالجنة ، سلاحاً يقود به نفسه إلى ساحة العدل والرحمة ، ومذكراً يذكره بمسؤوليته عن كل فرد من أفراد الرعية . جاء في «الحلية» لأبي نعيم و « سير أعلام النبلاء » للذهبي وغيرهما : أن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال : «حدثني فاطمة امرأة عمر بن عبدالعزيز أنها دخلت عليه ، فإذا هو في مصلاه يده على خده ، سائلة دموعه ؛ قالت : فقلت : يا أمير المؤمنين ! ألي شيء حدث ؟ قال : يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعمري المجهود ، والمظلوم المقهور ، والغريب المأسور ، والكبير ، وذو العيال في أقطار الأرض ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت ».

أرأيت إلى هذا الإحساس العميق بما هو كائن يوم القيامة ، من أن الله سائله عمن ولّاه الله أمرهم .. ثم أرأيت إلى هذه الخشية من انعدام الحجة في الخصومة يوم الوعيد ، حيث المصير إما إلى الجنة وإما إلى النار !! أكان عجباً بعد هذا أن يرحم عمر نفسه فيبكي ؟ ويحرص — جزاه الله عن المسلمين كل خير — على أن تسري روح الشعور بالمسؤولية بين المسلمين ، وأن يتخذوا من ذكر الموت حاجزاً عن العبث وحب الدنيا وإضاعة الوقت بما لا ينفع .

قال الأوزاعي رحمه الله : « كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز رسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول : أما بعد : فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عدّ كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما ينفعه والسلام » وها نحن أولاء نجده رحمه الله يتوق ويتطلع فيما يريد إلى خاتمة المطاف دار المقامة في الآخرين . فأين نعيم الدنيا الزائل من النعيم المقيم في دار الخلود ؟ قالت جويرية بنت أسماء : قال عمر بن عبدالعزيز : « إن نفسي تواقه ، وإنها لم تُعطَ من الدنيا شيئاً إلا تآقت

إلى ما هو أفضل منه ، فلما أعطيت مالا أفضل منه في الدنيا ، تاقّت إلى ما هو أفضل منه « يعني الجنة » .

والنفس التواقّة إلى الجنة تفزعها معالجة الأغلال في جهنم . وانعكاس ذلك على تصرفات الإنسان - حاكماً كان أو محكوماً - في توجيهها وجهة الخير خشية عذاب الله ونقمته من الظالمين ، دليل الإيمان وقوة اليقين . عندما لم يتوافر لديه - أعلى الله مقامه - شيء يسيراً من المال ليشتري به عبأً ، سئل عن ذلك فقال : هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم . إنه لمشهد من مشاهد القيامة بالغ التأثير حقاً .. مشهد من يتقدمون موكب الأبرار إلى الجنة ، وفيهم عمر بن عبدالعزيز إن شاء الله ، وهناك تعلن الحقيقة إعلانها ، مؤذنة بصدق الارتباط بين القيام بالمسؤولية حق القيام في الدنيا ، وبين الإيمان بيوم الحساب وما يكون فيه من العاقبة لكل بما عمل ؛ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

هذا : والحديث موصول بما نحن بصددّه ، من التماس الهداية التي ترسم المنهج وتحدد المسار على هذه الساحة في توجيه النبي عليه الصلاة والسلام . هذا واحد من كبار الصحابة عليهم الرضوان يرجو رسول الله ﷺ أن يخبره بعمل يدخله الجنة ويباعده من النار ، ويمتد الحديث إلى الوعيد بجهنم على الكلام الباطل ولَقَلَقَ اللسان به . قال الإمام الترمذي : حدثنا ابن أبي عمر قال : حدثنا عبدالله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن عاصم بن أبي النُجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير . فقلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال : لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنةٌ . والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار . وصلاة الرجل من جوف الليل . قال : ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ثم قال : ألا أخبرك برأس

الأمر كله ، وعموده ، وذُرْوَة سَنَامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذُرْوَة سَنَامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا نبي الله . فأخذ بلسانه فقال : كُفَّ عليك هذا ، فقلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يُكَبُّ الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم ؟» قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة .

رأس الأمر الإسلام : أي الإتيان بالشهادتين؛ فهما للدين بمنزلة الرأس من الجسد ، قالوا : وهو من باب التشبيه المقلوب ، إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر ، ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد ، في احتياجه إليه وعدم بقاءه دونه . الذروة بكسر الذال وهو الأشهر وبضمها وحُكي فتحها : أعلى الشيء .. والسَّنام بفتح السين : ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه . والمِلاك في قوله : « بملاك ذلك كله » ما به إحكام الشيء وتقويته .

والآيتان الكريمتان هما قوله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ .

هكذا دلَّ الرسول ﷺ على ما يوصل إلى الجنة ، وعلى ما يوصل إلى النار كما نبّه على واحد من أسباب الكب في جهنم وبئس المصير .

اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ، واجعلنا برحمتك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، واسلك بنا السبيل التي ترحمنا عن النار وتدخلنا الجنة ، أنت المستعان وبك المستغاث ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

عودة

إلى حصائد الألسنة والكبت في النار

حديث الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي طلب فيه من النبي ﷺ إخباره بعمل يدخله الجنة ويباعده من النار ، دلنا من قريب على أن من مشاهد القيامة مشهد أولئك الذين يُكَبّون في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - فتراهم يتدهورون في أعماقها يحطم بعضهم بعضاً ، بحيث لا يسقط واحد على وجهه أو على منخره إلا ويلحق به صاحبه على صورة مفزعة مرعبة ، ويزيد من شدة هذا المشهد وتأثيره البالغ ، أن قوامه إصابة المرء في وجهه ، وهو أبرز ما في الجسم ، والصورة الأولى لاكتماله وحسن تقويمه ، بحيث يحصل هذا الانكباب على المناخر ، وكأن أصحابها لا يعون .

والسبب في ذلك عدم حفظ اللسان ، فترى المهجر من القول ، والغيبة ، والنميمة ، والإفساد بين الناس ، والافتراء على الآخرين ، والكلام الفاحش البذيء وغير ذلك ، ناهيك عما يكون من الشرك أو بريده والعياذ بالله .. وليس ضرورياً أن يجتمع هذا كله فقد يكون بعضه أو الأقل منه ، ولكنه يقع على الصورة التي تؤدي بصاحبها إلى جهنم وبئس المهاد . وقد جاء النص على هذا المشهد - كما رأيناه عند الإمام الترمذي رحمه الله - بقوله ﷺ لمعاذ بعد أن بين له رأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فقال معاذ : قلت بلى يا نبي الله ، فأخذ ﷺ بلسانه ، فقال : كُفَّ عليك هذا . فقلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ » وفي رواية لابن ماجه « ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى . فأخذ بلسانه فقال : تكف عليك هذا . قلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك يا معاذ : هل

يَكْبُ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟؟».

قال الراغب في كتابه « المفردات » : الكَبُّ : إسقاط الشيء على وجهه قال تعالى : ﴿ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ والإكباب جعل وجهه مكبوباً على العمل قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ والكبكة: تدهور الشيء في هوة قال تعالى : ﴿ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ . يقال : كَبَّ وكَبكب نحو كَفَّ وكَفكف .

والملاحظ هنا ، أن كلام النبي ﷺ في الوعيد على عدم حفظ اللسان ، نوع من البيان لما أشارت إليه الآية التسعون من سورة النمل وهي قوله جل شأنه : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقد ذهب الحافظ ابن كثير الى أن المعنى : من لقي الله مسيئاً لا حسنة له أوقد رجحت سيئاته على حسناته كُلَّ بحسبه ؛ ولهذا قال : ﴿ هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وإذا كان هذا من العموم ، فسقطات اللسان من الخصوص ، ومنها ما يكون سبباً لكب الوجه في النار .

والحق أن هذه الآية الكريمة التي نرى في الحديث بعضاً من بيانها ، تمثل مع الآية التي سبقتها ، قانوناً إلهياً عادلاً ، وفعل الله كله عدل ورحمة . والآية التي سبقتها : هي الآية التاسعة والثمانون من سورة النمل أعني قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ ﴾ . هذا ما قضت به إرادة الله وجزاؤه الحكيم . من يعمل الحسنات ، يشكرها الله له فيجزيه في الدنيا والآخرة خيراً منها ، ويأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة . أما الذين يعملون السيئات : فجزاؤهم أن تكَبَّ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ جزاء بما كانوا يعملون . وقد روى الإمام الطبري عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، وعدد من التابعين رحمهم الله في قوله : « مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ » يعني بالشرك . وقد رأينا عند الراغب الأصفهاني - وهو رأي علماء اللغة - أن كَبَّ وكَبكب بمعنى ، ولذلك يُذكر ما جاء في سورة الشعراء من بيان مشرق وضاء لعاقبة كل من المتقين

والغاوين يوم المعاد ؛ وهو بيان يحمل في طياته الكثير من الوعد والوعيد ، ذلكم قوله سبحانه : ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ . وَبَرَّزْتَ الْحَجِيمَ لِلْغَاوِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ . فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أُجْعَعُونَ ﴾ . من الآية ٩٠ إلى الآية ٩٥ .

قال مجاهد : يعني فذهوروا فيها . قالوا : تدهور تدهوراً ؛ سقط من أعلى إلى أسفل وهو مأخوذ من تدهور الرمل إذا انهدأ وسقط أكثره . ودهور الحائط : دفعه فسقط . وقال الزجاج : ﴿ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ أي في الحجيم ، ومعنى كبكبوا : طرح بعضهم على بعض . وقال آخرون - ومنهم الراغب كما سبق - كبكبوا أي كُتِبُوا فيها والكاف مكررة ، كما يقال . كفّ وكفكف . وصرّ وصرصر . والمراد أنه أُلقي بعضهم على بعض ؛ ولا تسل عما يكون عليه هذا المشهد المرعب الذي أشار الرسول ﷺ إليه وهو يحذر معاذاً رضي الله عنه من حصائد اللسان بقوله : « وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »؟! إنه استفهام إنكاري يعني النفي . وإن هذا التعبير الموحى المؤثر وما هو على شاكلته من كلام سيد المرسلين : لون من ألوان بلاغته الفاذة عليه الصلاة والسلام ؛ فلقد أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ، فتراه يؤدي المعاني العميقة الغزيرة بألفاظ قليلة لا يعوزها شيء من الفصاحة والنصاعة والجمال .

هذا : وما تجدر الإشارة إليه : أن في بعض روايات الحديث عند أحمد رحمه الله نوعاً من التفصيل ، يزيد الأمر بياناً ويكشف عن شديد حرص معاذ على اغتنام الوقت مع رسول الله ، كما يكشف عن الحقبة الزمنية التي حصل فيها ذلك الحوار المبارك بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين ذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه . قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن جبل قال : « أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، فلما رأيته خلياً قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني

الجنة ، قال : بخ لقد سألت عن عظيم ، وهو يسير على من يسره الله عليه ؛ تقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتلقى الله عز وجل لا تشرك به شيئاً . أولاً أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ أما رأس الأمر : فالإسلام ، فمن أسلم سلم ، وأما عموده : فالصلاة ، وأما ذروة سنامه : فالجهاد في سبيل الله . أو لا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطايا ، وتلا هذه الآية : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون ﴾ . أو لا أدلك على أملك ذلك لك كله ؟ قال : فأقبل نفر ، قال : فخشيت أن يشغلوا عني رسول الله ﷺ قال شعبة : أو كلمة نحوها . قال : فقلت : يا رسول الله قولك : أو لا أدلك على أملك ذلك لك كله ! قال : فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى لسانه . قال : قلت : يا رسول الله ، وإنا لنؤاخذ بها نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك معاذ ، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ قال شعبة : قال لي الحكم : وحدثني به ميمون ابن أبي شبيب . وقال الحكم : سمعته منه منذ أربعين سنة .

قوله « على مناخرهم » وفي روايات سبقت « على وجوههم » شك من الراوي . المناخر جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها : ثقب الأنف . والاستفهام للنفي - كما أسلفنا - ، وخصهما بالكب لأنها أول الأعضاء سقوطاً . وقال صاحب « تحفة الأحوذى » بشرح جامع الترمذي (٣٦٥/٧) عند قوله « إلا حصائد ألسنتهم » أي محصوداتها ؛ شبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل ، وهو من بلاغة النبوة ؛ فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والرديء ، فكذلك لسان بعض الناس ، يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً وقيحاً . والمعنى : لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم من الكفر والقذف والشتم والغيبة والنميمة والبهتان ونحوها .

جزى الله عنا نبينا محمداً ﷺ ما هو أهله ، وآتاه الله الوسيلة والفضيلة وبعثه المقام المحمود وجنّبنا كلّ ما يكون سبباً للكب في النار ، وجعلنا - برحمته - من أهل دار النعيم .

سجن المؤمن... وجنة الكافر

من علامات صدق الإيمان : أن يكون المسلم أحرص ما يكون على النجاة يوم القيامة من عذاب الله ، والفوز بالنعيم المقيم في جنات عدن التي وعد الله عباده المقربين . ذلك بأن هذا الحرص المبارك يحول - بعون الله - دون العبد ودون الغفلة ، ويحفز إلى التذكر والبعد عن كل ما يوقع في نسيان الله واليوم الآخر ، فتراه مقبلاً على الآخرة بكليته ، لا يني في ذكر الله والعمل بها شرع لعباده ، والاجتهاد في مرضاته سبحانه ، وكل ما يقرب إليه زلفى ؛ شأن المتقين الأبرار الذين لا يقعدهم عن العمل الصالح زخرف الحياة الدنيا ، ولا يغرهم بالله الغرور . والحرص الذي نوصى إليه ، يقتضيه التصديق الجازم بما جاء من الأخبار الصادقة التي بصّرت الأمة بما يكون يوم الدين ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ وبحقيقة أن الدنيا دار ممر لا دار مقر ، وأن السعيد السعادة كلها ، من اتخذها مزرعة للآخرة دار البقاء ، لا يماري فيها إلا زائف ، أو مكابر عميت منه البصيرة والعياذ بالله .

وإذا كان الأمر كذلك ؛ فالعاقل من يجتهد في مضمار العمل هنا ، ليفوز يوم السباق هناك ، والموفق من وفقه الله للسير على النهج الذي رضىه الله لعباده ، وبينه خير بيان رحمة الله المهداة ، رسولنا وإمامنا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فلقد أحصى صلوات الله وسلامه عليه بهذا البيان - كما لا يخفى - كل صغيرة وكبيرة مما يتعلق باليوم الآخر وما فيه من الأهوال ؛ وما يتعلق بالجنة والنار ، صفات كلٍ منهما وأحوال أهلها ، وما تزخر به عرصات القيامة من المشاهد العظام .

وكان من هديه ﷺ : ما نبّه عليه من أن الدنيا للمؤمن بمثابة السجن ، لما أن حرصه على الجنة يمنعه من الوقوع فيما يغضب الله تعالى ، كما أنها للكافر بمثابة الجنة ؛ وذلك لحمقه ؛ فهو يقبل غافلاً على الشهوات والمخالفات التي حفت

جهنم بها . قال الإمام مسلم : حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عبد العزيز - يعني الدراوردي - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ذلك بأن المؤمن يحب لقاء الله ، ومطمعه أبداً حسن العاقبة في جنة المأوى ، أما الكافر : فعلى العكس من ذلك ، وشتان بين الحالين . وقد أوضح الإمام النووي المراد من الحديث بقوله : (معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، مكلف بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان . وأما الكافر : فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا ، مع قلته وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات : صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد) .

وما أكثر ما جاء في هدي النبي عليه الصلاة والسلام ، من التنبيه على ما يجب أن يكون عليه المؤمن من اليقظة التي تحرس قلبه ، فلا يقع في حبائل الرغبة الجاحمة في متاع الغرور ، وعدم الإنابة إلى دار الخلود . ولكم يعمل الترغيب بالجنة والترهيب من النار عمله في نفسه هذا المؤمن ، إذا كان يعمل على تركيتها وتطهيرها من الأدران ؛ الأمر الذي يزيد طالب الجنة رغبة في عمل الصالحات ، ويوقظ الغافل فيسارع إلى تدارك ما فاتته من الخير ؛ فالأمر جدُّ يقين لا هزل فيه ولا ريب ، وما جاء في الأخبار الصادقة واقع لا محالة . قال الإمام أحمد في المسند : حدثنا بهز ابن أسد قال : حدثنا سليمان بن المغيرة قال : حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال : خطب عُتبة بن غزوان - قال بهز : وقال قبل هذه المرة - « خطبنا رسول الله ﷺ قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم ، وولّت حذاء ولم يبق منها إلا صباية كُصباية الإناء يتصائبها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقى من شفير جهنم ، فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قرعاً ، والله لتملؤنه ، أفعجبتم ! والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً ،

وليأتينَّ عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ، وإني التقت بردة فشققته بيني وبين سعد فائتزر بنصفها ، وائتزت بنصفها ، فما أصبح منا أحد اليوم إلا أصبح أمير مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً ، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون عاقبتها ملكاً ، وسبّلون - أو ستخبرون - الأمراء بعدنا». ورواه مسلم من حديث شيبان بن فروخ بلفظ «فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين خريفاً لا يدرك لها قعرًا والله لثملأنَّ » ولفظ « فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا ».

أذنت : بهمزة ممدودة وفتح الذال أي أعلمت ، والصُّرم - بالضم - أي الانقطاع والذهاب ، وقوله : حذاء بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة وألف ممدودة أي مسرعة الانقطاع . والصُّبابه بضم الصاد : البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء . ومعنى يتصائبها أي يشربها . وقعر الشيء : أسفله ، والكظيظ : الممتلئ . وقوله : قرحت أشداقنا : أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته وكان ذلك في غزوة من الغزوات .

أرأيت إلى هذا الذي يذكرك به من مشاهد القيامة في الجنة وفي النار : هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه !! الحجر يلقي من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعرًا ، وقسم بالله لثملأنَّ وهي على ما هي عليه من السعة والعمق ، نسأل الله العفو والعافية ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، ومن سعة رحمة الله أنها لا بد أن تمتلئ ، إذ ليأتين عليها يوم وما بين المصراعين على هذا الامتداد - كما شاء الله تعالى - كظيظ ممتلئ من الزحام ، نسأله تعالى أن يمن علينا بلطفه ورحمته فيجعلنا من أهلها .

ولقد كان النبي ﷺ حريصاً على أمته أن تنزل بها القدم يوم الدين .. فبشّر وأنذر ولم يدع - كما أسلفنا - أن يبيّن خير بيان وأكملّه جزاءه الله عنا كل خير . جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره من رواية أبي هريرة رضي الله عنه «... قال :

فيلقى العبدَ فيقول : أي فل - يعني أي فلان - ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخرُ لك الخيل والإبل ، وأدركُ رأس وتربع ؟؟ فيقول : بلى ، قال : فيقول : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول : إني أنساك كما نسيتني . ثم يلقي الثاني فيقول : أي فل ، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك رأس وتربع فيقول : بلى أي رب ، فيقول : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك ، وصليت وصمت وتصدقت ويشني بخير ما استطاع ، فيقول : ههنا إذا ، قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهداً عليك . ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟ فيختتم على فيه ، ويُقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي . فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه .

إنه - ورب السماء والأرض - مشهد جدير بأن يوقظ الغافل ، ويذكر الناسي اللاهي ... ولكن أين القلوب ؟! ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ .

ما أقرب الجنة والنار

أن يترك النبي ﷺ أمته في أمور دينها، ودنياها وآخرتها، على بيضاء نقية، ليُلها كنهارها : نعمة عظيمة جليلة القدر ، ومنة كبرى لا يقادر قدرها ، تستوجب الشكر الخالص وتستحق الكثير من العناية والتدبير ، وتربية الأجيال على ذلك . والصدق في طلب النجاة يوم القيامة وأن تكون الجنة هي المأوى ، صورة من صور الشكر الحقيقي لتلك النعمة ، خصوصاً وأن هدي الرسول ﷺ على هذه الساحة ، بلغ من الوضوح حداً لا يدع زيادة لمستزيد ؛ وهنيئاً لمن استنارت بصائرهم فعضوا على الهدى المحمدي بالنواجذ ، وعملوا لما بعد الموت ؛ فكانوا من أهل الجنة ونعم دار المتقين ، والويل كل الويل لأولئك الغافلين الذين يتكبون الطريق الواضحة ، ويتخذون معاملها وراءهم ظهرياً ، وبذلك يمهدون لأنفسهم دار البوار ، ﴿ جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ . وما أقرب الجنة لمن صدق الوجهة وحزم أمره في العمل لها . وما أقرب النار لمن غفل عن الله وضلّ سواء السبيل .

أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في مناسبة أخرى .

ويتضح من كلام النبي ﷺ - وقد أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً - أن الطاعة طريق العبد إلى الجنة ، وأن المعصية تعمل عملها في تقريبه من النار ، وليس الأمر قصراً على الأعمال الكبيرة ، بل قد تكون كل من الطاعة والمعصية في الأمور اليسيرة التي لا يحسب لها الإنسان أي حساب .

قال ابن بطال في بيان لمعنى الحديث : « فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة ، وأن المعصية مقربة إلى النار ، وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء ، إلى أن

يقول : فينبغي للمرء أن لا يزهّد في القليل من الخير أن يأتيه ، ولا في القليل من الشر أن يجتنبه ؛ فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمها الله بها ، ولا السيئة التي يسخط عليه بها» ويرى الإمام ابن الجوزي في معنى الحديث « أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة ، والنار كذلك ، بموافقة الهوى وفعل المعصية» وهذا لا يتعارض مع الذي سلف تقريره غير مرة من أن دخول الجنة كائن برحمة الله تبارك وتعالى ، ولكن التفاضل في المنازل مرده إلى الأعمال كما جاء في حديث الترمذي ، إذ أن ارتباط المسؤولية بالجزاء شيء ، وكون العاقبة بيده سبحانه شيء آخر ، حتى رسول الله ﷺ - وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود - لا يدخله الجنة عمله ، إلا أن يتغمده الله برحمته من عنده .

من هنا كان يتَّسم تعامل السلف مع الدنيا بالكثير من الواقعية ؛ من حيث كونها دار عمل وسباق إلى الخير ، وقل مثل ذلك في تعاملهم مع الدار الآخرة ؛ من حيث كونها هي المستقر وهي الحيوان ؛ إمامهم وأسوتهم في ذلك رسول الله ﷺ . ومشاهد القيامة إعلان صادق عن أحقية ما جاء به القرآن الكريم في ذلك ، وبيّنه إمام الهدى وخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فالتالي يتلو في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير ﴾ وتطالعنا سورة الحديد بقوله جل شأنه ﴿ ساقبوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ . وتؤكد هذه الحقيقة بما نرى من الأمر بالمسارعة في سورة آل عمران : ذلكم قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ والثناء العظيم كائن على من يسارعون في الخيرات ؛ ففي سورة الأنبياء ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ وفي سورة المؤمنون ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ .

وفهم السلف الصالح للتعامل مع كل من الدار الفانية والدار الباقية ، بدءاً

من الصحابة عليهم رضوان الله يجري - كما أسلفنا - على هدي هذا التوجيه الرباني وبيانه من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأمثلة ذلك تكاد تعز على الحصر . روى شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري بسنده عن أبي عبدالرحمن السلمي قال : « نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبي وحضرت معه ، فخطبنا حذيفة رضي الله عنه فقال : ألا إن الله يقول : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق ، فقلت لأبي : أيستبق الناس غداً ؟ فقال : يا بني إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال ، وفي رواية : إنما يعني : العمل اليوم والجزء غداً . ثم جاءت الجمعة الأخرى ، فحضرنا فخطب حذيفة رضي الله عنه فقال : ألا إن الله عز وجل يقول : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سبق إلى الجنة » وأخرجه الحاكم النيسابوري في « المستدرک » وقال صحيح الإسناد .

هكذا ينصح الصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه المسلمين - كما علم من هدي النبي عليه الصلاة والسلام المبين عن الله ما أراد - أن اليوم المضمار وغداً السباق إلى الجنة ، وأن السابق من وفق لخالص العمل ، فسبق إلى النعيم المقيم . والمضمار : الموضع الذي تضمّر فيه الخيل - وقد مر ذلك في مناسبة أخرى - وتضمير الخيل أن تُعلف حتى تسمن ، ثم لا تعلف إلا قوتاً لتخف . وقيل : تشد عليها سروجها ، وتجلّل بالأجلة حتى تعرق تحتها ، فيذهب رهلها ويشتدّ لحمها .

ولكم تكون الأمة على الجادة ، إذا ضمت إلى مناهج التربية على الإيمان بالغيب ، وما أعدّ الله للعاملين في دار كرامته من الخير العميم ، وما يلقاه الظالمون والصادقون عن سبيل الله ، من سوء المصير ... سلامة التوجيه إلى ما يجب أن يكون عليه التعامل مع ما هو من أمور الدنيا ، ومع ما هو من أمور الآخرة ، مضافاً إلى ذلك تربية على سلامة التصور للعلاقة بين مشاهد القيامة ، يوم يقف الناس لرب

العالمين ، وبين ما كان عليه السلوك في الدنيا ؛ من حيث الالتزام بشريعة الله ، وتحكيم المنهج الرباني .

وفي واحدة من مواعظ رسول الله ﷺ نقع على نوع من التفصيل في الدعوة إلى اغتنام فرص الخير والعمل الصالح ، وفي ذكر مظان العمل التي لا يجوز التهاون بها والغفلة عن آثارها لمن أراد أن يكون من السابقين يوم السباق إلى جنة الخلد ، ذلكم ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما - يعني البخاري ومسلم - .

ومعلوم أن الصديق في طلب الآخرة ، والفوز برضوان الله ، وما يكرم به عباده المنيبين إليه ، الطامعين في رحمته . يقتضي التخلق بأخلاق هؤلاء الأبرار مخافة الله ، وبعداً عن الركون إلى الدعة وما عليه الغافلون . روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا أنه قال : « وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين : إذا خافني في الدنيا آمنت يوم القيامة ، وإذا أمنتني في الدنيا أخفته في الآخرة » .

اللهم اجعلنا ممن يعملون الصالحات الذين يرجون رحمتك ويخافون عذابك يا ذا الجلال والإكرام ..

أكثرُوا من ذكر النار

ما أعظم ما كان من أمانة النبي ﷺ ، في بيان كل ما يجب بيانه للأمة ؛ تبليغاً وتربية وتعليماً ، وإعطاء الترغيب في دار النعيم المقيم ، والترهيب من نار السعير ، ما هما جديران به على صعيد ذلك البيان . وما أكرم ما أثمر ذلك من انضباط في سلوك الفرد والجماعة ، وتميز في التحلي بمكارم الأخلاق ، وتركية النفوس ، ومراقبة الله عز وجل ، والارتفاع بالمطالب والرغبات إلى حيث تكون النجاة من عذاب الله يوم الدين ، والفوز بالجنة نُزُلِ الأبرار المقربين ، غاية عظيمة كريمة ، يحسب حسابها عند كل قول أو عمل في هذه الحياة الدنيا دار الفناء .

أقول هذا ، و الكلام موصول بما جاء في خطبة الصحابي الجليل عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ من رواية أحمد ومسلم من قوله رضي الله عنه - كما سبق - « إنه ذكر لنا أن الحجر يُلقَى من شفير جهنم فيهب في سبعة أعشار ما يدرك لها قعرأ ، والله لثملآن .. أفعجتهم .. » الحديث وجاء في الجامع الصحيح - سنن الترمذي - باب ما جاء في صفة قعر جهنم قوله رحمه الله : حدثنا عبدُ بنُ حميد قال : حدثنا حسين ابن علي الجُعْفِيُّ عن الفضيل بن عياض عن هشام عن الحسن البصري قال : قال عتبة بنُ غزوانَ على منبرنا هذا منبرِ البصرة عن النبي ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم ، فتهوي فيها سبعين عاماً وما تُفْضي إلى قرارها . قال : وكان عمر يقول : « أكثرُوا ذكر النار فإن حرها شديد ، وإن قعرها بعيد ، وإن مقامعها حديد » والروايات التي سبقت تشهد على صحة هذا الحديث ، وإن كان الحسن رحمه الله أسقط اسم من روى عنه ، قال أبو عيسى : لا نعرف للحسن سماعاً من عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، وإنما قدم عُتْبَةُ البصرة في زمن عمر ، وولد الحسن لستين بقينا من خلافة عمر . وكلام عمر رضي الله عنه عنوان التفاعل الصادق مع الذي أخبر عنه نبينا عليه الصلاة والسلام من صفات جهنم نار السعير ،

والحرص على أن لا تكون الأمة في غفلة عن ذلك ، لأن الغفلة في هذا المقام مهلكة أي مهلكة ، وما أسوأ ما يتمرغ به الغافلون من مخازي الضياع وقسوة القلب ونسيان الله واليوم الآخر « أكثرُوا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد ، وإن مقامها من حديد » والمقامع : واحدتها مِقْمَعَةٌ بكسر الميم وهي سياط تعمل من حديد ورؤوسها معوجة .

وهذه الكلمات البليغة المؤثرة التي تتجاوز الآذان إلى القلوب ، تذكرنا بقول الله جل شأنه في سورة إبراهيم : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مَخْلُوفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ . يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ .

ألا ليت للمجرمين والظالمين قلوباً تعي !! ترى يا محمد المجرمين - وهم الذين أجزموا بكفرهم وظلمهم وفسادهم - مُقَرَّنِينَ أي بعضهم إلى بعض ، قد جُمِع بين النظراء والأشكال منهم ، كل صنف إلى صنف في الأصفاد ، كما قال الله تعالى : ﴿ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أي نظراءهم وأمثالهم وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ . وفي بيان لبعض صور الإجمام أورد الحافظ ابن كثير عند تفسير تلكم الآيات من خواتم سورة إبراهيم ما روى الإمام أحمد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من أمر الجاهلية لا يُتركن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . والنائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » وأخرجه مسلم . وفي حديث القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : « النائحة إذا لم تتب توقف في طريق بين الجنة والنار ، سربيلها من قطران ، وتغشى وجهها النار » .

إنه لمشهد مذهل حقاً ، مشهد أولئك الذين أجزموا بالضلال والصدء عن سبيل الله ، فتراهم مقرنين في الأصفاد ، كل نظير إلى نظيره ، وكل خليل إلى خليله ،

وليس ذلك فحسب ؛ بل إن سرايلهم من قطران ، وتغشى وجوههم - تلفح وجوههم - النار ، أعادنا الله من حرها ولفحها .. ولكم يكون المؤمن على بصيرة من أمره ، وحذر من سوء العاقبة يوم الحساب ، إذا عمل على أن يوالي الله ، ويعادي الله ، فإذا أحبَّ فلله ، وإذا أبغض فلله ، كي لا يكون في عداد أولئك الذين يوالون أعداء الله ويعادون أحباءه وأوليائه ، فتكون العاقبة أن يحشر مع من أحب ، ويلقى في جهنم - التي لا يكاد يدرك قعرها - مقرناً في الأصفاد مع أولئك الذين أحبهم في الدنيا ابتغاء نفع زائل ، ولوجه الشيطان ، أجل يحشر معهم بعد أن تنقلب تلك الصداقة المصطنعة المشوبة بالضلال في الدنيا ، عداوة يوم القيامة ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ ولقد بينَ ﷺ أن من علائم التذوق لحلاوة الإيمان ، أن تكون المحبة لله ؛ وذلك ما ثبت في الصحيح من قوله صلوات الله وسلامه عليه : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار » رواه البخاري .

ألا وإن هذا المشهد العظيم، جدير بأن يزيد المؤمن إيماناً، وحرصاً على سلوك السبيل التي ينتهي معها - برحمة الله وفضله - إلى حيث النجاة من نار تلظى ، حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامها من حديد . كما أنه جدير بأن يلجم الغافل - أن لو عقل واستبصر - عن الاستمرار في طريق الغي ، وطاعة الهوى وشياطين الإنس والجن ، والأمر يوم الآفة شديد شديد ، إنه من الشدة والهول بحيث لا ينفع معه التسويف ، بل إن العقل الأخروي ، يقضي بأن يبادر المرء بالأعمال الصالحة، كل ما يمكن أن يسوق إلى جهنم وساءت مصيراً ، وأن يسارع في الخيرات والطاعات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . ومن ذا الذي لديه مسكة من التبصر ، ونشدان السعادة الأبدية ، لا تخيفه تلكم الأخبار الصادقة عن جهنم وصفاتها وأحوال أهلها ، وتجعله ينزع عما هو فيه من الإعراض عن الدين ، والتمرغ في أحوال العبث والعابثين !! .

من هنا ، كان ديدنُ أهل التقوى والصلاح ، تذكيرَ الأمة ، والنصحَ للحاكم والمحكوم ، والرجل والمرأة ، بأن يضع الجميع نصب أعينهم ، ما يؤول إليه الأمر يوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتَبون .

يقول الإمام القدوة الثبت العابد الزاهد شيخ الإسلام الفضيل بن عياض المتوفى ١٨٦ هـ : « لما دخل عليَّ هارون أمير المؤمنين قلت : يا حسن الوجه ، لقد كُلفتُ أمراً عظيماً ، أما إني ما رأيت أحداً أحسن وجهاً منك ؛ فإن قدرتَ أن لا تسوّد هذا الوجه بلفحة من النار فافعل . قال : عظمي ، قلت : بماذا أعظك ، هذا كتاب الله بين الدفتين ، انظر ماذا عمل بمن أطاعه وماذا عمل بمن عصاه . إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً ، ويطلبونها طلباً حثيثاً ، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسرَ ، لنالوها . وقال : عُدتُ إليّ ، فقال : لو لم تبعث إليّ لم آتكَ ، وإن انتفعتَ بما سمعتَ ، عُدتُ إليك . »

رحم الله الفضيل وأعلى مقامه في الآخرين ، ما كان أصدقه ، وأنصحه لأئمة المسلمين وعامتهم ، وأكثر الله في أمتنا من علماء الآخرة الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولا يحول دونهم ودون الصدع بكلمة الحق رغب ولا رهب ، والله عاقبة الأمور .

تلكم أشقى الأشقياء

لا يعدم المرء حين ينظر في سير أولئك البررة من السلف الصالح ، رجالاً كانوا أو نساء ، أن يقع على الكثير الكثير من النماذج التي توحى بما صنعت في نفوسهم تلك الأخبار الصادقة عن يوم الحساب ، وعما ينتظر المرء في ذلك اليوم العصيب حيث يجازى المحسن بإحسانه ، ويؤخذ المسيء بما كسبت يده .. أجل بما صَنَعَتْ تلك الأخبار في نفوسهم وحَرَّكَت من كوامن الخير في قلوبهم ، فاستقاموا على الطريقة ، وغَضُّوا عن محارم الله ، وأخذوا أنفسهم بالدينونة والمحاسبة ، اتقاءً لغضب الله المودي إلى جهنم ، ورغبةً في مرضاته التي تعقب الخير والفوز بجنة النعيم .

والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى استذكار تلكم السير ، التي تبلغ أن تكون الصورة الحية الناطقة بما يجب أن يكون عليه المؤمن ، من تطلُّع صادق إلى حسن العاقبة في الآخرة ، لا يلهيه عن ذلك زخرف أو متاع ، ولا تشغله رغبة عاجلة زائلة في دار الفناء والزوال ، ولكن يتخذ من العمل الصالح ، والجهاد في سبيل الله ، وإعمار الدنيا وفق معايير شريعة الله وأخلاق النبيين إلى الله ، جسراً مباركاً يعبر عليه إلى دار الكرامة التي يُحِلُّها الله عباده الصالحين المتقين المجاهدين .

وكيف لا يكون ذلك ؛ والعبد محصِّي عليه ما اكتسب ، حتى ولو كان ذلك كلمة واحدة نطق بها ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ فقد يتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع بها درجات ، وقد يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يأبه بها تودي به إلى نار الجحيم . قال الإمام البخاري في الجامع الصحيح : حدثني عبدالله بن منير سمع أبا النضر قال : حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله - يعني ابن دينار - عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، لا يُلقى لها بالاً يرفعه الله بها

درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » ولقد عمل هذا الوعيد عمله في نفس التابعي الجليل علقمة بن وقاص الليثي رحمه الله ؛ فكثيراً ما كان يمتنع عن الكلام ، خشية أن يقع في زلة تعود عليه بهالاً تحمد عقباه في الآخرة من غضب الله تعالى ؛ ذلكم ما أخرج الإمام أحمد في المسند حيث قال : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزني قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » قال : « فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعيه حديث بلال بن الحارث ». وأخرجه مالك في الموطأ وأصحاب السنن والحاكم وصححه وقال الترمذي : حسن صحيح .

وغير خاف أن علقمة — أجزل الله مشوبته — وقد انتفع بهذا الحديث — كما أسلفنا — قد بلغ به الورع أن يصمت عن كثير من الكلام خشية أن تزل به القدم ، وهو لا يدري ، فيكون ممن تسقر بهم الجحيم . وقال الحافظ ابن كثير - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير - : وذكر عن الإمام أحمد « أنه كان يثن في مرضه ، فبلغه عن طاوس أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين . فلم يثن أحمد حتى مات رحمه الله » .

وهذا الخوف من النار والطمع في أن تكون الجنة هي المأوى ، مما حمل أئمة الهدى رحمهم الله ، على الكثير من التثبت عند الجواب عن سؤال ، أو الفتوى في حكم من الأحكام . جاء في كتاب «ترتيب المدارك» للقاضي عياض و «أدب المفتي والمستفتي» للإمام ابن الصلاح أن الإمام مالكا كان يقول : «من أجاب في مسألة فينبغي من قبل أن يجيب فيها ، أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه في الآخرة ؟ ثم يجيب فيها» وشدة ورع الإمام أحمد على هذه الساحة معروفة ومشهورة . وقد نقل عن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما « أنه كان لا

يكاد يفتي فتيا ولا يقول شيئاً إلا قال : اللهم سلمني وسلم مني» وفي هذا أوضح الدلالة على أن أهل الخشية قد عقلوا عن الله ورسوله عليه الصلاة والسلام حقيقة البشارة والنذارة في أمر الآخرة ، وعاقبة كل من المحسنين والمسيئين .

وكلما ازدادت المعرفة ، ازدادت الخشية ، وقد بشر الله تبارك وتعالى الذين يخشون ربهم بالغيب أن لهم المغفرة والأجر الكبير ؛ ذلكم قوله جل وعلا : ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ والعلماء العاملون أولى الناس بأن يكونوا - وهم مسؤولون عن بيان شريعة الله للأمة - من أهل الخشية لله الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ولا يبيعون دينهم بدنيا الآخرين ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . قال ابن الصلاح في كتابه « أدب المفتي والمستفتي » : (وجاء عن أبي سعيد عبدالسلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون إمام المالكية وصاحب « المدونة » التي هي عند المالكيين ككتاب « الأم » عند الشافعيين أنه قال : « أشقى الناس من باع آخرته بدنياه ، وأشقى منه من باع آخرته بدنيا غيره » . قال : ففكرت فيمن باع آخرته بدنيا غيره فوجدته المفتي يأتيه الرجل قد حنث في امرأته ورقيقه فيقول له : لا شيء عليك ، فيذهب الحانث فيتمتع بامرأته ورقيقه ، وقد باع المفتي دينه بدنيا هذا . قال ابن الصلاح : وعن سحنون : « أن رجلاً أتاه فسأله عن مسألة فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام ، فقال له : مسألتني أصلحك الله ، لي اليوم ثلاثة أيام . فقال له : وما أصنع لك يا خليلي ؟ مسألتك معضلة ، وفيها أقاويل ، وأنا متحير في ذلك . فقال له : وأنت أصلحك الله لكل معضلة : فقال له سحنون : هيهات يا ابن أخي !! ليس بقولك هذا أبذل لك لحمي ودمي إلى النار ، ما أكثر ما لا أعرف ، إن صبرت ، رجوت أن تنقلب بمسألتك ، وإن أردت أن تمضي إلى غيري ، فامض تُحِبَّ عن مسألتك في ساعة . فقال له : إنما جئت إليك ولا أستفتي غيرك . فقال له : فاصبر عافاك الله ثم أجابه بعد ذلك » .

قلت : بيت القصيد في كلام سحنون - بعد كل هذا التثبت والورع وثناء السائل عليه بأنه لكل معضلة - : قوله أعظم الله أجره ، وأعلى مقامه يوم اللقاء :

« ليس بقولك هذا أبذل لك لحمي ودمي إلى النار » إن هذا العالم الذي ازدان سلوكه بالحيلة في دين الله والورع أن يقول ما ليس بحق ، على ذكر من عظم المسؤولية يوم يقف الناس لرب العالمين ، وأن من تهاون في تجاوز ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، بأن يحرم حلالاً أو يحلل حراماً ، كان عليه وزره ووزر من كان هو السبب في ضلاله ، وكانت عاقبة أمره خسراً .

ولكم يحسن العالم صنعا ، حين يتقي الله في نفسه وفي الآخرين ، فيذكر المساءلة أمام جبار السماوات والأرض ، وأن العذاب عذاب الله شديد ، غير ناس ما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفي رواية للبخاري « فيفتون برأيهم » .

وقفنا الله لمرضاته ، وجنبنا مزالق الأقدام ومضللات الفتن ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجارنا - بمنه وكرمه - من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

جهنم عقبي الظالمين

كلما ازداد النظر المتبصر فيما جاء عن الله تعالى ، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام ، في شأن دار البقاء ، وما يجب من إعداد العدة والتزود ليوم القيامة الذي لا ريب فيه ... ربا إيمان المؤمن في قلبه ، وأشرق في نفسه أكثر وأكثر سلامة التصور لتلك الرحلة بين الدنيا والآخرة ، فيما قسم للإنسان من عمر يقضيه في دار من أوضح سماتها أنها زائلة فانية ، وأنه منقلب بعد الموت إلى دار ، هي حقاً دار البقاء والخلود. من أجل هذا ترى الموفقين لا تلهيهم دنياهم عن ذكر الله ، والعمل لما بعد الموت ؛ يفرحون بما يأتون من عمل ليوم المعاد ، راجين من الله قبوله ، ويحزنون على ما يفوتهم من ذلك ، فرقاً من يوم الحساب ، سائلين المولى عز وجل عفوه ومغفرته فهو سبحانه الغفور الرحيم . ويا نعم ما يفوزون به يوم الفصل من جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للذين آمنوا وكانوا يتقون .

أما أهل الضلالة : فالفضية عندهم لا تقدم ولا تؤخر ، قلوب غافلة - والعياذ بالله - وبُعد عن الله في الأقوال والأفعال . وبئس ما يصنعون من سلوك طريق الغواية التي تنتهي بهم إلى جهنم وساءت مصيراً . أخرج الترمذي بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطار » ذلك بأن المؤمن منور قلبه ، دائم الخوف والمراقبة لله عز وجل ؛ فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه . عظم الأمر عليه وتاب وأناب . وأين الفاجر اللاهي من هذا !!؟

والحق أن المؤمن كما تُفرح قلبه بشرى الجنة ونعيمها ، وما أعد الله فيها من كريم الفضل وجزيل العطاء لأهل الإنابة والصلاح ، يخيفه ويرعبه ما جاء في الأخبار الصادقة عن نار السعير وما يملؤها من مشاهد الهول والعذاب الشديد؛

وكلما زكت النفس، كان ذلك أدعى للارتفاع وصدق التوجه إلى العمل الذي يصلح به المؤمن آخرته ، فيفوز بدار النعيم ، وينجو من أن يكون في عداد من يقال عقاباً للواحد منهم: ﴿خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ والأمر أولاً وآخرأ ، خطير جدٌ خطير ، فمع الرجاء برحمة الله وفضله ، مابد من أن يكون المرء على ذكر من تلك الأحوال التي تنصبُّ على أولئك الذين يهون في جهنم التي لا يكاد يدرك قعرها ، ولا ينفعهم أن يصطرخوا فيها من شدة العذاب : هل إلى مردٍ من سبيل ؟ .

جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أن حجراً قذف به في جهنم لهُوى سبعين خريفاً حتى يبلغ قعرها» . رواه البزار وأبو علي وابن حبان في صحيحه والبيهقي كلهم من طريق عطاء بن السائب . وقان الإمام مسلم : حدثنا يحيى بن أيوب قال : حدثنا خَلَف بن خليفة قال : حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة . فقال النبي ﷺ : تدرون ما هذا ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها» . قال المنذري : ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «سمع رسول الله ﷺ صوتاً هاله ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ : «ما هذا الصوت يا جبريل ؟ فقال : هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاماً ، فهذا حين بلغت قعرها ، فأحبَّ الله أن يُسمعك صوتها . فما رثي رسول الله ﷺ ضاحكاً ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل» .

من هنا رأينا أهل الصلاح الربانيين في هذه الأمة ، يأخذون الأمر مأخذ العزيمة؛ فيجدون في طاعة الله والجهد في سبيله ، ويجتهدون ، ومع عظيم رجائهم بسعة رحمته سبحانه وتعالى ، يأخذون أنفسهم بالخوف من عذاب الله ونقمته، وتعمل أخبار جهنم وما هي عليه ، عملها في تذكيرهم إذا غفلوا ، وشحذ همهم

لمضاعفة التزود النافع ليوم المعاد ، وتراهم يعملون على النصح للأمة كيما تكون على الجادة في تدبُّر كتاب الله والعمل بهدي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأن ذلك هو المعتصم - بعون الله - من الغفلة والإعراض عن تذكّر ما يمكن أن يكون عليه الحال ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر باليتني كنت تراباً ﴾ .

هذا أبو بشر صالح بن، بشير المري المتوفى سنة ثنتين وسبعين ومائة : واحد من أولئك الوعاظ الزهاد الذين رقت قلوبهم، وصفت من أكدار الدنيا نفوسهم، فتذوقوا حلاوة العمل للآخرة، وكانوا على كثير من الخوف مع الرجاء ، وكذلك يفعل الربانيون . أخرج أبو نعيم في كتابه «حلية الأولياء» عن الحسن بن حسان قال : «كنا يوماً عند صالح المري وهو يتكلم ويعظ ، فقال لرجل حَدِّث بين يديه : اقرأ يا بني ، فقرأ الرجل ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ فقطع عليه صالح القراءة فقال : وكيف يكون للظالمين حميم أو شفيع ؟ والطالب لهم رب العالمين . إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأغلال إلى الجحيم حفاة عراة مسودة وجوههم ، مزرقة عيونهم ، ذائبة أجسامهم ، ينادون يا ويلاه يا ثوراه !! ماذا أنزل بنا ، ماذا حلّ بنا ، أين يُذهب بنا ، ماذا يراد منا ، والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يُجرّون على وجوههم ويسحبون عليها متكئين ، ومرة يقادون إليها عتاً مقرّنين ؛ من بين باك دماً بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت ؛ إنك والله لو رأيتهم على ذلك ، لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت له قلبك ، ولا يستقر لفضاعة هوله على قرار قدمك . ثم نحب وصاح : ياسوء منظراه ، ويا سوء منقلباه ، وبكى وبكى الناس . فقام شاب به تأنيث فقال : أكل هذا في القيامة يا أبا بشر ؟ قال : نعم والله يا ابن أخي وما هو أكبر من ذلك !! لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم ، فلا يبقى منها إلا كهيئة الأئين المدنف ، فصاح الفتى : إنا لله ، واغفلناه عن نفسي أيام الحياة ، ويا أسفي على تفريطي في طاعة الله ، واأسفاه على تضييع عمري في دار الدنيا . ثم بكى

واستقبل القبلة ثم قال : اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لك ، لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلني على ما كان مني ، واعف عما تقدم من عملي ، وأقلني من عثرتي وارحمني ومن حضرني ، وتفضل علينا بجودك أجمعين يا أرحم الراحمين .
لك ألقيت معاهد الآثام من عنقي ، وإليك أنبت بجميع جوارحي ، صادقاً بذلك قلبي ، فالويل لي إن لم تقبلني ؛ ثم غلب فسقط مغشياً عليه ، فحمل من بين القوم صريعاً يكون عليه ويدعون له .

وكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه يدعو الله له ويقول : بأبي قتيل القرآن ، بأبي قتيل المواعظ والأحزان ؛ فرآه رجل في منامه فقال : ما صنعت ؟ قال : عمّنتي بركة مجلس صالح ، فدخلت في سعة رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء .

سبحان الرحيم الرحمن لا رب غيره ولا خير إلا خيره . اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، أصلح لنا شأننا كله واغفر لنا ذنوبنا كله ، برحمتك نستغيث ومن عذابك نستجير ، لك الأمر كله وبيدك الخير كله ، إنك على كل شيء قدير .

أعذني أهل النار عذاباً

أعاذنا الله وإياكم من النار ؛ ذلك ما دعا به الإمام العابد الثقة الزاهد فضيل ابن عياض التميمي المتوفي سنة ١٧٨ في ختام كلمات لبعض من كان يعظهم ويذكرهم الموت واليوم الآخر . قال رحمه الله : « لا تجعل الرجال أوصياءك ، كيف تلومهم أن يضيّعوا وصيتك وأنت قد ضيعتها في حياتك ، وأنت بعد هذا تصير إلى بيت الوحشة ، وبيت الظلمة ، وبيت الدود ، ويكون زائرُك فيها منكراً ونكيراً ، وقبرُك روضةً من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ثم بكى الفضيل وقال : أعاذنا الله وإياكم من النار » . وَحَقُّ للفضيل رحمه الله أن يدعو الله بأن يعيذه ومن كان يعظهم من النار ؛ فلکم تعوذ رسول الله ﷺ وأمر بالتعوذ منها لشديد هولها وما فيها من النكال .

والمؤمن الحريص على دينه ، الصادق في طلب النجاة من عذابها يوم الدين ، يسلك مع التعوذ بلسانه ، مسلك الأصفياء أهل الصدق مع الله ، فيبتعد عن كل ما هو من طريقها بسبب .

من يا ترى ، يكون له قلب ، ويتدبّر ولو القليل من أخبارها ، ثم يلهو مع اللاهين ، ويتمرّغ في حماة الغفلة والغافلين ؟؟ قال الإمام الترمذي : حدثنا عبدالله ابن عبدالرحمن قال : أخبرنا عاصم بن يوسف قال : حدثنا قُطبة بن عبدالعزيز عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « يُلقى على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون ، فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون بالطعام ، فيغاثون بطعام ذي عُصّة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيرون العَصَص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب ، فيرفع إليهم الحميم ، بكلايب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم ، شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت

ما في بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ قال : فيقولون : ادعوا مالكم ، فيقولون : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فيجيبهم : ﴿ إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ ﴾ قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام ، قال : فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا أحد خير من ربكم ، فيقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ قال : فيجيبهم ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ فعند ذلك يسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل . قال عبدالله بن عبدالرحمن - يعني اندارمي - والناس لا يرفعون هذا الحديث ، أي بل يروونه موقوفاً على أبي الدرداء قال أبو عيسى : إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله : وليس بمرفوع . وقطبة بن عبدالعزيز هو ثقة عند أهل الحديث .

هذا : والحديث وإن كان موقوفاً لكنه في حكم المرفوع - كما يقول صاحب تحفة الأحوذى - فإن أمثال ذلك ليس مما يمكن أن يقال من قبل الرأي . وإذا كان الأمر كذلك ، فلا شك في أن الفوز المبين ، إنما يكون في الزحزحة عن النار ودخول الجنة ، ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .

واخذ الحديث المذكور ، يذكرنا بما جاء في شأن أهل الجنة وما يتفضل الله به عليهم من العطاء ، وأهل النار وخلودهم فيها ، وما يسقون من الحميم الذي يقطع أمعاءهم وذلك في صورة تعين على التمييز بين الحالين ، نجدها في الآية الخامسة عشرة من سورة محمد ذلكم قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ .

ولقد كان من رحمته ﷺ بأمته ، أنه لم يقتصر على بيان ما يكون عليه أهل الجحيم عموماً - وهم يصلون العذاب الأليم ويصطرخون ، ولا يقضى عليهم فيموتوا - ولكنه كشف عن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، ليذهب الذهن كل مذهب في أشدهم عذاباً والمعاذ الله ؛ وذلك إبعاداً للناس عن كل ما يؤدي إلى الغفلة عن يوم الغاشية ، وشحذاً للهمم في طاعة الله ومرضاته والجهاد في سبيله ، لأن الأمور آخذ بعضها برقاب بعض ، والتكليف في الدنيا وارتباطه بالمسؤولية والجزاء يوم القيامة - كما أشرت غير مرة - واضح كل الوضوح . أخرج الإمام البخاري في الجامع الصحيح بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل بالقمقم » ورواه مسلم دون ذكر « كما يغلي الرجل بالقمقم » ورواه الترمذي بأخصر من هذا أيضاً . وللبخاري في رواية أخرى « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخص قدميه جمرة يغلي منها دماغه » . وروى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار ، يغلي دماغه من حرارة نعليه » .

فإذا كان هذا حال الأدنى ، فما بالك بما هو أشد وأشد ؟ عافانا الله جميعاً من هول جهنم ، وسلك بنا - وهو الرحيم المنان - سبيل من ينشر عليهم رحمته في ذلك اليوم العصيب ، ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ . قال الإمام مسلم : وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال : حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً » .

والحق أن هذا البيان المفصل من النبي ﷺ لما جاء في كتاب الله عز وجل ، فيه مزيد من التبصير ، لمن أراد التبصر وصدق الوجهة في طلب النجاة من عذاب الله

يوم القارعة ؛ لأن الله لا يظلم الناس شيئاً ، ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ ،
وأبواب الجنة مفتحة لطالبيها بصدق وعزيمة وإخلاص لله عز وجل ، في القول
والعمل .

هذا: ولم يدع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، أن يبين صور أخذ النار
لأهلها وقانا الله شرها . أخرج مسلم بسنده عن قتادة قوله : سمعت أبا نضرة
يحدث عن سمرة - يعني ابن جندب - أنه سمع نبي الله ﷺ يقول : « إن منهم من
تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حُجْزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه » .
وأخرج من رواية سمرة بن جندب رضي الله عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال : « منهم
من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه
النار إلى حُجْزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته » ثم قال الإمام مسلم :
حدثنا محمد بن المثني ومحمد بن بشار قالوا : حدثنا زُوَّح قال : حدثنا سعيد - بهذا
الإسناد - وجعل مكان حُجْزته - حَقْوِيه - .

الحُجْزة : معقد الإزار والسرَّويل . والترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر
والعاتق . (حَقْوِيه) بفتح الحاء وكسرهما : هما معقد الإزار ، والمراد هنا ما يحاذي
ذلك الموضع من جنبه .

ومما يجدر ذكره أن المؤمن إزاء ذلك كله ، لا ييأس من رحمة الله تبارك وتعالى ،
بل يعمل الصالحات ويحذُّ في طاعة الله الكريم سبحانه ، والجهاد في سبيله ،
ويتخذ من الترغيب في الجنة وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ، والتهيب من النار وما يلقي أهلها من عذاب السموم ، وما
يضعمون من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ، وما يسقون من ماء حميم يقطع
أمعاءهم... يتخذ من ذلك كله حافزاً إلى الارتفاع عن كل ما يقعد عن مسلك
أهل الإنابة الموفقين، مهما كلف ذلك من جهد واحتمال للمكاره ؛ والله تبارك
وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ومن لطفه وإحسانه أن جعل العقابة
للمتقين .

عظيم من أبناء الآخرة

قال الله جل ثناؤه : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ اللهم لطفك ورحمتك بنا في هذا اليوم العصيب ، ونسألك - وأنت الكريم المنان - أن تؤتي أنفسنا تقواها في هذه الدار ، وأن تزكيها أنت خير من زكاها ، كي تكون يوم الفصل في ذلك المشهد الزاخر بترقب المصير ، على الحق بين يديك ، وأنت أحكم الحاكمين .

ولكم كان أولو النهى مستبصرين صلحاء حكماء ، حين صحبوا في حياتهم حقيقة ما يحفل به ذلك اليوم من المشاهد العظام ، واتخذوا من تلك الحقيقة نوراً يضيء لهم السبيل ، فلا يحول دونهم ، ودون العمل للآخرة ، رغب أو رهب من أمور الدنيا ، ولا يقعدهم عن اللحاق بركب أهل الاستقامة الصادقين ، تزين هوى أو نفثات شيطان !! أجل : كم كان هؤلاء البررة صلحاء حكماء ، عندما أثروا ما يبقى عل ما يفنى ، وحرصوا على اقتحام العقبات مهما غلا الثمن ، وأوجب من توضحيات . وتراهم - وقد ذاقوا حلاوة السلوك إلى مرضاة الله والفوز بدار النعيم - لا يعدلون بلذة صبرهم على اللأواء ، وجهاد النفس والعدو ، لذة من لذائذ الدار الفانية التي يعمي حبها قلوب الغافلين .

أرأيت إلى رسول الله ﷺ كيف كان يؤكد بشارة آل ياسر بالجنة التي هم بها مؤمنون ، عندما كان يمر بهم وبنو مخزوم ينزلون بهم شديد العذاب !! روى ابن إسحاق وغيره « أن بني مخزوم كانوا يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه وأمه رضي الله عنهم إذا حمت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول : صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة ؛ فأما أمه : فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام . » ألا إن دار الخلود الجنة التي فيها من النعيم المقيم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، موعد هؤلاء الذين صبروا للفتنة القاتلة والبلاء المدمر ، فلم يغيروا ولم يبدلوا ..

إنه لمشهد بالغ الأنس حقاً؛ مشهدهم وقد أحلهم الله دار الكرامة من فضله وقيل لهم : ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ .

هذا : ومع ما جاء في الترخيص لمن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، عندما يقابل بالأذى الذي يضعف من احتماله وذلك قوله تعالى : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ نجد العلماء - وقد عقلوا عن الله ما تشرق به مشاهد أولئك المكرمين من العطاء غير المحدود في جنة الخلد يوم القيامة - يرون جواز أن يستقتل المؤمن في سبيل الله عندما يواجه بالفتنة ومرارة الأذى لصده عن سبيل الله ... قال الحافظ ابن كثير يرحمه الله : «ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالى المكره على الكفر إبقاءً لمهجته - يعني ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان - ويجوز له أن يستقتل كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ، وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتى إنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ، ويأمرونه أن يشرك بالله ، فيأبى عليهم وهو يقول : أحد أحد ، ويقول : والله لو أعلم كلمة أغیظ لكم منها لقلتها ، رضي الله عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن خلاد بن زيد الأنصاري لما قال مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع : فلم يزل يقطعه إزباً وإزباً وهو ثابت على ذلك» .

ولقد عمل هذا الثبات الصابر عمله في مواجهة التحديات ، على ساحة الصراع بين الحق الذي يحمله المسلمون ، وبين الباطل الذي يتمرغ في حماة أهل الضلال الكافرون ؛ فلا مساومة ولا مهادنة ، وما عند الله خير وأبقى ، والموعود الجنة دار الخلود . ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن حذافة السهمي أحد الصحابة رضي الله عنه : «أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له : تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي ، فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب ، على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت : فقال : إذا أقتلك . قال : أنت وذاك ! فأمر به فُصِّل ، وأمر الرماة ، فرموه قريباً من يديه ورجليه - وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى - ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر -

وفي رواية ببقرة من نحاس - فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام تلوح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يُلقى فيها ، فرفع في البكرة ليلقى فيها ، فبكى ، فطمع فيه ودعاه ، فقال له : إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة ، تلقى في هذه القدر الساعة في الله ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله . » وفي بعض الروايات (أنه سجنه ومنعه من الطعام والشراب أياماً ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير ، فلم يقربه ، ثم استدعاه . فقال : ما منعك أن تأكل ؟ فقال : أما إنه قد حل لي ، ولكن لم أكن لأشمتك فيّ ، فقال له الملك : فقبّل رأسي وأنا أطلقك ، فقال : وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ فقال : نعم ، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده . فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقام فقبّل رأسه) وهذه الرواية عند ابن عساكر أخرجهما من طريق البيهقي ، وكذا الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة» ولها شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موصولاً عند ابن عساكر ، وابن الأثير في كتابه « أسد الغابة » .

وفي « سير أعلام النبلاء » للذهبي : (الوليد بن مسلم قال : حدثنا أبو عمرو ومالك بن أنس أن أهل قيسارية أسروا ابن حذافة ، فأمر به ملكهم ، فجُرّب بأشياء صبر عليها ، ثم جعلوا له في بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثاً لا يأكل ، فاطّلعوا عليه ، فقالوا للملك : قد اثنى عنقه ، فإن أخرجه وإلا مات ، فأخرجه وقال : ما منعك أن تأكل وتشرب ؟ قال : أما إن الضرورة كانت قد أحلّت لي ، ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام . قال : فقبّل رأسي ، وأخلى لك مائة أسير قال : أمّا هذا : فنعم ، فقبّل رأسه ، فخلّى له مائة ، وخلّى سبيله) .

لقد كانت جنة الخلد وما يشرق على أهلها من موعود القرآن وحديث النبي عليه الصلاة والسلام حيث الروضات التي فيها يجبرون . ولهم فيها ما تشتهيهم أنفسهم وتلد أعينهم ، وإنعام الله عليهم برضوانه الأكبر ؛ لقد كانت الجنة وما

فيها من موعود الصدق الذي هو حق اليقين نُصب عيني — هذا الصحابي الجليل — ناهيك عن حرصه على عزة الإسلام والمسلم والبذل الصادق في سبيل الله مهما كانت العواقب .

هذا : وقد كان موقف ملك الروم الذي تأثر التأثر كله بصنيع ابن حذافة مدعاة لتساؤل العلماء عن الحقيقة وراء هذا الموقف، وهل هي الإيمان؟ قال الإمام الذهبي : (ولعل هذا الملك قد أسلم مِرّاً ، ويدل على ذلك مبالغته في إكرام ابن حذافة . وكذا القول في هرقل إذ عرض على قومه الدخول في الدين ، فلما خافهم قال : إنما كنت أختبر شدتكم في دينكم . فمن أسلم في باطنه هكذا ، فيرجى له الخلاص من خلود النار ، إذ قد حصل في باطنه إيماناً ما ، وإنما يخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول ، واعتقد أنها حق ، مع كون أنه على دين صحيح ، فتراه معظماً للدينين إلى أن قال : فهذا لا ينفعه الإسلام حتى يتبرأ من الشرك) .

مات المجاهد الصادق ابن حذافة في خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين .

دعوى الجاهلية وجثاء جهنم

ما من مكلف يريد الآخرة ويسعى لها سعيها - وهو مؤمن - إلا ويجد في هدي النبي ﷺ - وهو المؤمن على بيان الكتاب العزيز - طريقاً إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار ، وتلك حقيقة لا ينكرها إلا من سفه نفسه ، وأسلم قياده الفكري والعملي للهوى والشيطان ، وأياً ما كانت التعللات المنتحلة ، والمعاذير التي لا يقوم لها دليل .. فإن النصوص المتعلقة بعاقبة أهل الضلالة والصد عن سبيل الله ؛ من نار تلظى وعذاب أليم ، والنصوص المتعلقة بعاقبة أهل الهداية والتقوى والجهاد في سبيل الله ؛ من جنة عرضها السماوات والأرض أعدّها الله لعباده المؤمنين المتقين .. كل أولئك مما يشهد للحقيقة المومى إليها ، شهادة مشرقة مبينة تستعلي على كل الدعاوى الفارغة والأباطيل .

هذا واحد من الأمثلة التي تكاد تعز على الحصر في هذا الجانب ، من هديه عليه الصلاة والسلام ؛ إنه مشهد تنخلع له القلوب من مشاهد يوم القيامة .. مشهد نفر من الناس يدعون بدعوى الجاهلية ، فيسهمون في نقض عرى الإسلام بما يصدّون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً ، وقد بلغ من وعيد النبي ﷺ على هذه الضلالة المفسدة أن أصحابها يكونون يوم الدين من جثي جهنم والعياذ بالله ؛ ذلك لأن الجاهلية تلك : شرك بالله وعدوان على الفطرة والعقل ، وتقليد أعمى للآباء والأجداد واتباع للهوى ، ومظاهرة للباطل على الحق ، ناهيك عما تحمل من جناية على إنسانية الإنسان !!

جاء في حديث طويل أخرجه الترمذي عن زيد بن سلام أن أبا سلام حدثه أن الحارث الأشعري رضي الله عنه حدثه أن النبي ﷺ قال في هذا الحديث : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه ، إلا أن يرجع ، ومن

ادّعى دعوى الجاهلية - وفي رواية من دعا دعوة الجاهلية - فإنه من جُثى جهنم ؛ فقال رجل : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله « قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . قال محمد بن اسماعيل : الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث . ثم قال الترمذي : حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو داود الطيالسي قال : حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري عن النبي ﷺ نحوه بمعناه . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وأبو سلام الحبشي اسمه معطور ، وقد رواه علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير .

قيد شبر : أي قدر شبر . الرِّبقة في الأصل كما يقول العلماء : حبلٌ فيه عرى كثيرة تشد به الغنم ، الواحدة منها رِبقةٌ التي هي العروة . فاستعار للإسلام رِبقة ، يعني بها العروة يشد بها المسلم نفسه من عرى الإسلام . جُثى : جمع جُثوة بالضم وهي الشيء المجموع من جماعات جهنم . قال ابن الأثير : هذا فيمن رواها مخففة يعني « جُثى » ومن رواها « جُثي » مشددة - فإنه أراد الذين يجثون على الركب ، واحدها : جاثٍ من قوله تعالى : ﴿ حول جهنم جثيًا ﴾ وفي « لسان العرب » . (وفي الحديث « فلان من جُثى جهنم » قال أبو عبيد : له معنيان : أحدهما : أنه ممن يجثو على الركب فيها ، والآخر : أنه من جماعات أهل جهنم على رواية من روى جُثى بالتخفيف ، ومن رواه من جُثي جهنم بتشديد الياء ، فهو جمع الجاثي قال الله تعالى : ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا ﴾ .

وأنت ترى مع هذا البيان منه عليه الصلاة والسلام عن مشهد أولئك الذين يدعون بدعوى الجاهلية ، بكونهم من جُثى جهنم ، أو من جُثي جهنم يوم القيامة .. ترى تلك الإشارة الواضحة إلى قوله تعالى في آخر آية من سورة الحج : ﴿ وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملةً أياكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم

وتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٦٣﴾ .

والحديث أخرجه أحمد في المسند وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ،
والحاكم في المستدرک وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في
« التلخيص » وجاء النص عند الإمام أحمد في إحدى الروايات بلفظ « من جُثَاء
جهنم » بالمد ؛ ذلكم ما روى بسنده عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن
جده مطور عن الحارث الأشعري ، حيث جاء هناك : « ... وأنا آمرکم بخمس الله
أمرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ، فإنه من خرج
من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ، ومن دعا
بدعوى الجاهلية فهو من جُثَاء جهنم قالوا : يارسول الله وإن صام وإن صلى وزعم
أنه مسلم ؟ قال : وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم ؛ فادعوا المسلمين
بأسمائهم بما سماهم المسلمون المؤمنون عباد الله عز وجل » . وله من رواية أخرى
« .. ومن دعا دعوى الجاهلية فهو جُثَاء جهنم . قال رجل : يارسول الله وإن صام
وصلى ؟ قال : نعم وإن صام وصلى ، ولكن تسمّوا باسم الله الذي سمّاكم عباد الله
المسلمين المؤمنين » . الجُثَاء كسحاب : بفتح الجيم : الشخص ويضم ، ويأتي
بمعنى الجزاء والقدر والزهاء يقال : جُثَاء كذا أي زهاؤهم .

وغير خاف ما للصلة البينانية بين حديث النبي ﷺ - وهو يتوعد من يدعو
بدعوى الجاهلية الناقضة لعرى الإسلام - وبين قوله تعالى في الآية السابعة والستين
من سورة مريم : ﴿ فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ
جِثْيًا ﴾ والسياق يدل على أن هذا الوعيد الشديد جاء لأولئك الذين ينكرون البعث
يوم القيامة إذ سبقت بقوله جل شأنه : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه مِن قَبْلُ ولم يك شيئا ﴾ فالله تبارك وتعالى
يقول لنبيه محمد ﷺ : فورك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين : أئذا متنا لسوف
نخرج : أحياء من قبورهم مقرّنين بأوليائهم من الشياطين ، ثم لنحضرنهم حول

جهنم جثياً - وقرئت كلمة « جثياً » بضم الجيم وكسرهما ...

وقد روى الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المعنى : ولنحضرهم حول جهنم قعوداً - جمع قاعد - أو أنهم يكونون جماعات جماعات ، أو جثياً على الركب - كما روي عن قتادة - ؛ وكل هذه الصور توحى بهول ذلك المشهد أعاذنا الله منه . ومن الجائر - كما روي عن مقاتل - أن يكون معنى « حول جهنم » أي في جهنم ، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله تقول : جلس القوم حول البيت ؛ إذا جلسوا داخله مطيفين به ، وقيل : يجثون حولها قبل أن يدخلوها . ولقد يشتد الكرب أكثر وأكثر على أولئك الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ، فيصرهم الناس في ذلك اليوم - وقد بركوا على الركب من شدة الخزي والهول حول جهنم أيضاً - نقرأ ذلك في آية أخرى من سورة مريم - يبدو الحديث الذي نسعد بالرحلة معه ، وثيق الصلة البيانية بها كذلك - ألا وهي قوله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ .

قال ابن زيد : الجُثِيُّ : شر الجلوس ، لا يجلس الرجل جاثياً إلا عند كرب ينزل به . وقد ورد عن قتادة أيضاً « إن الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة ، فأما المؤمنون : فأضاءت لهم حسناتهم فأنجوا منها ، وأما الكفار : فأوبقتهم أعمالهم واحتبسوا بذنوبهم » ويا يؤس الظالمين في ذلك اليوم العصيب ..

التهايب الشملة... والمسؤولية والجزاء

في رحلتنا مع زمرة طيبة من مشاهد القيامة - كما جاءت الأخبار عنها في السنة المطهرة المبينة للكتاب العزيز وما في تلك المشاهد من تحقق وعد الله عباده الصالحين المستقيمين على الصراط السوي ، وما فيها مما أوعده أولئك الذين استعبدتهم الضلالة فعموا وصمّوا وكانوا من أهل السعير -.. في هذه الرحلة المباركة ، نقع على العديد من المواطن التي تحمل إيدان النبي ﷺ - وهو الذي لا ينطق عن الهوى - بما تكون عليه صورة من يظلمون أنفسهم بالمخالفة عن أمر الله وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام ، ويشترون الحياة الدنيا بالآخرة ، مولّين ظهورهم لحقيقة ما يؤذن به قول الله تعالى تنبيهاً للأمة وتحذيراً لها من الغفلة : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ والآخره هنا هي الجنة ؛ إذ أخبر عما هو واقع بهم من العذاب جزاء ما اقترفوا من الإثم ، ويوم القيامة ينكشف الغطاء ؛ ويزداد الأمر اتضاحاً وجلّاء .

قال الإمام البخاري في كتاب المغازي من « الجامع الصحيح » : « حدثني عبدالله بن محمد قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا أبو إسحاق عن مالك ابن أنس قال : حدثني ثور قال : حدثني سالم مولى ابن مطيع أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : « افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والجوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له : مدّعم ، أهده له أحد بني الضباب . فبينما هو يحيطُ رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من الغنائم التي لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً . فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو شراكين فقال : هذا شيء كنت أصبته ، فقال رسول الله ﷺ : شراك

الحوائط : البساتين، جمع حائط . سهم عائر : لا يُدري من رمى به وقيل : هو الحائد عن قصده . أما الشراك - بكسر الشين - : فهو سَيْرُ النعل على ظهر القدم ، والسَّيْرُ يُقَدُّ عادة من الجلد . والشملة : كساء يغطي به ويتلفف فيه .

والملاحظ أن القوم قد جزموا بأن الرجل شهيد محكوم له بالجنة أول وهلة ، فزجرهم النبي ﷺ رداً لحكمهم هذا ، قائلاً : « بلى والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من الغنائم التي لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » ذلك بأن أخذ هذا الثوب لنفسه قبل أن تقسم المغانم هو من الغلول ؛ والغلول حرام منهي عنه . قال أبو عبيد : الغُلُول هو الخيانة في الغنيمة خاصة ، وقال غيره : هو الخيانة في كل شيء . ويقال منه : غَلَّ يَغْلُ . وقال ابن قتيبة : سمي الغُلُول بذلك لأنَّ أَخَذَهُ يَغْلُهُ في متاعه أي يخفيه فيه ، ونقل الإمام النووي رحمه الله الإجماع على أنه من الكبائر . وقال تعالى .. ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ .

واشتعال الشملة على مذعم ناراً .. محتمل - كما قال الحافظ - أن يكون ذلك حقيقة بأن تصير الشملة نفسها ناراً فيعذب بها ، ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار ، وكذا القول في معنى قوله ﷺ : « شراك أو شراكان من نار » . إذ أن النبي ﷺ نَبَّه على المعاقبة عليهما ، وقد تكون المعاقبة بهما نفسيهما ، فيعذب بهما وهما من نار ، وقد يكون المراد أنها سبب لعذاب النار ؛ أعاذنا الله من حرها ولفحها بمنه وكرمه سبحانه .

ولا بد من الإشارة هنا إلى ما حكى الدارقطني عن موسى بن هارون أنه قال : وهم ثور في هذا الحديث لأن أبا هريرة لم يخرج مع النبي ﷺ إلى خيبر ، لكنه قدم بعد خروجهم ، قال أبو مسعود : ويؤيده حديث عتبة بن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتيت النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحوها » قال : ولكن لا

يشك أحد أن أباهريرة حضر قسمة الغنائم . فالغرض من الحديث قصة مدعم في غلول الشملة ، وأن ذلك تسبب في أن تشتعل عليه ناراً . قال الحافظ ابن حجر : قلت : وكان محمد بن إسحاق صاحب المغازي استشعر بوفهم ثور بن زيد في هذه اللفظة ، فروى الحديث عنه بدونها . أخرجه ابن حبان والحاكم وابن منده من طريقه بلفظ « انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى » ورواية أبي اسحاق الفزاري التي في هذا الباب تسلم من هذا الاعتراض ؛ بأن يحمل قوله : « افتتحنا » أي المسلمون . قال رحمه الله : وقد تقدم نظير ذلك قريباً . وروى البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » من وجه آخر عن أبي هريرة قال : « خرجنا مع النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى » فلعل هذا أصل الحديث . وحديث قدوم أبي هريرة المدينة والنبي ﷺ بخيبر ، أخرجه أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق خُثيم بن عراك بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة قال : « قدمت المدينة والنبي ﷺ بخيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة ، فذكر الحديث وفيه : « فزودنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتحها النبي ﷺ ، فكلّم المسلمين فأشركونا في سهامهم » .

هذا : وكان لابد للحافظ من الجمع بين هذا - أعني القسم لأبي هريرة ومن معه من غنائم خيبر - وبين الحصر في حديث أبي موسى الذي قبله عند البخاري ؛ وهو قوله رضي الله عنه : « قدمنا على النبي ﷺ فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد غيرنا » وكان الجمع بين الحديثين بأن موسى أراد أنه عليه الصلاة والسلام لم يسهم لأحد لم يشهد الواقعة من غير استرضاء أحد من الغانمين : إلا لأصحاب السفينة التي قدم فيها أبو موسى ، ومن معه من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، وأما أبوهريرة وأصحابه : فلم يعطهم إلا عن طيب خواطر المسلمين والله أعلم .

وفي عود على بدء في ظل الاعتبار بذلك المشهد المروّع ، مشهد الشملة ، أو العباءة - كما جاء في بعض الروايات - التي تلتهب على صاحبها الذي غلّها ناراً في الدنيا ، ويوم يقوم الحساب : ننظر في روايات آخر للحديث الذي ندندن حول معناه ودلالته ؛ فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

«خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا ، فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي ، ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له وهبه له رجل من جُذام يُدعى رفاعه بن زيد من بني الضبيب ؛ فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحلُّ رحله ، فرمي بسهم كان فيه حتفه . فقلنا : هنيئاً له الشهادةُ يا رسول الله ! قال رسول الله ﷺ : كلا والذي نفس محمد بيده ، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً ، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم ، قال : ففرع الناس ، فجاء رجل بشارك أو شراكين فقال : يا رسول الله أصبت يوم خيبر ، فقال رسول الله ﷺ : شراك من نار أو شراكان من نار» .

ويبدو أن الرجل المشار إليه هنا : هو «مِدْعَم» المصرح به في رواية البخاري، وهو كذلك في الموطأ عند مالك رحمه الله .

و الحق أن مما يخيف المؤمن ويذكره وجوب الثبات على الصراط السوي في حيلة وحذر بالغين : ذلك المشهد البارز ، يوم القيامة بدلالته والذي أخبر عنه النبي ﷺ هنا في هذه الدار وكانت الطريق إليه تعدّي حدود الله في أمر الغنيمة، الأمر الذي يؤكد ما يجب أن يكون في حسّ المؤمن من الترابط بين العمل في دار الفناء والمسؤولية في دار الجزاء .

هو في النار...

في متابعة للرحلة مع بعض من نصوص السنة المطهرة ، في شأن تلکم المشاهد التي تعلن إعلانها يوم القيامة ، وتنذر من تسوّل لهم أنفسهم المخالفة عن أمر الله ورسوله بالفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، تحسن الإشارة إلى أن الرجل الذي أخبر النبي ﷺ بأن الشملة التي غلّها تلتهب عليه ناراً - ولذلك زجر من حكم له بالشهادة والشهيد له ما له من المكانة العظيمة عند الله - هو مدعم الذي جاء التصريح به في رواية الامام البخاري ، ولم تصرّح به رواية مسلم ؛ إذ جاء عنده على لسان أبي هريرة « ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعه بن زيد .. » الحديث ؛ فقد روى الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً إلا الأموال والثياب والمتاع - ولعله أراد بالأموال هنا الحوائط كما جاء عند البخاري - فوجّه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، حتى إذا كنا بوادي القرى ، بينما مدعّم يحطّ رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر . فأصابه فقتله . فقال الناس : هنيئاً له الجنة . فقال رسول الله ﷺ : كلاً والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتمل عليه ناراً . قال : فلما سمع الناس ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : شراك أو شراكان من نار » . ورواه أبو داود .

على أن هنالك رواية عند الإمام البخاري جاءت بلفظ « كركرة أو كركرة » لرجل غلّ عبادة من المغانم أخذها من المغانم لم تصبها المقاسم . فتحت « باب الغلول » من كتاب الجهاد قال رحمه الله : حدثنا علي بن عبد الله قال : حدثنا سفيان عن عمرو عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن عمرو قال : « كان على نَقْل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة فمات ، فقال رسول الله ﷺ : هو في النار

فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءةً قد غلَّها .

الثَّقَل بئاء وقاف مفتوحتين : العيال وما يثقل حمله من الأمتعة . أما كَرَكْرَة أو كَرِكْرَة : فقد ذكر الواقدي أنه كان أسود يمسك دابة رسول الله ﷺ في القتال . وروى أبو سعيد النيسابوري في كتابه « شرف المصطفى » أنه كان نوبياً أهده له هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة فأعتقه . قال الحافظ رحمه الله : وفي الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره . وقوله : « هو في النار » أي يعذب على معصية ، أو المراد هو في النار إن لم يعف الله عنه .

ونظراً لغلظ تحريم الغلول ، وأن ذلك يتنافى مع صدق النية للقتال في سبيل الله جاء البخاري في كتاب الجهاد من الجامع الصحيح بباب ترجمته : «باب الغلول وقول الله عز وجل : ﴿ومن يغلول يأتي بما غل يوم القيامة﴾» . ثم أتى بحديث يدل على مشهد الفضيحة يوم القيامة على رؤوس الخلائق لهذا الإنسان الذي وقع في ذلك الإثم ، وكيف أن رسول الله لا يستجيب لاستغاثته ، لو استغاث به في تلك الساعة العصية لأنه بُلِّغ وعصى ما بُلِّغ حيث زينت له نفسه أخذ ما أخذ ، رغبة في عرض زائل ، لا قيمة له أمام ثواب المجاهد الصادق في سبيل الله ، قال رحمه الله : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى عن أبي حيان قال : حدثني أبو زرعة قال : حدثني أبو هريرة رضي الله عنه قال : «قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال : لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمّمة يقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك . أو على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك . أو على رقبته صامت فيقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، أو على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا أملك شيئاً قد أبلغتك » .

الصامت : الذهب والفضة ، وقيل : مالا روح فيه من أصناف المال .

سبحان الله كم يحمل هذا النص المبارك ، من التذكير واستثارة كوامن الإيمان بأن الدنيا متاع زائل ، وأن ما عند الله خير وأبقى !! قال المهلب : « هذا الحديث وعيد لمن أنفذه الله عليه من أهل المعاصي ، ويحتمل أن يكون الحمل المذكور لا بد منه ، عقوبة له بذلك ، ليفتضح على رؤوس الأشهاد . وأما بعد ذلك : فيألي الله الأمر في تعذيبه أو العفو عنه » . وقال غيره : « هذا الحديث يفسر قوله عز وجل ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ » .

وقد جاء عند الإمام مسلم - بمناسبة الغلول - ما يكشف عن ارتباط الإيمان وكماله ، بالاستقامة على شرع الله وعدم تجاوز حدوده سبحانه ، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ؛ فقد روى بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله ﷺ : كلا إني رأيته في النار في بُرْدَةٍ غَلَّهَا أو عباءة ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، قال : فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » .

قوله ﷺ : « إني رأيته في النار في بردة غَلَّهَا - أو عباءة - » أما البرْدَةُ بضم الباء : فكساء مخطط وهي الشملة والنمرة وجمعها بُرْدٌ بفتح الراء . وأما العباءة : فمعروفة ويقال فيها أيضاً : عباية بالياء ، قاله ابن السكيت وغيره . وقوله ﷺ : « في بردة » : أي من أجلها وبسببها . وقد استنبط الإمام النووي من هذا الحديث وسابقه الذي أوردناه من قبل : غلظ تحريم الغلول وأنه لا فرق بين قليله وكثيره حتى الشراك ، وأن الغلول يمنع من إطلاق اسم الشهادة على من غلَّ إذا قتل .

هذا : وتحت باب « تعظيم الغلول » من السنن أخرج أبو داود بسنده عن زيد ابن خالد الجهني « أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : صلوا على صاحبكم ، فتغيرت وجوه الناس لذلك ، فقال : إن

صاحبكم غلّ في سبيل الله ، ففتشنا متاعه ، فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين . وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد - باب الغلول - من السنن من رواية زيد بن خالد الجهني أنه قال : « توفي رجل من أشجع بخير ، فقال النبي ﷺ : « صلوا على صاحبكم » فأنكر الناس ذلك وتغيرت وجوههم ، فلما رأى ذلك قال : إن صاحبكم غلّ في سبيل الله . قال زيد : فالتمسوا في متاعه فإذا خرزات من خرزات يهود ، ما تساوي درهمين » .

وصلّى الله وسلم وبارك على الأسوة الحسنة معلّم الناس الخير الذي ترك الأمة على بيضاء نقية ليُلها كنهارها لا يزيغُ عنها إلا هالك وعلى آله وصحابه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه المبارك الميمون .

حولها نذكر...٥

من خير ما يزين سلوك المؤمن في علاقته بربه الرحمن الرحيم : أن يكون من أهل الذكرى والتذكر - فما يتذكر إلا من ينب - بعيد القلب والعقل عن الغفلة وسبل الغافلين ، الغافلين الذين ذرأهم الله لجهنم وساءت مصيراً . ذلك بأنهم لم يستخدموا عقولهم وحواسهم في مرضاة الله تعالى ، بل وضعوها في طاعة الهوى والشيطان ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ، هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

من هنا كان الوقوع في شرك الغفلة عنوان الإعراض عن الحق ، والركون إلى ما هو ملهاة وانصراف عن ذكر الله واليوم الآخر ، وذلك هو الخسران المبين .

ومن الواضح - كما تدل الأخبار الصحيحة الموثقة - أن الكثير ممن تحطمهم أهوال القيامة ، ويفتضحون في مشاهدتها على رؤوس الأشهاد ، يكونون من الغافلين الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، وجعلوا من الركون إلى ما فيها من المتاع الزائل ، حائلاً بينهم وبين النظر إلى الآخرة بعين البصيرة ، والعمل ليوم تشخص فيه الأبصار ﴿ وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ .

وإذا كان الأمر كذلك : فالعمل ليوم الجمع الذي هو آتٍ لا محالة - أخذاً بالمنهج الأقوم الذي سلكه إمام المتقين سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام ، والسلف الصالح من بعدهم وحتى يوم الناس هذا - دليل التبصّر الإيماني وحسن الأحذوثة ، ناهيك عن التصديق الجازم بما دلت عليه معالم الهداية في كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، حين كشفت بجلاء

ووضوح لا مزيد عليهما، عن عاقبة كل من أهل الهداية والاستقامة، وأهل الضلالة والانحراف، يوم يجمع الله الخلائق ليوم لا ريب فيه، وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

فترى أولئك البررة الآخذين أنفسهم بذلك المنهج المبارك، يفرحون أشد الفرح إذا وقفوا إلى ما يقربهم إلى الله زلفى، ويجعلهم من أهل السعادة في ذلك اليوم العصيب . ويميزون أشد الحزن إذا فاتهم شيء من ذلك الخير، لأن مطلوبهم أبداً أن تنالهم رحمة الله، ويفوزوا بمرضاته، فيزحوا عن النار، ويدخلوا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ . روي عن مالك ابن دينار «أنه كان يتقنع بعباءة ثم يقول : إله مالِك : قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأبي الدارين دار مالِك ؟ وأبي الرجلين مالِك ؟ ثم يبكي . وكان يقول رحمه الله : لو استطعت أن لا أنام، لم أنم ؛ مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها : يا أيها الناس النار النار . وقد أوردت بعض ذلك عنه في مناسبة سابقة . وكان يقول : لو كان لأحد أن يتمنى، لتمنيت أن يكون لي في الآخرة خص من قصب فأروى من الماء وأنجو من النار» .

ولم لا يكون الربانيون على هذه الشاكلة، والرسول ﷺ - وهو نعم الأسوة الحسنة للأمة - كان يكثر أن يسأل الله الجنة، وأن يستعيز به من النار، أخرج أبوداود في السنن بسنده عن أبي صالح رحمه الله عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ «أن رسول الله ﷺ قال لرجل : كيف تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار . أما إني لا أحسن دندنتك ودندنة معاذ، فقال رسول الله ﷺ : حول ذلك ندندن أنا ومعاذ » ورواه ابن ماجة بلفظ : أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار . أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ؛ فقال : « حولها ندندن » . قال البوصيري في الزوائد : صحيح ورجاله ثقات . وقال الإمام أحمد في المسند : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة

عن الأعمش عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال : « قال النبي ﷺ لرجل : كيف تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار - أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ . فقال النبي ﷺ : حولها ندندن . »

الدندنة : أن يتكلم الإنسان بكلام تسمع نغمته ولا يفهم لحفائه . قال ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث » : (فيه أنه سأل رجلاً ما تدعو في صلاتك ؟ فقال : أدعو بكذا ، وأسأل ربي الجنة ، وأعوذ به من النار . فأما دندنتك ودندنة معاذ : فلا نحسنها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « حولها ندندن » . وروي : « عنهما ندندن » ثم قال : الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم ، وهو أرفع من الهينة قليلاً ، والضمير في حولها للجنة والنار أي حولها ندندن وفي طلبهما .. إلى أن قال : وأما « عنهما ندندن » فمعناه أن دندنتنا صادرة عنهما وكاثنة بسببهما) .

والأحاديث في دعائه ﷺ بهذا الدعاء وأمثاله وتعليم ذلك الصحابة رضي الله عنهم كثيرة وفيرة . وكل أولئك من رحمته ﷺ بأمته وتوجيهها وجهة العمل الصالح وحسن التضرع إلى الله ، طمعاً بالجنة واتقاءً للنار ، وطالما فصل عليه الصلاة والسلام القول في الجنة ونعيمها ، والنار وأهوالها وأحوال أهلها . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقتهم فلفحتهم لفحة ، فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقتة على العرقوب » رواه الطبراني في « الأوسط » والبيهقي في كتاب « البعث والنشور » مرفوعاً . قال المنذري : ورواه غيرهما موقوفاً عليه وهو أصح .

وماذا أنت قائل بمشهد المجرمين وهم مقرنون في الأصفاد ، وبسيماهم التي يعرفون بها ﴿ يُعْرِفُ الْمَجْرَمُونَ بِسَيِّمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ أي بعلامات تظهر عليهم . قال الحسن وقتادة : يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون . قال

الحافظ ابن كثير : قلت : هذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء .
وبعد التَّعَرُّف عليهم تجمع الزبانية ناصية المجرم مع قدميه ويلقونه في النار
كذلك . وقال الأعمش عن ابن عباس رضي الله عنهما : يؤخذ بناصرته وقدمه ،
فيكسر كما يكسر الخطب في التنوير . وعنه وفي رواية أخرى : يُجمع بين رأسه
ورجليه ثم يقصف كما يقصف الخطب . رواه البيهقي . وروى عن الضحاك قوله :
يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره . ونرى عند السدي قوله :
يجمع بين ناصية الكافر وقدميه ، فتربط ناصيته بقدمه ويقتل ظهره .

اللهم إنا داعون بدعاء نبيك عليه الصلاة والسلام ؛ فنسألك الجنة ونعوذ بك
من النار . لك العتبي حتى ترضى ، وأنت المحمود على كل حال .

نار لا تطفأ.. وعذاب لا ينفذ

من صفات المؤمن الذي يرجو الله واليوم الآخر : أنه يدعو الله رغباً ورهباً ، ولا يتوانى عن السباق في مضمار العمل الصالح ، والقيام بالطاعات وفعل الخيرات ، رجاء أن يكون من الناجين من عذاب الله يوم القيامة ، الفائزين بجنته ورضاه . وفي الوقت نفسه ، يتخذ من الترغيب بما أعد الله لعباده الطائعين المخبتين ، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، من الخير العميم . ومن التهيب مما توعد به من ظلموا أنفسهم ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وغرهم بالله الغرور ، من سوء العقابة والعذاب الغليظ .. يتخذ من ذلك كله عوناً - بعد الله - على نفسه الأمانة بالسوء ، فيدينها ويزكيها ، ويجعل اليوم الآخر نصب عينيه ، طامعاً برحمة الله ومغفرته ، خائفاً من عقابه الأليم .

وذلكم هو العقل المبصر ؛ لا العقل الذي تقوده الأهواء والشهوات ؛ فالأمر عندما تأزف الآفة لا يحتمل التسويف . والأخبار عن الذين يحكم عليهم بأن يذوقوا العذاب الأليم : تضطرب لها القلوب وتقشعر من هول ما تنذر به الأبدان . أرأيت إلى مشهد أولئك الذين كفروا بآيات الله ؛ كيف يصلبهم ربنا القادر القاهر نار جهنم ! وكيف أنه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ إنه مشهد كشف رسول الله ﷺ عن بعض صورهِ المرعبة ، التي تحفز إلى أخذ النفس بالجد في طاعة الله تعالى ، وقطع ما بينها وبين من ضربت العماية قلوبهم ، وانقلبوا على أعقابهم خاسرين ؛ قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إسحاق عن عمران قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث قال : حدثنا شيبان بن فروخ قال : حدثنا نافع أبو هرمز قال : حدثنا نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « تلا رجل عند عمر

هذه الآية ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ الآية فقال: أعدها عليّ - وثمّ كعب - فقال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير هذه الآية ، قرأتها قبل الإسلام ، قال : هاتها يا كعب ، فإن جئت بها كما سمعتُ من رسول الله ﷺ صدّقناك ، وإلا لم ننظر إليها ، فقال : أني قرأتها قبل الإسلام : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ، في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله ﷺ) ورواه البيهقي بلفظ : « يا كعب أخبرني عن تفسيرها فإن صدقت صدقتك ، وإن كذبت رددت عليك ، فقال : إن جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة أو في يوم مقدار ستة آلاف مرة ، قال : صدقت » .

ويبدو - والله أعلم - أن العدد هنا لا مفهوم له والمراد به الكثرة ؛ فقد روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله : « كلما أنضجتهم فأكلت لحومهم قيل خم : عودوا فعادوا » . كما روى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « قرأ رجل عند عمر هذه الآية ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ..﴾ الآية فقال عمر: أعدها عليّ . فأعادها ، فقال معاذ بن جبل ؛ عندي تفسيرها : تُبدل في ساعة مائة مرة . فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله ﷺ » .

وإنما مع سؤالنا المولى لطفه . والنضاعة إليه أن يجعلنا بمنه وكرمه من الناجين ، لا بد أن ننتبه على أن كون الآية تكشف عن مشهد من مشاهد العذاب الأليم لأولئك الذين كفروا بآيات الله ، لا يُنسي أن عصاة المؤمنين يدخلون جهنم إذا شاء الله ذلك ، فيؤدّبون بالعقاب المكتوب عليهم ، جزاء ما اجتروا من السيئات ، ثم في خاتمة المطاف . يُخرجون من النار ويُدخلون الجنة ، على تفصيل نطقت به الأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقد أوردت في صفحات مضت بعضاً منها . وهذا ما يوجب الحذر ، والحرص على التزود بما ينفع يوم اللقاء ، ويباعد بين المؤمن وبين أن يكون ممن تسعربهم نار السعير ؛ شأن من يظلمون أنفسهم ، ويلغون في إثم الظلم للآخرين ، وتمهد لهم الشياطين - شياطين الإنس والجن - سبل الطغيان والجناية على عباد الله المؤمنين . أجل : إن

المؤمن حين يسلك هذا المسلك المرضيَّ يفوز بالجنة - إن شاء الله - وينجو من عاقبة الظلم ومرتعته الوحيم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ والعقل المؤمن يقضي بإيثار ما يبقى على ما يفنى ؛ خصوصاً وأن النصوص قد دلّت على أن صَبْغَةَ واحدة في النار - وهي الغمسة - تنسي أهل الدنيا من أهل النار ، ما كان فيه من النعيم في دار الفناء ، وصَبْغَةَ واحدة في الجنة تنسي أشدّ الناس بؤساً في الدنيا ما كان فيه .

وقد مر بنا من قبل ما روى الإمام مسلم بسنده عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ . وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » يَصْبَغُ صَبْغَةً : أَيِ يَغْمَسُ غَمْسَةً كَمَا يَغْمَسُ الثَّوْبُ فِي الصَّبْغِ . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان قال : حدثنا حماد قال : أنبأنا ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانُ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ اصْبِغُوهُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُونَهَا فِيهَا صَبْغَةً ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ ؟ أَوْ شَيْئاً تَكْرَهُهُ ، فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَكْرَهُهُ قَطُّ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ كَانُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَقُولُ اصْبِغُوهُ فِيهَا صَبْغَةً ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ ، قَرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ خَيْراً قَطُّ وَلَا قَرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ » .

هكذا تنير مشاهد القيامة السبيل للسالكين ، وتذكر بحقائقها الغافلين ، وتدفع إلى العمل الصالح المقصرين ؛ فما من امرئ يعقل عن رسول الله ﷺ ما نبّه عليه ، من وجوب أن يؤثر المؤمن ما يبقى على ما يفنى ، وأنه لا يستوي من يسلك طريق أهل الجنة ، ومن يسلك طريق أهل النار .. إلا بادر بالأعمال الصالحة

المعوقات والفتن ، وسارع إلى مغفرة من مولاه عز وجل ، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . وذلك ما حرص ربانيو هذه الأمة الماجدة ، أن يأخذوا به أنفسهم ، ويؤدوا حق الله في نصح الآخرين وتوجيههم إلى العمل به . روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن يزيد بن هارون قال : قال أبو عبيدة : قال الحسن - وهو البصري - أجزل الله مثوبته : (رحم الله امرأ عرف ثم صبر ، ثم أبصر فبصر ؛ فإن أقواماً عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم ، فلاهم أدركوا ما طلبوا ، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا . اتقوا هذه الأهواء المضلة البعيدة من الله ، التي جماعها الضلالة وميعادها النار لهم محنة . من أصابها أضلته ، ومن أصابته قتلته . يا ابن آدم دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك ، وإن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك ، وإن تكن الأخرى ، فنعوذ بالله ، فإنها نار لا تطفأ ، وجرح لا يبرأ ، وعذاب لا ينفد أبداً ، ونفس لا تموت ، يا ابن آدم إنك موقوف بين يدي ربك ومرتهن بعملك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك ؛ عند الموت يأتيك الخبر ، إنك مسؤول ولا تجد جواباً ، إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه) ..

وعلى هذا السنن من الدعوة إلى إحياء القلوب بذكر الله واليوم الآخر وإعطاء التبصر بحقيقة أن يوم القيامة لا ريب فيه ، ما يستحق من العمل والمخافة من الله .. على هذا السنن كان من كلامه كما أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن حنبل قال : حدثنا محمد بن سابق قال : حدثنا مالك من مِغُول عن حميد قال : (بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد - وهو يمض ماءً ويمجّه - تنفس تنفساً شديداً ، ثم بكى حتى ارتعدت منكباه ، ثم قال : لو أن بالقلوب حياة !! لو أن بالقلوب صلاحاً !! لأبكيكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة هي الليلة . ما سمع الخلائق بيوم قط ، أكثر فيه من عورة بادية ، ولا عين باكية من يوم القيامة) .

وَأَيُّ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ

لا يرتاب امرؤ ذاق حلاوة الإيمان ، واستيقنت نفسه ما جاء به الخبر الصادق عن الغيب ، أن الطريقَ القاصدة إلى العقبي الكريمة - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - التَزَامُ الهدي المحمدي ؛ إيماناً وعملاً ودقة في معايير ما هو من أمور الدنيا وما هو من أمور الآخرة ، ثم سلوكُ السبيل التي تباعد بين الإنسان وبين الوقوع في أحابيل الهوى والشيطان ؛ فلا يغرُّه بالله الغرور ، ولا ينسى في غمرة الحياة الدنيا وزينتها ، أنها دار فناء لا دار بقاء ، وأن السعيد من جعل النجاة في الآخرة نصب عينيه ، وأن السفر بين العاجلة والآجلة ، لا بد له من الزاد وخير الزاد التقوى .

ذلك طريق أهل الفلاح ؛ من سلكه كان الترغيب في الجنة ونعيمها الذي لا ينفد ، والترهيب من النار وما فيها من عذاب السعير ، وأنها ساءت مستقراً ومقاماً ، سلماً إلى المسارعة في الخيرات والقربات ، وإسهار الليل وإظماء النهار في عبادة الله عز وجل ؛ طمعاً في الفوز بالنعيم المقيم والنجاة من النار .. النار التي حرها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامها من حديد . ولا تسل عن طعام أهلها وشرابهم ، وهي تلفح وجوههم ، وكلما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب . قال الترمذي في جامعه الصحيح (السنن) حدثنا عباس الدوري البغدادي قال : حدثنا يحيى بن أبي بكير قال : حدثنا شريك عن عاصم هو ابن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة في هذا موقفٌ أصح . ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك ورواه ابن ماجة والبيهقي في كتابه (شعب الإيمان) مختصراً . اللهم سلم سلم يا كريم ،

اللهم مغفرتك ورحمتك يا أرحم الراحمين . اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا سميع الدعاء يارب العالمين . وروى البزار عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه ذكر ناركم هذه فقال : إنها لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وما وصلت إليكم حتى - أحسبه قال - نُضِحتَ مرتين بالماء لتضيء لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة» . وأخرجه الحاكم وصححه ورواه ابن ماجة عن أنس أيضاً ولفظه : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم . ولولا أنها أطفئت مرتين ما انتفعتم بها ، وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها » قال البوصيري في «الزوائد» : أخرجه الحاكم كما رواه المصنف - يعني ابن ماجة - وقال : صحيح على شرط الشيخين وبعضه في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

ومهما هوّن من شأن جهنم الغافلون ، أو أصمّوا آذانهم عن سماع أخبارها ؛ فالأمر أشدّ والهول أعظم نسأل الله العافية ، ويأويل كل ظالم لنفسه يجعل الله الواحد القهار نداً ويشرك به ، ويأسوء عقبى كل جبار عنيد وكل شيطان مريد .. ويل لهم جميعاً ، ولن يتعلّق بأذيالهم ، من لفح لظى وما تفعله بهم نار السعير ! أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى في سورة المرسلات ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيدون . ويلّ يومئذ للمكذّبين﴾ «ما روى ابن أبي حاتم بسنده عن حسان بن المخارق أو ابن أبي المخارق عن أبي عبد الله الجدلي أنه قال : «أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس ، فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد ينفذهم البصر ، ويسمّعهم الداعي ويقول الله : ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مريد . فقال عبد الله بن عمرو : فإننا نجد في الكتاب أنه يخرج عُنُق من النار ، فتنتطق حتى إذا كانت بين ظهرائي الناس نادى : أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة ؛ أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن

الأخ بأخيه ، لا يُغييهم عني وَزَر ، ولا تُخفيهم عني خافية : الذي جعل مع الله إلهاً آخر ، وكلّ جبار عنيد ، وكلّ شيطان مريد . فتنتوي عليهم ، فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة » وأورده السيوطي في « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » .
العنق من النار : الطائفة . والوَزَرُ : بفتح الواو والزاي : الملجأ .

والحق أن الأخبار الصادقة قد تظاهرت ، عن الهول الهائل الذي يطبع جهنم ، وعن أن الواناً من العذاب فيها تكون لفئات من أهل الضلالة بأعيانهم ؛ روى ابن ماجة بسنده عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تعوذوا بالله من جُبِّ الحُزْنِ . قالوا : يا رسول الله وما جُبُّ الحُزْنِ ؟ قال : وإِِد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمئة مرة . قيل : يا رسول الله من يدخله ؟ قال : أعدّ للقراء المرائين بأعمالهم ، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء الجَوَزة » . ورواه الترمذي وقال : حديث غريب . قال الحافظ المنذري : ورواه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « إن في جهنم لوادياً تستعبد جهنم من ذلك الوادي كلّ يوم أربعمئة مرة ، أعدّ للمرائين من أمة محمد ﷺ » . جب الحُزْن أو الحُزَن : الجب : البئر التي لم تطوّ ، والحُزَن بفتح الحين أو ضم وسكون : ضد الفرج . قال الطيّبي : وهو علم . والإضافة كما في « دار السلام » أي دار فيها السلام من الآفات .

وإذا كان هذا للمرائين الذين لا يريدون وجه الله أو يسخطون الله بمرضاة الناس ، حيث تسقط الأقنعة ، وينكشف الزيف ، ويظهر من كان عمله خالصاً لله عز وجل ، ومن كان مرئياً ؛ يقول أو يفعل اتباعاً للهوى ، وتحقيقاً لغرض من أغراض الدنيا ، أو طلباً لمرضاة من يقدم رضاهم - والعياذ بالله - على رضا من بيده ملكوت السماوات والأرض ، وهو الرازق ذو القوة المتين ..

إذا كان ذلك الوادي من وديان جهنم - وقانا الله شرها وأعاذنا والمسلمين من لفحها وزمهريرها - هؤلاء ، فماذا عن الذين لا يفتنون يسيئون إلى المؤمنين ولا

يكفون عن أذاهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؟! روى ابن أبي الدنيا بسنده عن يزيد بن شجرة الرهاوي قال : « إن لجهنم لجباباً في كل جب ساحل كساحل البحر فيه هوامٌ وحياتٌ كالبحاتي وعقارب كالبغال الدُّلِّل ، فإذا سأل أهل النار التخفيف ، قيل : اخرجوا إلى الساحل ، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك فتكشطها ، فيرجعون فيبادرون إلى مُعْظَم النيران ، ويسلّط عليهم الجرب ، حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم فيقال : يا فلان هل يؤذك هذا ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين » ترجم الحافظ ابن حجر ليزيد بن شجرة وقال : يختلف في صحبته . وقال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » أبو شجرة الرهاوي : فقديم يقال : له صحبة . كان أمير الجيش في غزو الروم . أرسل عن النبي ﷺ وروى عن أبي عبيدة واستعمله معاوية رضي الله عنه . قال شباب : استشهد سنة ثمان وخمسين . وقال ابن سعد : وقتل هو وأصحابه في البحر سنة ثمان . قال منصور عن مجاهد : كان يزيد بن شجرة مما يذكرنا نبيكي . وكان يُصدّق بكاءه بفعله رضي الله عنه .

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وجنبنا مزالق الرياء والهلكة ، اللهم واجعلنا بمنك وكرمك هداة مهتدين ، واسلك بنا طريق الجنة التي وعدت عبادك الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، وصلى الله وسلم وبارك على نبي الهدى والرحمة فيما رغب ورهب ، وحلّ وأندر ، وجزاه الله عن الأمة خير ما يجزي نبي عن أمته في الآخرين .

عقبي المؤمن.. والخوف والرجاء

إذا ذكر أهل التوفيق والفلاح، فحيَّلاً بأولئك الذين خافوا ربهم أشد الخوف، ورجوه أعظم الرجاء، فلا الخوف جعلهم من أهل اليأس والقنوط، ولا الرجاء حملهم على التقاعس عن عمل الصالحات ونسيان ما يكون من أهوال يوم الحساب. وهذا دليل أنهم انتفعوا بما عرفوا عن مسؤولية العبد يوم القيامة، وأحسنوا التذكُّر لمشاهد ذلك اليوم العصيب، وتزودوا له بالإكثار من الطاعات، وفعل القربات قدر المستطاع؛ والملاحظ أن الكتاب العزيز قد أثنى الثناء الكريم على المؤمنين من عباد الله، بأنهم يجمعون بين شدة الخوف من الله، والإحسان في العمل استعداداً ليوم المعاد، ذلك قول الله تبارك وتعالى في سورة المؤمنون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

ولما كان هؤلاء البررة الموفقون قد قدروا اليوم الآخر حق قدره، وأولَّوا ما تكون عليه العاقبة فيه، لكلٍ من أهل الهداية وأهل الضلالة، ما تستحق من العناية والاهتمام.. كان تطلُّعهم إلى الخاتمة تطلُّعاً شديداً، نابعاً من الرغبة الصادقة في النجاة يوم الدين؛ فهم يرجون مولاهم أن يكرمهم بحسن الخاتمة، ويعوذون به من سوءها؛ لأن حسنها عنوان ما يكون بعد الموت - برحمة الله - من الزخزعة عن نار الجحيم والفوز بما يكون للسعداء من جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

وفي هذا الإطار من الإحسان الإيماني، كان السلف الصالح يخافون أشد الخوف من سوء الخاتمة. قال سهل التستري: «خوف الصَّديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ

يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴿١﴾ ولا شك أن حسن الخاتمة يتمثل في أن يختم للمرء بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هذه الكلمة الطيبة التي آمن بها في حياته ، وعمل بمقتضاها مخلصاً الدين لله عز وجل . عقد الإمام البخاري في كتاب الجنائز من الجامع الصحيح باباً عنوانه «باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . وقيل لو هب بن منبه : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك» . وقول البخاري في ترجمة هذا الباب وهو أول باب في كتاب الجنائز : «ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله» فيه إشارة - كما يقول بعض العلماء - إلى ما رواه أبو داود والحاكم من طريق كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» . وذهب الزين بن المنير رحمه الله إلى أن البخاري قد حذف جواب (من) من الترجمة مراعاة لتأويل وهب بن منبه ، فأبقاه إما ليوافقه ، أو ليبقى الخبر على ظاهره .

ولعل من النافع المفيد حقاً ، أن نشير إلى عظيم ما يتميز به العالم العامل من يقظة على طريق الآخرة ، وما يكرمه الله به من حسن الخاتمة ، لما أنه - بتوفيق الله - كان على المورد العذب من العمل بسنة النبي ﷺ وخدمتها والذود عنها . فقد روى ابن أبي حاتم في ترجمة الحافظ أبي زرعة أنه لما احتضر أرادوا تلقينه ، فتذكروا حديث معاذ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » فحدثهم به أبو زرعة بإسناده ، وخرجت روحه في آخر قول « لا إله إلا الله » . وقد أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » وأخرجه الترمذي والنسائي من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بهذا اللفظ ، وفي رواية للنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لقنوا هلكاكم لا إله إلا الله » قال الترمذي بعد إخراج رواية « لقنوا موتاكم ... » الحديث . وفي الباب عن أبي هريرة وأم سلمة وعائشة وجابر وسعدى المزيّة وهي

امرأة طلحة بن عبيد الله . قال أبو عيسى : حديث أبي سعيد : حديث حسن غريب صحيح . وقد نقل الحافظ ابن حجر عن الزين بن المنير (أن هذا الخبر - يعني حديث معاذ - يتناول بلفظه من قالها فبغته الموت ، أو طالت حياته لكن لم يتكلم بشيء غيرها . ويخرج بمفهومه من تكلم ، لكن استصحب حكمها من غير تجديد نطق بها . فإن عمل أعمالاً سيئة ، كان في المشيئة ، وإن عمل أعمالاً صالحة ، فقضيته سعة رحمة الله ، أن لا فرق بين الإسلام النطقي والحكمي المستصحب والله أعلم) .

ومن سعة رحمة الله تعالى بعبده المؤمن ، ما نرى من بيان النبي ﷺ للأدب الذي ينبغي أن يكون عليه عواد المريض ، وهو مقبل على الله في سياقة الموت ، والمرء فيها بعد ؛ إما إلى جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، أو إلى نار حامية أعادنا الله منها ليس لأهلها طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع . روى الترمذي بسنده عن أم سلمة قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض - أو الميت - فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » قالت : فلما مات أبو سلمة ، أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة مات . قال : فقولي : اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة . قالت : فقلت ؛ فأعقبني الله منه من هو خير منه ؛ رسول الله ﷺ . قال أبو عيسى : حديث أم سلمة حديث حسن صحيح ، وقد كان يستحب أن يلقي المريض عند الموت قول لا إله إلا الله .

والحديث أخرجه النسائي بلفظ « فلما مات أبو سلمة قلت : يا رسول الله كيف أقول : قال : « قولي : اللهم اغفر لنا وله وأعقبني عقبى حسنة » فأعقبني الله عز وجل منه محمداً ﷺ . وفي شأن تلقين المريض عند الموت قول لا إله إلا الله حكى الترمذي عن بعض أهل العلم قوله : « إذا قال ذلك مرة ، فما لم يتكلم بعد ذلك ، فلا ينبغي أن يلقن ولا يكثر عليه في هذا » قال : وروي عن عبدالله بن المبارك أنه لما حضرته الوفاة ، جعل رجل يلقيه لا إله إلا الله وأكثر عليه ، فقال له

عبدالله : إذا قلتها مرة فأنا على ذلك ما لم أتكلم بكلام : وإنما معنى قول عبدالله : أنه أراد ما روي عن النبي ﷺ : « من كان آخر قوله لا إله إلا الله دخل الجنة » وقد أورد الحافظ ابن حجر ما حكى الترمذي عن ابن المبارك ثم قال : (وهذا يدل على أنه يرى التفرقة في هذا المقام) .

ومهما يكن أمر : فالقضية التي حولها دندنة الصالحين وإليها تطلع المؤمنين خوفاً من الحور بعد الكور ، أن تكون الخاتمة بحسنها وضيائها عنوان النجاة من عذاب الله يوم الدين ، والفوز برحمة الله ورضوانه في دار المتقين . « لما حضرت أبا هريرة رضي الله عنه الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : يبكيني بعد السفر، وقلة الزاد ، وضعف اليقين ، والعقبة الكؤود التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار » .

ومن هذا المنطلق ، يذكر في ترجمة عبدالمملك بن مروان أنه لما حضرته الوفاة جعل يقول : والله لوددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنبيات في جبالها ولم أل - يعني لم يتولّ شيئاً من أمر المسلمين - وروي عن المزني - رحمه الله - قال : دخلت على الشافعي - أجزل الله مثوبته - في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا عبدالله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخواني مفارقاً ، ولسوء فعلي ملاقياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله عز وجل وارداً ، فوالله ما أدري أروحي تسير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها . ثم بكى وأنشد :

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| فلما قسا قلبي وضافت مذاهبي | جعلت رجائي نحو عفوك سلماً |
| فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل | تجود وتعفو مِنَّةً وتكرماً |
| تعاطمني ذنبي فلما قرنته | بعفوك ربي كان عفوك أعظماً |

رحم الله الإمام الشافعي وأجزل مثوبته في الآخرين ورزقنا حسن الانتفاع بسيرة أولئك الربانيين الذين كانوا على السنة ؛ رجاءً لرحمة الله وخوفاً من عذابه ، وذلك هو الفوز المبين .

الذين يكذبون في جهنم

الحقائق التي تبرزها مشاهد القيامة ، لها في قلب المؤمن موقع يتفق مع القدر الذي أوتيّه من التصديق الجازم واليقين ، فما كان من بشارة :فرح به واستبشر ، وما كان من نذارة : حزن منه وعاد على نفسه بمزيد من التزكية ، ودفع إلى الإقبال الصادق على الله عز وجل .. والمؤمن لا ينكر أن الجنة تزلف يوم الفصل للمتقين ، وأن الجحيم تُبرِّز للغاوين ، كما قال ربنا جل شأنه : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فكذبوا فيها هم والغاوين . وجنود إبليس أجمعون ﴾ .

هكذا تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها ، حتى يستشعروا الروع والحزن ، كما تُقَرَّبُ الجنة وتُدْنى ، كي يستشعر أهلها الفرح بفضل الله ؛ لعلمهم أنهم من أهل النعيم المقيم . ولا تسل عن أولئك الضالين المضلين وأهل الغواية الظالمين كيف يقلبون على رؤوسهم ، ويلقى بعضهم على بعض في جهنم ، بعد أن يجمعوا ويطرحوا فيها ﴿ فكذبوا فيها هم والغاوين . وجنود إبليس أجمعون ﴾ . أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الناس يمرون يوم القيامة على الصراط ، والصراط دَحْضٌ مَرَلَّةٌ ، يتكفأ بأهله والنار تأخذ منهم ، وإن جهنم لتتطف عليهم مثل الثلج إذا وقع ، لها زفير وشهيق ، فبينما هم كذلك إذ جاءهم نداء من الرحمن : عبادي من كنتم تعبدون في دار الدنيا ؟ فيقولون : ربنا تعلم أنا إياك كنا نعبد ؛ فيجيبهم بصوت لم تسمع الخلائق مثله قط : عبادي حق عليّ أن لا أكلكم اليوم إلى أحد غيري ، فقد عفوت عنكم ، ورضيت عنكم ، فتقوم الملائكة عندئذ بالشفاعة ، فينحون من ذلك المكان ، فيقول الذين تحتهم في النار : فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كَرَّةً فنكون من المؤمنين ، قال الله : ﴿ فكذبوا فيها هم والغاوين ﴾ » قال ابن عباس

رضي الله عنهما : ادْخَرُوا فِيهَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ . دحض : زلق لانكاد تستقر قدم من يمشي عليه .

ويا لشدة بؤس من يَحْذَرُونَ فلا يَحْذَرُونَ ، ويذْكُرُونَ فلا يذكرون . إن الذين يتمرغون في أحوال الصدِّ عن سبيل الله والظلم في الدنيا ، وتتلطخ أيديهم بدماء المسلمين ، لهم الحظ الأوفى من تلكم المشاهد الجهنمية التي تنقطع من هونها وشدة أخذها الأكباد ؛ فتراهم وهم يطرحون في السعير ، ويكبكبون فيها ، يصطرخون ولا من مجيب ، بعد أن يطلب منهم أن يعيدوا الدماء التي سفكوها في أجسادها .. ويتمنون ، لو كان الواحد منهم في الدنيا تراباً ، ولم يقع فيما وقع فيه .. ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين الجاحدين الظالمين . أخرج ابن مردويه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أمتي ستحشر يوم القيامة ، فبينما هم وقوف إذ جاءهم منادٍ من الله : ليعتزل سفاكو الدماء بغير حقها ، فيُمَيِّزُونَ على حدة ، فيسيل عندهم سيل من دم ، ثم يقول لهم الداعي : أعيّدوا هذه الدماء في أجسادها ، فيقولون : كيف نعيدها في أجسادها ، فيقول : احشروهم إلى النار ، فبينما هم يجرّون إلى النار ، إذ نادى مناد فقال : إن القوم قد كانوا يهللون ، فيوقفون منها مكاناً يجدون وهجها ، حتى يُفْرَغَ من حساب أمة محمد ﷺ ، ثم يكبكبون في النار هم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون » هذه حال من غلبت عليهم شقوتهم ، ولم يرفعوا لأخبار القيامة وأهوالها رأساً ، وظلّوا في الغواية والظلم لدين الله وأهله سادرين .

أما من عقلوا عن الله ورسوله ما أراد : وأخذوا أنفسهم بما توجهه طريق أهل الفلاح من الاستقامة على دين الله والاستعداد للموت ولما بعد الموت ، والاعتبار بعاقبة كل من أهل السعادة ، وأهل الشقاوة ، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَاباً﴾ .. أما هؤلاء : فيحظون بالنجاة من الكبكة في النار ، ويفوزون بما يفوز به المتقون من جنات ونهر ، ﴿فِي مَقْعَدٍ صَدُوقٍ عِنْدَ مُلِكٍ مَّقْتَدِرٍ﴾ . أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة أن عائشة رضي الله عنها قالت :

«يا رسول الله ، يكون يومٌ لا يغني عنا فيه من الله شيءٌ ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم في ثلاثة مواطن ؛ عند الميزان ، وعند النور والظلمة ، وعند الصراط ، من شاء الله سلّمه وأجازه ، ومن شاء كبّكه في النار ، قالت : يا رسول الله وما الصراط ؟ قال : طريق بين الجنة والنار يجوز الناس عليه ، مثل حد موسى ، والملائكة صافون يمينا وشمالاً يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السعدان وهم يقولون : سلّم سلّم ، وأفئدتهم هواء ؛ فمن شاء الله سلّمه ، ومن شاء كبّكه في النار .»

و - كما أسلفنا - ما من ريب في أن العاقل يستمطر رحمة الله وكريم فضله في دار العمل ، باتّباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، وسلوك الطريق الأقوم التي أوضح معالمها خير ما يكون الإيضاح سيد العالمين وخاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، والموفق التوفيق كلّ من جعل الآخرة همّة ، ودار مع الكتاب العزيز في رحى الحرب الدائرة بينه وبين الباطل وأهله حيث دار ، لافرق بين رغب ورهب ، ولا بين منشط ومكره ، وكان مع السنة المطهرة لا يريم عنها ولا يحيد . إنه إن حمل نفسه على هذا النهج المبارك ، حسنت - بفضل الله - عقباه يوم الدين وأتته الدنيا وهي راغمة . أخرج الترمذي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت الآخرة همّة ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همّة ، جعل الله فقره بين عينيه ، وفرّق عليه شمله . ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له . »

صلى الله على رحمة العالمين سيدنا رسول الله .. ما أعظم هذا البيان وأنفعه ؛ فلكم يكون الذي جعل الآخرة همّة على نور من ربه يُعقب الخير يوم القيامة ، ولكم يكون من جعل الدنيا همّة على ظلام يجعله يتخبط ، فتسوء من وراء ذلك العقبى ، يوم لا يغني مال ولا بنون . وأخرج الحديث ابن ماجه من رواية أبان بن عثمان بن عفان قال : خرج زيد بن ثابت من عند مروان بنصف النهار . قلت : ما بعث إليه هذه الساعة إلا لشيء سأل عنه . فسألته فقال : سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كانت الدنيا همّة فرّق الله عليه

أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له . ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة . وأخرجه أحمد أيضاً من رواية أبان من حديث طويل بلفظ « ومن كانت نيته الدنيا فزق الله عليه ضيعته » .

ومن هنا وجه النبي ﷺ إلى جعل الهموم همّاً واحداً ، هو همُّ المعاد وما يكون عليه الأمر في دار البقاء ، وإلا ساءت الحال في الدنيا والآخرة والعياذ بالله . وذلك هو التوحيد الخالص ، الذي يسعد صاحبه بعدم نسيان الله واليوم الآخر في كل ما يأخذ وكل ما يدع . والمؤمن مطلوب منه أن يعمر الدنيا ولكن وفق منهج الله ، وذكرٍ لعرصات القيامة ويوم الحساب ، وأن الدنيا دار عمل وكسب ، والآخرة دار مسؤولية وجزاء ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ .

وصلّى الله وسلم وبارك على إمام المتقين وخاتم النبيين وعلى آله وصحابه ومن أخذ بسنته وعمل بهديه إلى يوم الدين ..

أهل الآخرة.. وأخذ الجذر في الدنيا

ما أكثر ما يتر ربنا تبارك وتعالى لعباده من صنوف الخير ، وما أعظم ما فتح لهم من مغاليق الهداية، التي ترتفع بهم إلى سدة النجاة من عذاب السعير يوم القيامة ، والإسعادِ بدار المقامة يوم يحشر الناس لرب العالمين .. وتبدو آثار ذلك واضحة للعيان ، في ذلك اليوم الذي يوفي الله فيه العباد دينهم الحق، ويعلمون أنه - جل شأنه - هو الحق المبين . فالذين تذكروا وانتفعوا بالهدي الذي دعاهم رسول الله ﷺ إليه، نجوا من عقاب الله وكانوا من الفائزين ، والذين اتخذوا القرآن ظهيراً، وأعرضوا عن هديه عليه الصلاة والسلام ، أصابته قارعة النقمة، وحلّ بهم العذاب المهين ؛ حتى إنك لترى يوم القيامة مئات من المؤمنين، يتمنون أن لو لم تعجل لهم استجابة لدعاء دعوه في الدنيا؛ لما يجدون من إكرام الله لهم في ادخار دعواتهم لتكون عطاءً في جنة الخلد .

وعلى العكس من ذلك: يتمنى أهل الغفلة والإعراض عن الله ، لو أن بينهم وبين ما أسلفوا من مساوات في الدنيا أمداً بعيداً ، لما يرون من تحقق الوعيد الذي كانوا به كافرين ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾ .

أخرج الحاكم في المستدرک بسنده عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ﴿ يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول : عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعوني ؟ فيقول : نعم يارب ، فيقول : أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبتُ لك ، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لِعَمّ نزل بك أن أفرّج عنك ففرّجت عنك ، فيقول : نعم يارب ، فيقول : إني عجّلتها لك في الدنيا . ودعوتني يوم كذا وكذا لِعَمّ نزل بك أن أفرّج عنك فلم تر فرجاً ؟ قال : نعم يارب ، فيقول : إني ادخرت

لك بها في الجنة كذا وكذا . ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها ؟ فيقول : نعم يارب ، فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك ، فلم تر قضاءها ؟ فيقول : نعم يارب ، فيقول : إني أذخرت لك بها في الجنة كذا وكذا . قال رسول الله ﷺ : فلا يدعُ الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا يبيّن له إما أن يكون عجل له في الدنيا ، وإما أن يكون أذخر له في الآخرة . قال : فيقول المؤمن في ذلك المقام : ياليتي لم يكن عجلٌ له شيء من دعائه »

هكذا تشرق الرحمة الربانية بضياها على المؤمن المخلص في عبوديته لله عز وجل ، فيسعد في الدنيا ، ويجد من الكرم الإلهي يوم الحساب في جنات عدن ، ما لم يخطر على قلبه في يوم من الأيام ، وإذا كان الأمر كذلك : والعبد بأمس الحاجة في ساعات الشدة من ذلك اليوم ، إلى نفحة من نفحات الله تنجيه من طعام ذي غُصّة وعذاب أليم ، وتنظّمه في عقد من رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك الذين تُرلف لهم الجنة غير بعيد . إذا كان الأمر كذلك : فحريٌّ بالمؤمن أن يأخذ حذرهِ في دار الفناء حتى يلقى الله يوم يلقاه وهو طاهر الذيل ، نقي الثوب ، لا تثقله عن طريق النجاة أوزاره ، ولا تقعه من المرتقى الكريم خطاياهُ ، يضيء طريقهُ يوم يدلهمُ الكرب إخلاصٌ في الدين ، وعمل بشريعة سيد المرسلين ، وصدق في الوجهة رجاءٌ وخوفاً ؛ فهو يرجو رحمة الله ويخشى عذابه ، والله جل شأنه لا يُضيع مثقال ذرة من عمل .

وذلكم ما ازدان به مسلك أهل التوفيق ، أولئك الذين دأبوا على الاجتهاد في طاعة الله ، والعمل على حسن التأسي برسول الله ﷺ ذكراً للآخرة ، وعدم نسيان لأهوال يوم الفصل موعد الخلق أجمعين ؛ ولذلك ترى الواحد منهم - على تعدد مذاهبهم في العمل والزهادة - حريصاً الحرص كلّ على أن تأتيه منيته وهو من أهل التذكر ، إيماناً وعملاً ، بعيداً عن الغفلة وطريق الغافلين . روى أبو نعيم في «الحلية» والذهبي في «السير» وغيرهما أن إبراهيم بن بشار الخراسانيّ خادم القدوة

الإمام العارف سيد الزهاد أبي إسحاق العجلي إبراهيم بن أدهم نزيل الشام المتوفي سنة ١٦٢ هـ قال : « أُمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة ، وليس معنا شيء نفطر عليه ، ولا بنا حيلة ، فرآني مغتماً حزيناً فقال : يا إبراهيم بن بشار ، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة ، لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ، ولا عن حج ولا عن صدقة ، ولا عن صلة رحم ، ولا عن مواساة ؛ وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين .. أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة ، أعزة في الدنيا ، أدلة يوم القيامة ، لا تغتم ولا تحزن ، فرزق الله مضمون سيأتيك ، نحن والله الملوك الأغنياء ، نحن الذين قد تعجلنا الراحة في الدنيا ، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا ، إذا أطعنا الله عز وجل ، ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي ، فما لبثنا إلا ساعة ، إذا نحن برجل قد جاء بشمانية أرغفة وتمر كثير ، فوضعه بين أيدينا وقال : كلوا رحمكم الله . قال : فسلم وقال : كل يا مغموم ؛ فدخل سائل فقال : أطعموني شيئاً فأعطاه إبراهيم ثلاثة أرغفة مع تمر ، وأعطاني ثلاثة ، وأكل رغيفين ، وقال : المواساة من أخلاق المؤمنين . »

ويحسن التنبيه على أن إبراهيم رحمه الله كان حريصاً على أن يأكل من كسب يده ، ولا يجد غضاضة - على فضله وزهادته - أن يأجر نفسه لحراسة بستان - أو حصد زرع يوم حصاده - وما إلى ذلك . وقال ابن بشار - كما في « سير أعلام النبلاء » للذهبي - « وكنت معه - أي مع إبراهيم بن أدهم - فأتينا على قبر مستم ، فترحم عليه وقال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها . كان غارقاً في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها . بلغني أنه سر ذات يوم بشيء ونام ، فرأى رجلاً بيده كتاب ، ففتحه ، فإذا هو كتاب بالذهب : لا تُؤثِرَنَّ فانياً على باق ولا تغترَّ بملكك ، فإن ما أنت فيه جسيم لولا أنه عديم ، وهو مُلك لولا أنه هُلك ، وفرح وسرور لولا أنه غرور ، وهو يوم لو كان يوثق له بغد ، فسارع إلى أمر الله ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران (١٣٣) . فانتبه فزعاً وقال : هذا تنبيه من الله وموعظة

فخرج مما هو فيه وقصد هذا الجبل فعبد الله حتى مات .

وأنت واجد أن ورع أهل التقوى ، خوفاً من المساءلة في يوم لا بيع فيه ولا خُلة ، قيس من هدي رسول الله ﷺ الذي وجه الأمة إلى ما فيه النجاة يوم الحسرة ، والفوزُ بمرضاة الله عز وجل ، ويتأكد وجوب الحيلة والحذر مما يوقع في الهلكة يوم الدين إذا كنا على ذكر من أن الأمة الإسلامية ، مطلوب منها - مع إباحة الطيبات - أن تعمُر الأرض في طاعة الله ، وتُعَدَّ ما تستطيع من قوة من أجل الجهاد في سبيل الله ، وأن تحكم ضوابط الإسلام في التصرفات جميعها ، فساحات العمل متسعة الأرجاء على صعيد الاقتصاد وكسب المال وإنفاقه ، والسياسة والاجتماع ، والبناء الحضاري - على وجه العموم - والمسلم في كدحه إلى ربه بصدق وإخلاص وخوضه غمار الحياة تحقيقاً لرسالته في الأرض ، لا يشغله عن الآخرة شاغل ، ولا يصرفه عن الوقوف عند حدود الله وعدم اعتدائها صارف .. ولو كانت الأخرى، فهي طريق الهلكة يوم الدين . قال الإمام الترمذي : حدثنا هناد وأبو زرعة وغير واحد قالوا : أخبرنا قبيصة عن إسرائيل عن هلال بن مقلاص الصيرفي عن أبي بشر عن وائل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أكل طيباً وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة ، فقال رجل : يا رسول الله إن هذا اليوم في الناس لكثير قال : وسيكون في قرون بعدي » . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث إسرائيل وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣ / ٥٤٦) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

البواثق : جمعٌ مفردة بائقة ، وهي الداهية من الشر والظلم ، قال ابن الأثير في «النهاية» ومنه « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » أي غوائله وشروبه . والبواثق : الدواهي جمع بائقة وهي الداهية .

المجرمات وإعانة الظالمين..

المسؤولية والجزاء

ما أكرمه وأعزه موقفاً ؛ حرص المؤمن على التزام الطاعة ، وحجز نفسه عن المخالفة عن أمر الله ورسوله ، كيما يكون - بعون الله وفضله - يوم الدين في زمرة أولئك الذين يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، ناجياً من أن يكون في عداد أولئك الذين مأواهم جهنم وساءت مصيراً . وأبواب الخير مُسرعة متاحة لمن يجاهد نفسه وهواه ، ولا يستبدل عاجلاً بآجل ، أن يدخلها ويكون - بعون الله - من أهل ذلك الفضل العظيم . أما من يركن إلى الدنيا ، ويرضى بالقيود عن اللحاق بركب أهل الآخرة الطائعين المجاهدين ، الصابرين المنيين : فقد ظلم نفسه وكان من الخاسرين . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ البقرة آية (١٦٨) فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال : « يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له النبي ﷺ : يا سعد أطب مطعمك ، تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ، ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيّما عبد نبت لحمه من سُحت فالنار أولى به » . رواه ابن مردويه والطبراني في « الصغير » ، وأحد الرواة عند ابن مردويه متكلم فيه عند العلماء .

السحت : الحرام . وقيل : الخبيث من المكاسب . وعن ابن سيرين - كما جاء عند البخاري - كان يقال : السحت الرشوة في الحكم . أرايت إلى السحت كيف يقود صاحبه إلى جهنم ؟ .

وأخرج الترمذي بسنده عن طارق بن شهاب عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أعيذك بالله يا كعب بن عُجرة من أمراء يكونون من بعدي : فمن غشي أبوابهم ، فصَدَقَهم في كذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليس مني ولست منه ، ولا يرد عليّ الحوض . ومن غشي أبوابهم أو لم يغش . فلم يصدقهم في كذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ؛ فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض . يا كعبُ بن عُجرة ! الصلاة برهان ، والصوم جُنة حصينة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، يا كعب بن عُجرة ! إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به . يا كعب بن عُجرة ! الناس غاديان : فغاد في فكاك نفسه فمعتقها وغاد فموبقها » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . ورواه ابن حبان في صحيحه . وجاء عند الإمام أحمد في المسند من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لكعب بن عُجرة : أعاذك الله من إمارة السفهاء قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : أمراء يكونون بعدي ، لا يقتدون بهدي ، ولا يستنون بسبي فمن صدقهم بكذبهم ولم يُعَنِّهم على ظلمهم ، فأولئك مني وأنا منهم وسيردون علي حوضي . يا كعبُ بن عُجرة ! الصوم جنة ، والصلاة قربان ، أو قال : برهان . يا كعب بن عُجرة ! إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به . يا كعب بن عُجرة ! الناس غاديان : فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها » وأخرجه النسائي ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

معتق نفسه : مبعدها عن نار جهنم بما يعمل مخلصاً من الصالحات ، ويكثر من الطاعات والقربات . وموبقها : مهلكها بكثرة المعاصي واقتراف السيئات ؛ فطوبى لمن ابتاع نفسه وغدا في فكاكها ، فأعتقها من النار ، وفاز برضا الله في جنة الرضوان ! .

وجزى الله الكريم المنان رسولنا عليه الصلاة والسلام خير الجزاء بما هدى إلى الصراط المستقيم ، وبما وضع أمته على المحجة البيضاء النقية التي تسلك

بالمستمسك بها طريقاً قاصدةً إلى دار النعيم ، وتحجزه عن أن يكون من أهل الجحيم . والحق أن الناظر في هدي النبي صلوات الله وسلامه عليه لا يعدم أن يقع على الصلة الوثيقة بين ما رغب فيه من الاستقامة، والعمل الصالح ، وحسن الخلق وما هو من ذلك بسبيل ، وبين مشاهد النور والعطاء الإلهي يوم القيامة ؛ إذ أنه عليه الصلاة والسلام ، قاد بإرشاده وتعليمه إلى حيث يكون العاملون المخلصون من أهل تلك المشاهد المباركة الميمونة . كما أن الناظر في ذلك الهدى الميمون ، لا يعدم أن يقع على الصلة بين ما رهّب ﷺ وحذّر من الوقوع فيه من الاعتداء على حدود الله ، وارتكاب ما نهى الله عنه والتعامل بسوء خلق مع الناس ، وما إلى ذلك من مهاوي الضلال ، وبين تلك المشاهد المروعة يوم الدين ؛ لما أنه عليه الصلاة والسلام قد أخذ بحجز الناس عن النار ، ولكن أهل الخسران أبوا إلا أن يكونوا من أهل تلك المشاهد ، ويقعوا فيها والعياذ بالله . عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه . والذي نفسي بيده لا يُسلم عبد حتى يُسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه يا رسول الله ؟ قال : غشُّه وظُلْمه . ولا يكسب عبد مالاً من حرام فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » رواه أحمد في المسند وغيره .

هكذا يكشف المصطفى عليه الصلاة والسلام عن الداء الذي يودي بصاحبه إلى جهنم ، ويضع الأيدي ببيان عظيم مشرق على الدواء ، وتراه صلوات الله وسلامه عليه ، يضع القواعد النورانية التي ينقاد إليها المنصفون أولو النهى ، ويدخل بعظمته وهديه أعماق النفس الإنسانية ؛ يعالجها ويوجه استعدادها وجهة الخير بعيداً عن السطحية وكلام المتطفلين : إنه - فداه أبي وأمي - لا ينطق عن

الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ . أخرج الإمام الترمذي في الجامع «سنن الترمذي» عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «استحيوا من الله حق الحياء ، قال : قلنا : يا رسول الله - أوبيا نبي الله - إنا لنستحيي والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » . قال أبو عيسى : حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد .

وما من ريب في أن هذا الحياء - كما حدّده النبي عليه الصلاة والسلام - يحمل صاحبه على أداء حقوق الله وحقوق العباد على الوجه الذي ينبغي ، وبذلك يكون لبنة صالحة قوية في بناء المجتمع المسلم . وهذه الحال التقية النقية ، التي لا ينسى صاحبها الله واليوم الآخر ، ويصبح ويمسي وهو على ذكر للموت ولما بعد الموت تكون - بفضل الله - مُدخله إلى الفوز بسعادة الدارين ، وأن يكون في الآخرة من المقربين في جنات النعيم .

والحديث أخرجه أحمد أيضاً في المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه من رواية أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد وجاء في هذه الرواية «ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، وليحفظ البطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء » .

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، واكتبنا في زمرة من يستحيون منك - وأنت الغفور الرحيم - حق الحياء ، واجعلنا - بلطفك وإحسانك - من ورثة جنة النعيم . وصلّ اللهم وسلم وبارك على من أبان عن الخالق جل شأنه ما أراد ، وأوضح لأمته معالم الطريق إلى الفوز بسعادة الدارين .

الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً..

يوم تحدث مشاهد القيامة أخبارها فترى - يا أيها الإنسان - عقبى أهل الفلاح والنجاح وعقبى أهل الضلالة والصدّ عن سبيل الله ، يومئذ يتبين الغافلون أنهم لم يكونوا على شيء من الحق ، وأنهم ليسوا من العمل لما خلق له الإنسان ؛ في قليل ولا كثير . ويوم تحدث مشاهد القيامة أخبارها، وتعلن حقيقة المسؤولية والجزاء إعلانها - فالناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر - في ذلك اليوم العصيب الذي يحمل من شدة الهول ما يحمل ، ويأخذ الفزع من سوء العاقبة في عرصاته بمجامع القلوب .. يضيء نور الخشية من الله ، لأهل الخشية طريقهم، فتنتشع الظلمة ، ويفوزون بجنة النعيم ؛ فضلاً من الله ورضواناً . ويا نعم ما يفعل المؤمن في الدنيا حين يستعلي على المعوقات ويسلك طريق من قال الله فيهم : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال الحافظ ابن كثير أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة والعلم به أكمل - كانت الخشية له أعظم وأكثر . روي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذا: العالم بالرحمن: من لم يشرك به شيئاً ، أحل حلاله ، وحرم حرامه ، وحفظ وصيته ، فأيقن أنه ملاقيه ، ومحاسب بعمله . وقال سعيد بن جبير : الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل .

وهذه الخشية التي تؤول بصاحبها إلى الفوز بمرضاة الله ، وأن يحشر في زمرة المؤمنين المتقين .. هذه الخشية عنوان كمال الإيمان . قال الحسن البصري : الإيمان من خشي الرحمن بالغيب ، ورغب فيما رغب الله فيه ، وزهد فيما سخط الله فيه ، ثم تلا الحسن : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور﴾ . وهكذا يكون من الأهمية بمكان : أن يقوم البرهان على تلك الخشية ، بالتزام كل ما فيه طاعة لله ،

والرغبة فيما رغب فيه سبحانه ، والبعد عما رهب منه في كتابه أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام .

والحق أن منهج الهداية إلى ما فيه خير الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة - كما هو واضح في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام - قطع على المتبطلين الغافلين انتحال الأعذار ، والتعلُّلات الشيطانية الكاذبة . وقد ترك النبي ﷺ الأمة على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك . فليس من صورة من صور المواخذه التي يشهدها العباد يوم الدين ، على المخالفة عن أمر الله ورسوله ، إلا وهي حجة ناطقة ، يفترض أن تشد من أزر العاملين ، وتوقظ المهملين الغافلين ، وتحدث - من وراء ذلك - ما تحدث من طمأنينة في حياة الفرد واستقراره في المجتمع ؛ لأن إنسانية الإنسان مصونة ، والحقوق والواجبات آخذة حقها وفق شريعة الله ، واستقامة الأمة على العمل بها .

هذا واحد من الأمثلة على هذه الساحة ، تعز على الحصر قال الإمام البخاري: حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وفي رواية لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . فجاء الأشعث بن قيس فقال : ما حدّثكم أبو عبد الرحمن ؟ في أنزلت هذه الآية ، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي ، فقال لي : شهودك . قلت : ما لي شهود . قال : فيمينه . قلت : يارسول الله إذن يحلف . فذكر النبي ﷺ هذا الحديث ، فأنزل الله ذلك تصديقاً له .

فليحذر الذين يؤذون عباد الله ويغتصبون حقوق المسلمين - أياً كانت هذه الحقوق - أن يكونوا يوم القيامة ممن توجع بهم نار السعير ؛ لأنهم يلقون الله وهو

عليهم غضبان . وقد جاء التصريح عند مسلم وغيره بإيجاب الله النار ، وتحريمه
الجنة لمن اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه . أخرج الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق مسلم بيمينه فقد أوجب الله له
النار وحرّم عليه الجنة » ورواه أحمد وأبو داود والترمذي .

ياله من مشهد مرعب مهول !! يستمتع هذا المؤذي بحق المسلم في الدنيا ،
فيعاقب بأن يكون من وقود جهنم في الآخرة . ونجد في بعض روايات الحديث
تفصيلاً أوفى مما في رواية الإمام البخاري التي فيها ذكر الأشعث رضي الله عنه .
فعند مسلم من رواية أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله
ﷺ أنه قال : « من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها
فاجر ، لقي الله وهو عليه غضبان » . قال : فدخل الأشعث بن قيس فقال : ما
يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ قالوا : كذا وكذا . قال : صدق أبو عبد الرحمن فيّ نزلت .
كانت بيني وبين رجل أرض باليمن فخاصمته إلى النبي ﷺ فقال : « هل لك
بينة ؟ فقلت : لا . قال : فيمينه . قلت : إذن يحلف - أو يحلف - فقال رسول الله
ﷺ عند ذلك : من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ هو فيها فاجر
لقي الله وهو عليه غضبان » ، فنزلت ، ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً
قليلاً .. ﴾ إلى آخر الآية .

وحملت إلينا بعض الروايات واقعة أخرى توعّد فيها النبي ﷺ مقترف تلکم
الجنایة ذلك الوعيد الشديد ، وهو وعيد حسبك من شدته أن يغضب الله عليه ،
ومن لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان فقد أوجب له النار وحرّم عليه الجنة .
روى مسلم بسنده عن الأحوص عن سماك عن علقمة بن وائل عن أبيه قال :
« جاء رجل من حضرموت ، ورجل من كندة إلى النبي ﷺ ، فقال الحضرمي :
يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي ، فقال الكندي : هي أرضي
في يدي أزرعها ليس له فيها حق ، فقال رسول الله ﷺ للحضرمي : ألك بينة ؟
قال : لا . قال : فلك يمينه . قال : يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي على ما

حلف عليه ، وليس يتورع من شيء ، فقال : ليس لك منه إلا ذلك . فانطلق ليحلف ، فقال رسول الله ﷺ لما أدبر : أملت أن حلف على ماله ليأكله ظلماً ، لقي الله وهو عنه معرض » . وله من رواية أخرى عن وائل بن حجر عن أبيه قال : « كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه رجلان يختصمان في أرض فقال أحدهما : إن هذا انتزى على أرضي - أي غلب عليها - في الجاهلية وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي ، وخصمه ربيعة بن عبدان . قال : بيتك . قال : ليس لي بينة . قال : يمينه . قال : إذن يذهب - أو يذهب - بها . قال : ليس لك إلا ذاك ، قال : فلما قام ليحلف قال رسول الله ﷺ : « من اقتطع أرضاً ظالماً لقي الله وهو عليه غضبان » .

ذلكم نطق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ، وإنها للفتنة العمياء والضلال البعيد ، أن يضرب الران على القلوب بالأسداد ، فيسود الظلم ، ويستعلن الاعتداء على حقوق العباد ، ولا من ينكر على الظالم ولا من يأخذ على يديه ؛ فأهل الصلاح مهجورون ، وزبانية الفساد والإفساد يسرحون ويمرحون . ويح أولئك الظالمين ، من يوم تشخص فيه الأبصار ، وتشهدهم الخلائق يُدْعَوْنَ إلى نار جهنم دعاً ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

وصلاة الله وأزكى تسليماته على نبي الرحمة الذي لم يأل جهداً في بيان كل ما يجب بيانه للأمة وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين .

المفلس.. والطرح في النار

من أمارات الفلاح المشرقة في حياة المؤمن : أن يكون وقافاً عند حدود الله عزوجل ، كلفاً أبداً بما يجعله من أهل الرضا ، يرجو رحمة مولاه التي بها يحظى بجنة النعيم ، والإقامة الخالدة في دار الكرامة ، كما يخاف صادقاً من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم العبوس القمطرير الذي شره مستطير ، منتشر عام على الناس ، إلا من رحم الله ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد . فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ . خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربُّك إن ربَّك فعَّال لما يريد . وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربُّك عطاءً غيرَ مجذوذ ﴾ .

والمفلاح حقاً من أخذ نفسه بمنهاج أهل السعادة ، فكانت له جنة عدن خالداً فيها مادامت السماوات والأرض ، ونأى بها عن أن يكون من أهل الشقوة الذين يؤول أمرهم إلى نار تلظى ، لهم فيها زفير وشهيق . والمؤمن لا يتعدى في عمله سنة الله في عاقبة كل من الفريقين ، وأنه لا تزر وازرة أخرى ؛ فهو يعمل جاهداً مخلصاً يرجو رحمة الله ويخشى عذابه ، كيما يكون - بتوفيق الله - من الناجين الفائزين .

ولقد قصّ علينا القرآن قصة كفار قريش يوم كانوا يقولون لمن آمن منهم واتبع هدى الله : ارجعوا عن دينكم إلى ديننا ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾ أي وآثامكم إن كانت لكم آثام في ذلك علينا ، فأكذبهم الله تبارك وتعالى مبيناً أنهم لا يحملون من خطاياهم شيئاً ، وأنهم كاذبون مفترّون ؛ ذلكم قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وإنهم لكاذبون ﴾ تلكم سنة

الله التي لا تبدل في أن كلَّ إنسان يؤخذ بعمله وهو مسئول يوم القيامة مسؤولية فردية عما كسبت يده ، ولا يحمل أحد وزر أحد ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وكما قال جل شأنه : ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ فليتق الله امرؤ في عاقبة أمره ، وليكن دائماً على ذكر من طبيعة المسؤولية يوم الدين ، كائنًا ما كان الثغر الذي أقامه الله عليه في الدنيا .

غير أن مما يجب التنبيه عليه : أن من المشاهد المروعة يوم القيامة ، مشهد أولئك الذين أجرموا في الدنيا بما كانوا يضلون الناس ، ويدعونهم إلى ما هو عداؤُ الله ولرسله عليهم الصلاة والسلام ، مشهدهم وهم يُسحبون في النار على وجوههم مَقُولاً لهم : ﴿ ذوقوا مسَّ سقر ﴾ ، حيث يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة مضافاً إلى ذلك أوزار آخر ، يُضاعف لهم العذاب ، بسب ما أضلوا عباد الله ، وزينوا لهم الباطل وكانوا من الجاحدين المقتربين . ﴿ ولِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالاً ﴾ مع أثقالهم ، وَلِيُسْأَلْنَ يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴿ هكذا ينطق مشهد عذاب هؤلاء يوم الدين بمسؤوليتهم عن ضلالهم في أنفسهم ، وعن دعوتهم الضالة للآخرين وقذفهم إياهم في حمة الغواية والمظاهرة على الحق وأهله من المؤمنين . كل هذا من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيء ، كما قال ربنا جل شأنه : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ .

ألا وإن هذا المشهد الناطق ببشاعة الجريمة التي يقترفها أولئك الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً ، ويعملون على تمزيق شمل الأمة بإبعادها عن الطريق السوي ، ومجافاتها لحقيقة التوحيد ، وتعطيل شريعة الله ، والعمل على أن تحتكم إلى معايير شيطانية مستوردة ... إن هذا المشهد الناطق بذلك كله ، يشي بمشهد يقابله ، زاخر بالنور والإشراق ، دلت عليه السنة المطهرة !! إنه مشهد أولئك الذين أنعم الله عليهم بالهداية ، وقاموا بحققها في الدعوة إليها ، والحرص على أن تكون الأمة على حال تدور فيه مع الحق حيث دار ؛ فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ : « من دعا إلى

هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً . وفي الصحيح أيضاً نجد قوله عليه الصلاة والسلام « ما قُتِلَتْ نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها لانه أول من سنّ القتل » . وحين تجد هذه الحقيقة التي نطق بها وجه إليها من لا ينطق عن الهوى ﷺ مكانها من العقول والقلوب ، تكشف عن أن من يقصّر في الدعوة إلى الخير - وهو قادر عليها - فقد سفه نفسه وحرم الخير الكثير .

وياويح أولئك الدعاة على أبواب جهنم ، الذين من استجاب لدعوتهم جُرّوه إلى نار السعير ، يا ويحهم من ذلك العذاب الأليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولا يغني عن أهل الضلالة والدعاة إليها ، ما كانوا ينشدونه في الدنيا من مال أو جاه ، أو إرضاء لأعداء الله والحق الذي أوحى به إلى نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ فالأولون يكرمون بأجورهم ومثل أجور من دعوهم إلى حظيرة الخير ، من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، وهؤلاء يفتضحون بتحمل أثقالهم وأوزارهم ، مضموماً إليها آثام من تبعهم ، مستجيباً لتمويهاهم وأضاليلهم ، من غير أن ينقص من تلك الأوزار والآثام شيئاً .

هذا : وقد ختمت آية سورة العنكبوت التي عرضت لأهل الضلالة الداعين إليها وكونهم يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم يوم القيامة بقوله تعالى : ﴿ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ وفي هذا تأكيد لمسؤوليتهم عما كانوا يكذبون ويختلقون من البهتان والصدّ عن سبيل الله . وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله ما روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به ثم قال : « إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول : وعزّي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ، ثم ينادي منادٍ فيقول : أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال ، فيشخص الناس إليه بأبصارهم ، حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل ، ثم يأمر المنادي فينادي : من كانت له تباعة أو ظلامة

عند فلان بن فلان فهلهم !! فيقبلون حتى يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمن ، فيقول الرحمن: اقضوا عن عبدي ! فيقولون : كيف نقضي عنه ؟ فيقول : خذوا لهم من حسناته ، فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة ، وقد بقي من أصحاب الظلمات ! فيقول: اقضوا عن عبدي ، فيقولون : لم يبق له حسنة .. فيقول : خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه . ثم نزع النبي ﷺ بهذه الآية الكريمة ﴿وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَاهُمْ وَأَنْتَ أَثَقَالَهُمْ﴾ ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴿ . نزع : استشهد .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح أوردناه في مناسبة أخرى ، يوضح هذا المشهد تمام الإيضاح ويعرّف بصاحب الواقعة ؛ إذ يطلق عليه النبي ﷺ اسم المفلس . ذلكم ما أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا !! فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار . »

ألا ما أكثر الدروس والعبر في هذا الهدى المحمدي ، وأقلّ المعترين . إن ما يؤول إليه أمر هؤلاء المفلسين من الطرح في النار يوم يقوم الناس لرب العالمين .. جديرٌ بالوقف الإيمانية المتبصرة التي تدعو إلى البعد عن كل ما يوقع في الإفلاس الحقيقي بين يدي من لا تحفى عليه خافية ، والعمل على حسن التعامل وأداء حقوق الآخرين ، كاملة غير منقوصة ، وعدم الإيذاء لعباد الله .. فمن أصلح العمل استدرّ رحمة الله ، فكان من الناجين ، ومن تعدى حدود الله ؛ فوقع فيما نبه عليه النبي عليه الصلاة والسلام ، افتضح على رؤوس الأشهاد يوم الدين ، وكانت عاقبة أمره خسراً ، وأي خسارة أشد من الطرح في النار - والعياذ بالله تعالى - بعد هذا الافتضاح والناس قيام ينظرون !!

العطاء الرباني.. الآفاق والجنة

الله ما أعظم ما امتنّ الله به على هذه الأمة بهدي النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فهو ﷺ الرحمة المهداة للعالمين ، وهو البشير النذير ، وهو الذي سلك بالأمة السبيل القويم والصراط المستقيم ، ولم يدع طريقاً من طرق الهداية إلى الخير ، إلا دهنً عليه ورغب فيه ، كما لم يدع طريقاً من طرق الضلالة والشر ، إلا كشف عن عواره ورهب منه . وهكذا رسم عليه الصلاة والسلام المنهج الخيّر المشرق ، وكان خير أسوة في تطبيقه والعمل به . وعاقبة الأمة – أن لو التزمت هذا المنهج – سعادة في الدنيا ، وجنات تجري من تحتها الأنهار في دار الخلود .

وساحة الفضل متسعة الأرجاء في ظل هذه الحقيقة ، فأتى تلفّت المؤمن ، وجد موائد العطاء منصوبة ؛ وما عليه إلا أن يُقبل عليها بقلبه وعقله وجوارحه ، ويأخذ نفسه بذلك الهدي المحمدي ، الذي هو نعم البيان لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وما أكثر وأوفر مشاهد الفضل الكبير يوم القيامة لأولئك السعداء الموفقين !! أخرج البخاري بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيّد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها في النهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أن يمسيّ فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » .

أرأيت : يستغفر الله تعالى موقناً بما يقول : مصداقاً تصديقاً جازماً بدلالة تلکم الكلمات النورانية التي يناجي بها مولاه بخشوع وخضوع ، فيكون ممن تدركهم رحمة الله ويفوزون في الآخرة بالنعيم المقيم .

وماذا أنت قائل بدلالة ذلك المشهد العظيم البالغ التأثير العميق الدلالة !!
مشهد ما يعطاه النبي عليه الصلاة والسلام من المقام المحمود ؛ حيث الأهوال
العظام ، والشدة الشاذة التي تضرب على الخلائق بالأسداد ؛ إذ يكرمه الله
بالشفاعة لهم في فصل القضاء ، ثم يكون دعاؤه الكريم لأمتة . ولا تسئل عن إكرام
الله وإحسانه وفضله العظيم الذي لا يُحَدُّ . وهذا كله من موجبات التذكير بالعمل
ليوم المعاد ، وأن يحرص المؤمن على فعل الطاعات وعمل الصالحات ، كيما يكون
ذلك طريقه إلى رحمة الله تعالى التي بها يزحزح عن النار ويُجِلُّه الله دار الكرامة
ويحظى بها يتفضل سبحانه به على عباده المتقين ؛ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة فرفع إليه
الذراع - كانت تعجبه - فنهس منها نيسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ،
هل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ،
يطبقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ؟ ألا
تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم !
فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ،
وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى
ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فقال : إن ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا
يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا
إلى غيري : اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى
الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما بلغنا ؟
ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي
نفس ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله
وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فيقول :

إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله .. إلى أن يقول : اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه ، على الناس ؛ اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله .. إلى أن يقول : اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهدي اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فيقول عيسى : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله — ولم يذكر ذنباً — نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ »

وفي رواية فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فأنطلق فأتى العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يارب ، أمتي يارب ، أمتي يارب . فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » رواه البخاري ومسلم .

وإذا كان الأمر كذلك : فليس من مكرور القول ، أن هذه الكلمات الطيبات المباركات من النبي عليه الصلاة والسلام ، مدعاةً للكثير الكثير من الاهتمام الذي يشحذ العزائم ويوقظ الهمم للعمل على أن يكون المؤمن بقوله وفعله وسلوكه — بعون الله وفضله — ممن تشملهم تلك البشارة العظيمة التي لا يقدر قدرها ، والتي هي عنوان النجاة من عذاب الله ، والفوز بدار كرامته ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ .

وفي حرص على الوجهة السليمة ، ابتغاء أن يكون المؤمن على سواء الصراط في العمل للآخرة ، تطالعنا الكثير من نصوص الحديث النبوي التي تفتح للمؤمن - أن لو عمل بمضامينها - آفاق السعادة الأخروية التي يتطلع إليها أهل الصدق مع الله ، الذين اتخذوا من الدنيا مزرعة للآخرة ، ومن العمل الصالح باباً إلى حسن العاقبة يوم الدين . موقنين أن الأمر - أولاً وآخرأ - بيده سبحانه وهو على كل شيء قدير .

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح » وأكرم بهذا النزول الذي موطنه جنة الخلد التي تزلف للمتقون . ويا يؤس من يعلم الطريق إلى هذه التجارة الرابعة ، ثم يتوانى عن تحصيلها طاعةً للنفس الأمارة بالسوء والشيطان .. والموعود يوم الحساب .

وفي متابعة لمعالم هذا الفضل الإلهي على لسان المصطفى عليه الصلاة والسلام صاحب الشريعة ومبين الكتاب العزيز ، نقع على ما روى أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

ياله مشهداً بالغ العِظة والإشراق، مشهد هؤلاء المشائين إلى بيوت الله في تلك الأوقات التي يأوي فيها الناس إلى منازلهم ومواطن استقرارهم طلباً للراحة . و « مشاؤون » صيغة مبالغة تدل على صدق الوجهة والمثابرة ، وتشعر بما يجدون من لذة العبادة ، وتحمّل المشاق في سبيلها ، فأجسامهم تتجافى عن الراحة المادية ، لأن راحتهم في بيوت الله صلاةً وذكرأ وتلاوة لكتاب الله ، وطلباً للعلم ، أعظم منها ، إن لذة العمل بما يكون زلفاهم إلى الله ، تنسيهم ما يمكن أن يكون من التعب والمشقة في هذه الدار . وما عند الله خير وأبقى .

اللهم اجعلنا من أهل النور التام يوم القيامة إنك أنت المتفضل المنان .
وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابه أجمعين .

المراءوء.. والنار

العناية بإصلاح الآخرة التي إليها المعاد ، حرصاً على حسن العاقبة يوم القيامة : من الأمور التي يجب، أن تنال حظها الأوفى من الاهتمام في حياة المؤمن . وذلك ما تميز به نهج النبي ﷺ وبارك ، وربى أصحابه الكرام عليه ، وبلغ من اهتمامه عليه الصلاة والسلام بذلك - وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - أنه - إلى جانب العمل - كان يدعو ربه بإصلاح آخرته التي فيها معاده . أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر » وهذا منه - ﷺ - إحسان في تربية أصحابه ، والمسلمين من ورائهم ، على الجد في طلب الآخرة ، والضرع إلى الله تعالى أن يجعلهم من أهل النجاة والفوز بمرضاته ، والنعيم المقيم في جنة الخلد يوم الدين ؛ ذلكم بأن العبرة بما يكون عليه الأمر هناك يوم الفصل ، حيث تقف الخلائق بين يدي ذي القوة المتين سبحانه .

وإذا كان الأمر كذلك : فإن المؤمن مدعو لأن يحسن الغرس في الدنيا ، سلامة قصد وصالح عمل ، كي يكون ممن ينشر الله عليهم رحمته في ذلك اليوم ، ويدخل دار النعيم مع الداخلين ، وإلا ساءت العاقبة ، وحلت الندامة ، ولات ساعة مندم !! ولكم بصّرت سنة رسول الله الأمة ، وفتحت الأعين على مشاهد مروعة يوم القيامة تضطرب القلوب لذكر ما تحمل من الهول ، وهي مشاهد لا تشي بانعدام العمل ظاهراً في الدنيا ، ولكنها تنبئ عن الدخّل الذي سحب ذلك العمل ، فكانت العاقبة الخاسرة التي ينطق بها ما ينال صاحبها من العقاب الأليم . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول

الناس يُقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد فأُتي به ، فعرفه نَعَمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء ! فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأُتي به فعرفه نَعَمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت لي قال : عالم ! وقرأت القرآن لي قال : قارىء !! فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال . فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت لي قال : جواد ! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار « رواه مسلم .

إن هذه الحقائق التي تكشف عنها تلکم المشاهد ، جدرة بأن تثير في قلب الإنسان وعقله مزيداً من الحرص على محاسبة النفس ، والعمل على سلوك طريق أهل الفلاح بتزكيتها ، كيما تكون الأعمال خالصة لله عز وجل ، بعد أن تكون وفق ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام . قال الله جل شأنه : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خنفاء يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ وإنما الأعمال بالنيات كما بيّن النبي عليه الصلاة والسلام . فمن أراد صادقاً أن يسلم له العمل يوم المعاد ، فليأت ما يأتي من الصالحات والقربات والمبرات ، علماً ، وجهاداً ، وعبادة ، ونفقة .. وما إلى ذلك ، وهو صادق الوجهة ، هُمة أن يرضى الله عنه ، ويكون من أهل القبول . أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

فالله تعالى يخبر عن هذا المرائي الذي أشرك مع الله غيره في العمل ، أنه يتركه وشركه ؛ أي لا ينظر إليه ولا يتقبل عمله ، بل تكون عاقبته أن يحبط عمله ، ويحرم

الأجر والثواب ، لأنه أطاع الشيطان والهوى في الجنوح عن الإخلاص لله تبارك وتعالى ؛ فإذا جاء يوم القيامة انكشفت الحقيقة ، ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ أجارنا الله مما يستلزم الفضيحة على رؤوس الأشهاد بين يديه . روى البخاري ومسلم عن جندب بن عبدالله بن سفيان رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به » وأخرجه مسلم أيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

قال علماؤنا رحمهم الله : « سمع » - بتشديد الميم - أظهر عمله للناس رياءً . و « سمع الله به » : فضحه يوم القيامة . وقال الإمام النووي : معنى « رأى رأى الله به » أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم رأى الله به ؛ أي أظهر سريره على رؤوس الخلائق .

وهذا النبي عليه الصلاة والسلام يتوَعَّد من يجعل الدنيا همته ، فيفوقه الغرض الهابط لتعلم علمٍ مما يُبتغى به وجه الله عز وجل ، بحيث ينحصر مبتغاه في عرض من الدنيا .. يتوَعَّده بأن لا يجد عَرَف الجنة يوم القيامة . أخرج أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عَرَف الجنة يوم القيامة » - يعني ربحها - .

من هنا كان حرص الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان - عبر تاريخنا الطويل - على صلاح الآخرة ، وكان معنى هذا الحرص المبارك : الاستقامة على الطريقة ، والدأب على عمل الصالحات والجهاد في سبيل الله بإخلاص وصدق عزيمة ، وثبات في مواطن الرغبة والرغبة ، وما يكون من المشتط والمكروه ، ولسوف ترى الخليفة يوم المعاد ، المشاهد الناطقة بذلك كله ، الدالة على خيرية ذلك السلوك النير المستقيم .

أرأيت إلى الصحابي الشهيد عبدالله ، والد جابر رضي الله عنهما ، ماذا بلغ من

حرصه على سلامة العاقبة في الآخرة ، وكيف كان يشغله - وهو يحس أنه مقبل على الموت والشهادة في سبيل الله - قضاء دينه ، وأن يستوصي ولده بإخوته خيراً ، كي يلقي الله وهو متخفف مما يثقل الكاهل من حقوق الآخرين ، الأمر الذي قد تسوء الحال معه إن لم تدرك المرء رحمة الله سبحانه وتعالى !! أرايت إليه وهو يوصي ولده عبدالله بذلك ليلة حضرت أحد ، وهو يعدّ نفسه لخوض معركة الحق مع الباطل ، ولا يرى إلا أنه مقتول في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ ؟! أخرج البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : « لما حضرت أحد ، دعاني أبي من الليل فقال : ما أراي إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك ، غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليّ ديناً فاقضه ، واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا فكان أول قتيل ، ودفنت معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته ، غير أذنه ، فجعلته في قبر على حدة » إنه الصدق في طلب الشهادة ، والصدق في أن يلقي عبدالله رضي الله عنه مولاه يوم الدين ، وليس شيء من أضرار المخالفة عن شرع الله يثقل كاهله عن دخول الجنة ، بعد الفوز بما يتفضل به المولى على الشهداء في سبيله من الخير الذي لا ينقذ وإكرامهم بأن يكونوا أحياء عنده سبحانه يُرزقون .

والحق أن في سيرة هؤلاء البررة ، الذين حملوا عن رسول الله إلى الأمة دين الإسلام ؛ إيماناً وعلماً وعملاً وجهاداً وكانوا - كل في موقعه - على خير ما يكون الحب والطاعة للرسول عليه الصلاة والسلام .. الحق أن في سيرتهم عموماً ، وعملهم للآخرة - على وجه الخصوص - معالم مشرقة على طريق هذه الأمة ؛ فيها من الحياة ، وواقع الإنسان - الذي اتجه بصدق وجهة الإسلام - ما يعصم - بإذن الله - من مضلات الفتن والصوارف عن متابعة منهج الحق ، مهما كانت التبعات والأعباء ؛ لأن مرضاة الله بحسبان ، ومثوبته جل شأنه في الآخرة بحسبان . له الحمد في الأولى والآخرة .

وصلاة الله وأزكى تسليماته ، على نبينا نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وصحابه ومن استقام على سنته واتبع هداه إلى يوم الدين .

أين عقبي من عقبي.. لا تستويان

كلما تفاقمت مصائب الأمة ، وتشعبت بها سبل الحياة ، ازدادت الحاجة إلى تحديد الارتباط بما تملّيه سنن الله التي لا تتخلف ولا تبدّل ، والانضباط بضوابط الكتاب والسنة ، على صعيد العلاقة الوثيقة بين طرائق الحياة وسلوك الفرد والجماعة في دار العاجلة ، وبين العاقبة المترتبة على ذلك يوم الوعيد ، يوم يوفّى العباد دينهم الحقّ ﴿ ويعلمون أن الله هو الحقّ المين ﴾ .

ولا يُعْزُوكَ أن تجدَ في كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، العديد من نصوص الترغيب بالخير وما يمت إليه بصلة ، وبيان ما ينبنى عليه من سلامة العقبي وحسن المآب ، يوم يحشر الناس لرب العالمين ، والترهيب بما هو عكس ذلك ، والكشف عما ينبنى عليه من سوء المصير ، وقباحة المنقلب والعياذ بالله .

ها نحن أولاء أمام واحد من النماذج التي تشرق بهذه الحقيقة ، حيث نصوص الكتاب وبيانها من النبي عليه الصلاة والسلام . قال الله تبارك وتعالى في سورة الرعد: ﴿ أفمن يعلم أنها أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ ثم أتى - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - على تفصيل لأخلاق أولي الألباب فقال: ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾ ثم بين تعالى ما هي عقبى الدار فقال سبحانه : ﴿ جنّاتٌ عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

هكذا يدخل هؤلاء المكرّمون الجنة ، وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ، ومن

ههنا للتهنئة بدخول دار النعيم ، إنه لمشهد يفرح قلب المؤمن ، ويعلي من همته للعمل الأخروي وفق تلکم الأخلاق التي وُصف بها أولو الألباب . وعند دخولهم الجنة تُقد عليهم الملائكة يَحْيُونَهُمْ مَهْنَتَيْنِ إِيَّاهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ التَّقَرُّيبِ وَالْإِنْعَامِ ، وَالْإِقَامَةِ فِي دَارِ السَّلَامِ ، فِي جَوَارِ الصَّدِيقِينَ وَ الشَّهَدَاءِ ، وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ الْكَرَامِ .

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا أبو عبد الرحمن قال : حدثني سعيد بن أبي أيوب قال : حدثنا معروف بن سويّد الحراني عن أبي عُشَّانَةَ المَعَاظِرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ؟ » قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ : الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتُتَقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ - وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً - فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ : ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ . فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : نَحْنُ سَكَانُ سَمَاوَاتِكُمْ وَخَيْرَتِكُمْ مِنْ خَلْقِكُمْ ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءَ فَنَسْلِمَ عَلَيْهِمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونَنِي لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ وَتُتَقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً - قَالَ : فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ .

ورواه أبو القاسم الطبراني بسنده عن أبي عُشَّانَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، الَّذِينَ تُتَقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ ، وَإِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى سُلْطَانٍ لَمْ تُقْضَ ، حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ ، وَإِنْ اللَّهُ يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا ، فَيَقُولُ : أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي ، وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي ؟ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَذَابٍ وَلَا حِسَابٍ . وَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَسْجُدُونَ وَيَقُولُونَ : رَبَّنَا نَحْنُ نَسْبِحُكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَنُقَدِّسُ لَكَ ، مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي ، وأوذوا في سبيلي : فتدخل عليهم الملائكة من كل باب : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

ترى !! كم تكون أمتنا على الجادة اليوم ، إذا فقهت هذا البيان النبوي لكتاب الله في شأن أولئك البررة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وحاولت - بكثير من العناية والجد - أن تأخذ التربية على فقه هذه الحقائق مكانها اللائق في بناء الفرد والجماعة ، والإعداد لمواجهة التحديات إعداداً متكاملأ ، يجمع بين العمل على عمارة الأرض بعلم وفهم للواقع ، وبين التوجه الصادق إلى الآخرة وطلب النجاة فيها ؟! إنها إن فعلت ذلك ، كان هذا التوجه عنواناً استئنافاً لمسيرة السلف الصالح ببناء حضارة الاسلام ، الحضارة التي تسعد الفرد في الدنيا والآخرة . ناهيك عن وضع حد لمرحلة القلق والاستخذاء أمام العدو الداخلي في أعماق النفس ، وأمام العدو الخارجي المهيمن .

ومن صور العطاء هؤلاء الذين يقال لهم : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ ما روى عبدالله بن المبارك عن بقية بن الوليد أنه قال : حدثنا أرطاة ابن المنذر قال : سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له : « أبو الحجاج » يقول : جلست إلى أبي أمامة فقال : (إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم ، وعند طرف السماطين باب مبوب ، فيقبل الملك فيستأذن ، فيقول أقصى الخدم للذي يليه : « ملك يستأذن » ويقول الذي يليه : « ملك يستأذن » حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا ، فيقول أقربهم إلى المؤمن : ائذنوا ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا ، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل ، فيسلم ثم ينصرف) رواه ابن جرير الطبري .

أما الظالمون الناقضون لعهد الله الضالون سواء السبيل : فمآلهم شر مآل ، وعاقبتهم على النقيض من عاقبة أولئك البررة الكرام ؛ ذلكم قوله عز وجل : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾

ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿١﴾ أجل لهم بصنيعهم السيئ المردول الإبعاد والطرده عن رحمة الله تعالى ، ولهم سوء العاقبة والمآل ، وإذا رأيت مشهد عذابهم الأليم يوم القيامة ، رأيت ما يخيف ويفزع أشد الفزع ، ويزدكر بعظم المسؤولية ووثيق العلاقة بين ما كانوا عليه في الدنيا ، وبين ما آل إليه أمرهم في الآخرة ، يوم الوعيد ؛ إنهم الجاحدون المنافقون . قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى : ﴿والذين ينقضون عهد الله﴾ الآية : « هي ست خصال في المنافقين : إذا كان فيهم الظهرة على الناس ، أظهروا هذه الخصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا اتتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهرة عليهم ، أظهروا الثلاث خصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا اتتمنوا خانوا . » وهذا من أبي العالية مأخوذ من بيان النبي ﷺ فيما بين من شأن المنافقين وخصالهم .

سبحان الله أين عقبي هؤلاء من عقبي أولئك ﴿٢﴾ تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ﴿٣﴾ . ألا إن أوني النهى عندما يتدبرون هذه الأخبار الصادقة في كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة ، يختارون - بلا ريب - الطريق الأولى التي تحسن معها العاقبة ، ويبصرهم الناس معها يوم الدين ، وقد ازدانت بهم مواكب النور المتلاحقة إلى خير مغاز .. إلى دار النعيم المقيم ، حيث العطاء الذي لا يُجَدّ وفضل الله الجواد الكريم الذي لا تنفذ خزائنه سبحانه وتعالى . وذلك ما أخذ به الذين تربوا في مدرسة النبوة أنفسهم ، ودرج على ذلك من تبعهم بإحسان ، فأوفوا بعهد الله ، ولم تقعدهم مطامع الدنيا وزخارفها عن اللحاق أبداً بركب الصديقين والشهداء والصالحين ؛ وحسن أولئك رفيقاً . روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَيْنَّ الله ما أصنع ؛ فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يأسعد

بَنَ معاذ الجنة ورب الكعبة إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت
يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو
طعنة برمح ، أو رمية بسهم . وجدناه قد قتل ومثل به المشركون ؛ فما عرفه إلا أخته
بينانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلاً﴾ .

والآخرة خير وأبقى

أخبار القيامة، وما يتحقق فيها من موعود الكريم المَنَّان سبحانه وتعالى عباده الطائعين المخبتين، ومن وعيد ما توعد به الصادِّين عن سبيله، والطفاة الظالمين .. هذه الأخبار عملت عملها، وما تزال، في نفوس السعداء الذين أهمهم أمر الآخرة، وأقضى مضاجعهم خوف يوم الحساب، فتراهم - أبداً - من خشية ربهم مشفقون؛ وديدهم مضاعفة العمل الصالح، وكل ما يقربهم إلى الله زلفى، وينأى بهم عن مسلك من أضلَّ الله وكانوا من الغافلين المفسدين. أقول هذا وبين يدي صفحات نيرات من سيرة التابعي الثقة العابد عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبي عبدالله الكوفي المتوفى سنة عشرين ومائتين. قال الإمام البخاري: سمع أبا هريرة وابن عمرو رضي الله عنهما، وقال ابن حبان في « ثقات التابعين » : كان من عبّاد أهل الكوفة وقرائهم. بلغ من إدراكه - رحمه الله - لأهمية ملء الوقت بالطاعة وتقوى الله، ومن حسّه الإيمان بحقيقة أن الأجل آت لا ريب فيه، وأن مقتضى ذلك عدم الركون إلى الأمل والاعتراق بالدنيا .. بلغ من إدراكه المبصر وحسّه الإيمان المشرق لذلك كله أن يقول: (ما أحد يُنزل الموت حقَّ منزلته إلا عدَّ غداً ليس من أجله، كم من مستقبل يوماً لا يستكمّله، وراج غداً لا يبلغه. لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره) وفي رواية أخرى - كما نرى في الحلية لأبي نُعيم - (كم من مستقبل يوماً لا يستكمّله، ومنتظر غداً لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره).

والحق أن ما حملت الأخبار الصادقة إلى الأمة عن مشاهد القيامة وما يكون فيها، جدير بأن يشد أزر المجتهدين في الطاعة، والإكثار من عمل الصالحات والقربات، وأن يوقظ الكسالى الذين يركنون إلى حطام العاجلة، وينسون يوم الدين؛ فإذا عقل المؤمن عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله عليه الصلاة والسلام،

استقام له طريق النجاة بعون الله ، وبدأ على سلوكه الأثر الواضح لانتفاعه بما ورد في شأن القيامة وما فيها من الأخبار ، ولقد ترك النبي ﷺ أمته على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ؛ ويا بؤس من يعرض عنها ويقع فريسة للهوى والشيطان . ومن المعالم الخيرة في هذه البيضاء النقية ما جاء من التنبيه على وضع الأمور مواضعها ، وعدم تقديم الحياة الدنيا الفانية ، على الحياة الآجلة الباقية . يقول ربنا جل شأنه : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى ﴾ تقدمونها على أمر الآخرة الذي فيه نفعكم وصلاحكم ، في معاشكم هنا ، ومعادكم يوم الحساب .

والحقيقة التي لا ريب فيها ، أن ثواب الله في الدار الآخرة ، وما أعدّه لعباده المتقين من نعيم الجنة الذي لا يزول : خير وأبقى ، فالدنيا دانية فانية ، والآخرة شريفة باقية . والعاقلة مستنيرة البصيرة : يؤثر ما يبقى على ما يفنى ، ويعطي العمل لدار البقاء والخلد ، ما يستحق من العناية والاهتمام .

هذا : وفي تصور صحيح هذه الحقيقة وإدراك لأبعادها ، يجد الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن عمله دون الذي يجب في هذا المضمار . روى الإمام أبو جعفر الطبري بسنده عن عرفة الثقفي قال : « استقرأت ابن مسعود - أي طلبت منه أن يقرأ - ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ فلما بلغ : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة ؛ فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرايها ، وزويت عنا الآخرة ، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل » . قال الحافظ ابن كثير : وهذا منه - رضي الله عنه - على وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم .

ولا بدع أن يبلغ أبو عبد الرحمن بن مسعود هذا المبلغ العظيم تدبراً وتواضعاً - وهو من هو في علمه وصلته بالقرآن وهدي النبي عليه الصلاة والسلام - !! قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر قال :

أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبدالله عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب دنياه أضّر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضّر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » قال ابن كثير : تفرد به أحمد .

ومن الواضح البين في هدي النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه - صلوات الله وسلامه عليه - كان لا يدع أن يُحكّم العلاقة بين شُعَب الحياة ومسالكها في الدنيا ، وبين ما يكون من تحقق الوعد والوعيد في الآخرة ، والكتيس الفطن من اتخذ من معيار الكتاب والسنة ، ثم فهم أئمة الهدى وسيرتهم في العمل ليوم المعاد ، نوراً يضيء له الطريق ، فيؤثر ما يبقى على ما يفنى ، ولا يدع أن يكون - في قوله وفعله وسائر تصرفاته - على الجادة التي أوضح معالمها سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ؛ إنه إن فعل ذلك ، كان بعون الله وفضله من أهل النجاة يوم الدين ، والخطوة بما أعد الله لعباده الصالحين . ها نحن أولاء نجده ﷺ يجعل من حسن الخلق باباً عريضاً يحظى من يدخله بالدرجة العالية من القرب يوم القيامة ، وعلى العكس من ذلك يكون مصير المعرض عن هذا الباب ، عافانا الله من ذلك .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يُبغض الفاحش البذيء » . أخرجه الترمذي في « السنن » وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وزاد في رواية له « وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » . ورواه بهذه الزيادة البزار بإسناد جيد ولم يذكر فيه : « الفاحش البذيء » . ورواه أبو داود مختصراً ؛ قال : « ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق » . فمن شاء أن يحظى بهذا العطاء يوم لا يجد المرء إلا ما قدّم ، وأن يكون في عداد من تزدان بهم مشاهد أهل النجاة من النار ، والفوز بالجنة : فليأخذ نفسه بما وجه إليه نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام . عن أبي هريرة رضي الله قال : « سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : تقوى الله وحسن الخلق ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : الفم والفرج » . رواه الترمذي

في جامعه الصحيح «السنن» وابن حبان في صحيحه والبيهقي في كتاب «الزهد» وغيره وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

صلى الله على رسول الله ، كم تعمل تلکم البشائر والندارات عملها في تربية الأمة وتقويم الأخلاق عند الفرد والجماعة ، أن لو استقامت الأمور، وظل الارتباط قائماً بين الأخلاق في الدنيا وبين ثمراتها وما يؤول إليه الأمر في الآخرة . وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليلبغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة وإنه ليلبغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم » . قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني ورواته ثقات سوى شيخه المقدم ابن داود وقد وثق .

وما أكرمه وأغلاه مشهداً : مشهد القرب من رسول الله ﷺ يوم القيامة ، لأولئك الذين هم أحاسن الناس أخلاقاً ، ومن أحب المؤمنين إليه عليه الصلاة والسلام . أخرج الإمام البخاري بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : « إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وقال : إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً » وروى الإمام الترمذي بسنده عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يا رسول الله قد علمنا « الثرثارون والمتشدقون » فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » . قال : أبو عيسى : والثرثار : هو الكثير الكلام ، والمتشدد : الذي يتناول على الناس في الكلام ويبذو عليهم . وفي رواية لأحمد في المسند وابن حبان في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟ فأعادها مرتين أو ثلاثاً قالوا : نعم يا رسول الله قال : أحسنكم خلقاً » . اللهم اجعلنا ممن يعلمون فيعملون ، وهب لنا أن نفوز يوم القيامة بالقرب من نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يا سميع الدعاء .

عمل الجنة.. وعمل النار

الجرؤ والسهل

من مظاهر الانتفاع القلبي بما جاء عن الله تعالى وعن الرسول عليه الصلاة والسلام في شأن الآخرة، وما ترخر به المشاهد العظام التي تنطق بتوفية الله عباده دينهم الحق : أن يزداد المؤمن حرصاً على التقرب إلى الله تعالى بالعبادة والجهاد وصالح العمل ، مع إخلاص النية وصدق التوجه إليه سبحانه ؛ وتلك أمور تضيف إلى زيادة الإيمان ما تحدث - بفضل الله - من مضاعفة في رقة القلب ولطافة الشعور الأخروي ، والإحساس الصادق بما تعنيه أهوال يوم القيامة في تلكم الساعات العصيبات التي يتطلع فيها الخلائق إلى ما يكون إليه المآب ، وما يستقر عليه المصير . وعندما يتجه المؤمن هذه الوجهة المباركة ، يكون على النبع السلسيل - إن شاء الله - من سنة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرته الميمونة المشرقة بالخير والعطاء . وما أكثر ما يقع الناظر فيما كان عليه السلف الصالح رجالاً ونساءً ، من نماذج تنم عن حسن التأسي بالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه ؛ حيث التوجه إلى الآخرة ، وإيثار الباقية على الفانية .

وهذه النماذج الكريمة أمانة في أعناق المسلمين بعامة - والعلماء منهم بخاصة - عليهم أن يحتذوها - وهم يحملون أمانة العلم والعمل في الأمة ، لما أنهم على إرث من إرث النبوة ، والمنهج الذي يحمل صاحبه - برحمة الله وعونه - إلى دار الخلد ، نقياً طاهراً في عداد البررة المتقين . وفي الجعبة اليوم مبتدأ هذه الكلمات شذرات يسيرة عن شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين الورعين والعباد الزاهدين في زمانه ، الذي حمّله العمل بالعلم ، وخوف يوم الحساب ، على أن يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم ، أبي عبدالله سفيان الثوري المتوفى سنة

ست وعشرين ومائة للهجرة . جاء في « صفة الصفوة » للإمام أبي عبدالرحمن بن الجوزي : عن أبي زيد محمد بن حسان قال : سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول : (ما عاشرت في الناس رجلاً أرق من سفيان ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا أول الليل ، ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي : النار !! شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه : اللهم إنك عالم بحاجتي غير مُعْلَم ، وما أطلب إلا فكاك رقتي من النار ، إلهي إن الجزع قد أرقني ، وذلك من نعمك السابغة علي ، إلهي لو كان لي عذر في التخلي ، ما أقمت مع الناس طرفة عين . ثم يقبل على صلاته ؛ وكان البكاء يمنعه من القراءة ، حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه ، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياءً وهيبةً منه).

إنها لنعمة سابغة حقاً ، أن تأخذ أخبار يوم المعاد مأخذها من النفس ، وتعمل في القلب والعقل عملها ، وينعكس ذلك على العلاقة بين العبد وخالقه جل شأنه ، فترى ملء الوقت بالعلم والعمل ، وبالعבודה الخاشعة والخضوع الصادق بين يدي الله عز وجل ، وتستشعر رقة القلب التي يصحبها البكاء من خشية الله ، والصدق في المواطن ، والإحساس العميق بما يمكن أن يكون عليه الحال يوم الحشر الأكبر ، حتى كأن الجنة والنار أمام المؤمن ، يراهما رأي العين .

وقد ألمحت غير مرة إلى أن من رحمة الله بهذه الأمة ، ما نطق به الكتاب العزيز وبيئته أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ، من الإيذان بتلك الأبواب المفتحة من أبواب الخير في الدنيا ، المؤذنة بوصول من يلجها إلى شاطئ السلامة يوم الدين بفضل الله أرحم الراحمين . ونحن اليوم على موعد نتابع معه الحديث عما تثمر محاسن الأخلاق لأصحابها من الخير في الدنيا والآخرة ؛ ها نحن أولاء نقرأ في سورة آل عمران قول الله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ ثم جاءت الآيات على العديد من صفات هؤلاء المتقين وأخلاقهم وختمت بتأكيد تلك البشارة العظيمة وهو قوله سبحانه :

﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ وذكرُ الجنة التي عرضها السماوات والأرض ، يذكرنا بطرف من بيان النبي ﷺ على هذه الساحة . قال الإمام البخاري : حدثنا يحيى بن صالح قال : حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها . فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ؛ فإذا سألتُم الله فاسألوهُ الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال : وفوقه عرش الرحمن - ومنه يفجر أنهار الجنة » قال محمد بن فليح عن أبيه « وفوقه عرش الرحمن ».

وأنت واجد أن في قول النبي ﷺ : « وجلس في بيته » تأنيساً - كما يقول الحافظ ابن حجر - لمن حُرِمَ الجهاد ، وأنه ليس محروماً من الأجر ، بل له من الإيمان ، والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة ، وإن قصر عن درجة المجاهدين . والذي قال : يا رسول الله أفلا نبشر الناس ؟ هو معاذ بن جبل كما في رواية الترمذي ، أو أبو الدرداء كما وقع عند الطبراني ، وأصله في النسائي ؛ لكن قال فيه : « فقلنا » وقال الطيبي في شرح قول النبي ﷺ : « وإن في الجنة مائة درجة » هذا الجواب من أسلوب الحكيم ، أي بشرهم بدخول الجنة ، بما ذكر من الأعمال ، ولا تكتفِ بذلك : بل بشرهم بالدرجات ، ولا تقتنع بذلك : بل بشرهم بالفردوس الذي هو أعلاها .

واستظهر الحافظ غير هذه الوجهة ، إذ قال بعد نقل كلام الطيبي : قلت : لو لم يرد الحديث إلا كما وقع هنا ، لكان ما قال متجهاً ، لكن وردت في الحديث زيادة دلت على أن قوله ﷺ : « في الجنة مائة درجة » تعليل لترك البشارة المذكورة ؛ فعند الترمذي من رواية معاذ المذكورة « قلت : يا رسول الله ألا أخبر الناس ؟ قال : ذر

الناس يعملون ، فإن في الجنة مائة درجة » فظهر أن المراد : « لا تبشّر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه ، فيقفوا عند ذلك ، ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه ، من الدرجات التي تحصل بالجهاد ». وهذه هي النكتة في قوله ﷺ : « أعدّها الله للمجاهدين » وإذا تقرر هذا : كان فيه تعقب أيضاً على قول بعض شراح كتاب المصاييح : « سوى النبي ﷺ بين الجهاد في سبيل الله ، وبين عدمه وهو الجلوس في الأرض التي وُلد المرء فيها » . ووجه التعقب : أن التسوية ليست على عمومها ، ولكنها في أصل دخول الجنة ، لا في تفاوت الدرجات كما تقرر والله أعلم .

والحديث المذكور رواه الإمام أحمد أيضاً ولكن بلفظ « هاجر في سبيل الله » بدل « جاهد » فقد أخرج في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ، فإن حقاً على الله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، قالوا : يا رسول الله ، أفلا نخبر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ؛ فإذا سألتهم الله عز وجل ، فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ... » الحديث .

وطرق الجنة مفتحة ميسرة لمن يسر الله سلوكها له ؛ ومن ذلك حسن الخلق - كما سبق - ، غير أن الأمر يحتاج إلى علو في الهمة ، وصدق في العزيمة ؛ لأن الجنة - كما جاء في الحديث الصحيح - حفت بالمكاره ، كما حفت النار بالشهوات . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد قال : حدثنا نوح بن جَعْفُونَة السُّلَمِي ، عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنظر معسراً أو وضع له ، وقاه الله من فيح جهنم ، ألا إن عمل الجنة حَزَنٌ بربوة - ثلاثاً - ألا إن عمل النار سهل بسهولة ، والسعيد من وُقِيَ الفتن . وما من جُرعة أحب إلى الله من جُرعة غيظ يكظمها عبد ، ما كظمها عبدٌ لله إلا ملأ جوفه إيماناً » قال الحافظ ابن كثير : انفرد به أحمد ، إسناده حسن ليس فيه مجروح ، ومثنته حسن .

وتجدر الإشارة الى ما سبق من أن التوبة ليست على عمومها، ولكنها في أصل دخول الجنة لا في تفاوت الدرجات .

الحزن : المكان الغليظ الخشن . والرّبوّة بضم الراء وفتحها: ما ارتفع من الأرض . والسّهوة : الأرض اللينة التربة . شبّه المعصية في سهولتها على مرتكبها بالأرض السهلة التي لا حُزونة فيها . وقد شبه الطاعة - من قبل - في صعوبتها على النفس بالمكان الغليظ الخشن في مرتفع من الأرض لا بد من الصعود إليه . الجرعة : بالضم : الاسم من الشرب اليسير . وبالفتح : المرة منه .

أجاسنُ المؤمنين أخلاقاً.. والقرب العظيم

بصائر كتاب الله الكريم، وحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، في شأن اليوم الآخر ، وما يشهد فيه العباد من مثوبة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وعقاب الذين عموا وصمّوا واتبعوا الأهواء والشهوات !! هذه البصائر المشرقة الهادية: أمانة ، لا يتخلف عن أداء حق الله فيها ، إلا ظالم لنفسه ، ضلّ سعيه وكان من الغافلين . ذلك لأن أداء حق الله في هذه الأمانة ، عنوان خيرية يقي صاحبه السوء في العاجلة ، وييسر بالزيادة من فضل الله في دار القرار ، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون .

ومن هنا ، وجدنا أهل السعادة يشتد حرصهم على أن يكونوا على الجادة في أمر البشارة والندارة ، والترغيب والترهيب ؛ فالبشارة لا تقعد الواحد منهم عن العمل ، بل تشد من أزره في الاستزادة من الخير الذي يضمن معه — بإذن الله — حسن العقبي، فكلما فرغ من عمل مبرور ، انصرف إلى عمل آخر ينصب في تحقيقه، تقرباً إلى الله تعالى . ورسول الله أسوته في ذلك ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ وإلى ربك فارغب ﴿ .

كما أن الندارة لا تيشه ، بل تحرك كوامن الإيمان في قلبه ، فينصرف عن التهاون في عمل أهل الآخرة ، ويحاذر - قولاً وعملاً - أن يكون ممن يتبعون خطوات الشيطان ، وينقلبون على أعقابهم خاسرين . من هنا كان هذا الصنف المبارك من الناس شديد الانتفاع بما يرد من البشائر المرتبطة بإحسان العمل وسلامة السلوك ، وبما يرد من النذارات المرتبطة بما هو عكس ذلك .

أقول هذا وأنا بسبيل النظر في نصوص نبوية كريمة أخرى تتعلق بالأخلاق وما إليها ، ترغيباً في محاسنها ، وترهيباً من مساوئها ، وتكشف عن آثار ذلك في

فإذا كان في مشاهد القيامة - كما رأينا من قبل - مشهد أولئك الذين يبدون وهم أقرب الناس مجلساً من رسول الله ﷺ ، بسبب ما يتصفون به من مكارم الأخلاق ، فإن من تلك المشاهد ، مشهد أولئك الذين أبعدهم عن رسول الله ﷺ يوم الدين ، ما كانوا عليه في الدنيا من مساوئ الأخلاق ؛ والأخلاق في دين الإسلام : جوهرها وأساسها : انضباط السلوك بمعايير الكتاب والسنة ، يشهد لذلك ما ثبت في الحديث الصحيح من قول عائشة رضي الله عنها - وقد سئلت عن خلق رسول الله ﷺ :- « كان خلقه القرآن » . وقد مر بنا فيما سبق من القول ، ما أخرج أحمد في المسند وابن حبان في صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وما أخرج الترمذي من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في شأن من يحملهم كريم الخلق إلى مكان الأقربة يوم القيامة من مجلس رسول الله ﷺ ، ومن تنقلهم مساوئ أخلاقهم ، فيعاقبون بالإبعاد - والعياذ بالله - عن مجلسه صلوات الله وسلامه ، بل يكونون أبعد الناس منه وأنه - ﷺ - فسر المتفهيق بالمتكبر . وهذه رواية أخرى لأحمد عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه يقول فيها : قال رسول الله ﷺ : « إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً : الثرثارون المتفهيقون المتشدقون » .

وقد أشرت من قريب إلى تفسير الترمذي لصفات أولئك الذين لم يذكرهم رسول الله ﷺ بخير ، بل أخبر عن سوء ما يكون من مشهدهم يوم الدين . ولزيد من البيان أورد تفسير الحافظ المنذري حيث قال : الثرثار - بناءً على مثلثين مفتوحتين :- هو الكثير الكلام تكلفاً ، والمتشدد : هو المتكلم بملء شدة تفاسيحاً وتعظيماً لكلامه . والمتفهيق : أصله من الفهق وهو الامتلاء ، وهو بمعنى التشدد ، لأنه الذي يملأ فمه بالكلام ، ويتوسع فيه إظهاراً لفصاحته وفضله ، واستعلاءً على غيره ، ولهذا فسر النبي ﷺ بالمتكبر .

هذا : وليس من مكرور القول التنبيه على أن الحريص على سلامة عقباه يوم المعاد، يكون أبداً على حذر من أن يقع في شيء من مساخط الله التي تؤدي بصاحبها إلى سوء المصير ، بل يكون على العكس من ذلك : لا يدع أن ينظر فيما رغب فيه الشارع ، فيأتي به على خير وجه وأكملة ، كي يجزى على صنيعه - بفضل الله - الجزاء الأوفى يوم الحساب . وموائد الخير والعطاء منصوبة ، والعاقل من سعى للأخرة سعيها ، وأقبل على الله بعزيمة وصدق . قال الإمام الترمذي : حدثنا سلمة ابن شبيب قال : حدثنا عبدالله بن إبراهيم الغفاري المدني قال : حدثني أبي عن أبي بكر بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله جنته ؛ رفق بالضعيف ، وشفقة على الوالدين ، وإحسان إلى المملوك » قال : هذا حديث حسن غريب ، وأبو بكر بن المنكدر هو أخو محمد بن المنكدر .

فمن الواضح ، أن اتصاف المسلم بتلك الخلال الثلاث التي سداها ولحمتها الرفق بالضعيف ، والشفقة على الوالدين ، والإحسان إلى المملوك ، أضاءت طريقه إلى أن يكون في كنف الله ورحمته يوم القيامة ، وأن يُدخله جنة الخلد؛ فسبحان الكريم الوهاب .

قال صاحب « النهاية » في مادة « كنف » (وفيه « يُدنى المؤمن من ربه حتى يضعّ عليه كنفه » أي يستره وقيل : يرحمه ويلطف به : والكنف - بالتحريك - الجانب والناحية . وهذا تمثيل لجعله تحت ظل رحمته يوم القيامة . ومنه حديث أبي وائل « نشر الله كنّفه على المسلم يوم القيامة هكذا ، وتعطفّ بيده وكمّه » . وجمع الكنف أكناف) . فهنيئاً لمن يبدون - يوم العرض الأكبر - وهم قوام هذا المشهد المشرق بفضل الله ورحمته ، جزاء ما كانوا عليه من حسن الخلق ، وفق ما وجّه إليه ورغب به رسول الله ﷺ .

والحق أن البشارة العظيمة التي أهداها النبي ﷺ لأحسن المؤمنين أخلاقاً -

وهي كونهم أحب الناس إليه وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة - تُسلم المرء إلى حيث يبصر في كل بشرى على حسن الخلق توكيداً لحقيقة تلك البشارة ، ويا فوز من يخالطون هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام مخالطة عمل وحسن امتثال ، واستمساك بمحاسن الأخلاق التي دعا الأمة إليها ، ورغب في التخلق بها ؛ وهم واجدون - إن وفقوا لذلك - أنهم على حال يغبطون عليها ، يوم يقول رب العزة لجهنم: ﴿ هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ .

وبعد : فهذه مكرمة يزجي النبي ﷺ البشارة بها لمن يكظم غيظه - وكظم الغيظ من مكارم الأخلاق - وهو قادر على أن ينفذه ويتنصر ، نبصرها في مشهد من مشاهد القيامة يُدخل على قلب المؤمن من الأنس والفرح بفضل المولى عز وجل ما الله به عليم . أخرج الإمام أحمد في المسند عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كظم غيظه - وهو يقدر على أن ينتصر - دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره في حور العين أيتهن شاء . ومن ترك أن يلبس صالح الثياب - وهو قادر عليه - تواضعاً لله تبارك وتعالى ، دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره الله تعالى في حلل الإيمان أيتهن شاء » وأخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي ولفظه « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء » .

وكظم الغيظ : أن يكف المرء عن إمضائه والانتصار لنفسه ابتغاء وجه الله ، وهو قادر على ذلك . وإنما تُحمد الكظم - كما يقول الإمام الطيبي - لأن فيه قهراً للنفس الأمانة بالسوء ، ولذلك مدح الله الكاظمين بقوله : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ فإذا تخلق المؤمن بهذا الخلق استحق تلك الكرامة يوم القيامة .. فدعاه الله على رؤوس الخلائق وخيره في أي الحور شاء . وفي ذلك ما فيه من شهرة بين الناس ، والثناء عليه ، والمباهاة به في ذلك الموقف العظيم ..

الظلم ظلماتٌ يوم القيامة

كان من وضع الأمور مواضعها في منهج النبي ﷺ - وهو يعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم - أن أعطى للكشف عن عاقبة كلٍّ من الإحسان والإساءة في الدنيا ، يوم يحشر الناس لأحكام الحاكمين ، ما يستحقه من الأهمية ؛ وذلك على سنن الكتاب العزيز ، وكلما ازداد حرص الأمة على الاحتكام إلى ضوابط الشريعة المطهرة في الشؤون جميعها ، ظهرت أهمية الكشف المومى إليه في تقويم الاعوجاج عند الفرد والجماعة ، وشد الأمة إلى الصراط السوي ، لما أنها تكون بذلك قد جمعت الخير من أطرافه ؛ فهي تقوم بعمارة الأرض والإفادة من تسخير الله الكون للإنسان : علماً وعملاً وأخذاً بالأسباب ، وفي الوقت نفسه ، يكون التوجه الأخروي الذي يبدو من ثمراته - في إطار التكامل والنظرة الشاملة إلى العاجلة والآجلة - رسم المناهج التي تجعل المسلم ، وهو يدير حركة الحياة ، لا ينسى الله واليوم الآخر ؛ فترى الحرص على الاستقامة ابتغاء مرضاة الله ، والدأب على فعل الطاعات ، والإكثار من القربات والجهاد في سبيل الله ؛ لما أن ذلك سبيل النجاة - بعون الله وفضله - يوم الدين زحزحةً عن نار السعير ، وتقليباً بنعمة الله وفضله في جنة عدن حيث العاقبة للتقوى .

ولننظر في شذرات من توجيهاته ﷺ المسلمين ، وهم يبنون الحياة الإسلامية ، كيف وثق ﷺ علاقة الإحسان في الدنيا ، بثبوته في الآخرة ، والإساءة في الدنيا ، بعقوبتها هنالك ، وجلّى - فداه أبي وأمي - قيمة المسؤولية والجزاء تجليةً تجعل أثر النظرة إلى العاقبة يوم المعاد ، ذات أثر فعال في توجيه شؤون الحياة على صعيد الفرد والجماعة والأمة . قال الإمام مسلم : حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب قال : حدثنا داود - يعني ابن قيس - عن عبدالله بن مقسم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا

الشَّحَّ فان الشح أهلك من كان قبلكم ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » هكذا يحذّر النبي عليه الصلاة والسلام من أمرين اثنين يبدو الوقوع فيهما شراً مستطيراً في حياة الأمة؛ أما أحدهما : فهو الظلم، وأما الثاني: فهو الشح.

ولقد سلك ﷺ في التوجيه إلى الاحتراس من الوقوع في الشح - الذي هو البخل الشديد مع الحرص ، وهو ذو نسب إلى الظلم - مسلك النذارة من الفتنة العمياء التي لفت بظلامها من وقعوا فيه ممن كان قبلنا من اليهود وغيرهم ، تلك الفتنة : هي ما حملهم عليه الشح من سفك دماء بعضهم بعضاً ، واستحلال بعضهم محارم بعض - والعياذ بالله - واحتمال أن الهلاك كائن في الآخرة قائم - والله أعلم - ويحتمل أنه أصابهم ما أصابهم من الأذى في الدنيا ، والعذاب الأليم ينتظرهم في يوم المعاد .

وعلى هذا : فلسوف يكون من المشاهد المؤثرة حقاً يوم القيامة : مشهد أولئك الأشحّة - وقد حكم عليهم بالهلاك في الآخرة مع مذاقوه من الويل في الدنيا - . ولعل من الخير التذكير بما قاله بعض العلماء بأن الشح أشد من البخل وأبلغ في المنع من البخل ، وقيل : هو البخل الشديد مع الحرص . وقيل : البخل يكون في أفراد الأمور ، والشح عام . وهنالك من يقول بأن الشح هو الحرص . وهنالك من يقول بأن الشح هو الحرص على ما ليس عنده ، والبخل بما عنده ، والمعنى المراد من مجموع الأقوال واضح كل الوضوح ، وتجاوز الحق فيه إلى الباطل أوضح .

أما عن الأمر الأول - وهو الظلم - فاتجه الهدي النبوي في التحذير من الوقوع فيه إلى التذكير بسوء العقابة وشدة ظلامها في ذلك اليوم العصيب . « اتقوا الظلم » : اجعلوا بينكم وبين الظلم وقاية من تقوى الله وتحكيم شرع الله في أنفسكم وفيمن ولاكم الله أمرهم ، لأن الظلم ظلمات على صاحبه يوم المعاد ، فهو لا يهتدي في تلكم الساعات العصيبات ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، سبيلاً ، وتراه وقد تسربل ثوب المهانة في جهنم ، وأي ظلمات أشد من تلك

الظلمات التي أخبر عنها القرآن الكريم مثل قوله جل وعلا : ﴿ ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم .. ﴾ . هنالك يفتضح الظلمة وأعوانهم وتشهد الخلائق تلك الظلمات ، ويعلم الجميع أن ذلك المشهد المظلم المروّع الذي آلت إليه حال الظالمين ، ناطق على رؤوس الأشهاد - بضلال ما كانوا عليه في الدنيا ؛ من ظلم أنفسهم وظلم عباد الله ..

على أن الصورة التي تعنيها كلمة «ظلمات» في الحديث - وهي نكرة - تبدو أوسع مدلولاً مما يمكن أن تصل إليه قدرتنا في تحديد مداها واتساع دائرتها ، وذلك متسق تمام الاتساق ، مع الذي تدل عليه نصوص القرآن الكريم - وهي كثيرة وفيرة - في بيان عاقبة الظلم والظالمين والترهيب الشديد من ذلك .. وذلك من بلاغة النبي ﷺ - وقد أوتي جوامع الكلم واؤتمن على بيان كتاب الله المعجز - «الظلم ظلمات يوم القيامة» يذهب الذهن في تبين ذلك كل مذهب ، وينقلب خاسئاً كليلاً لم يحيط بأبعادها والصور التي تعنيها وتشملها . وذلك ما يبعث على الخوف الشديد الشديد من مغبة تلك الصفة الأثيمة يوم القيامة ، ويعمل عمله في إبعاد المؤمن عن الوقوع فيها أو في أسبابها وكل ما هو منها بسبيل ، أياً كان موقع هذا المؤمن في المجتمع والأمة !! .

ودائرة السوء هذه التي تغمر بظلماتها مشهد الظالمين ظاهراً وباطناً في يوم تشخص فيه الأبصار ، يُرى معها وعلى التقابل ، مشهد المؤمنين الذين عملوا الصالحات في الدنيا ، ولم يتمرغوا في حمأة الظلم والاعتداء على حقوق الإنسان المكرّم عند الله ؛ تشهدهم الخلائق ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ورحمة الله قد نشرت عليهم ، والجنة أزلقت لهم جزاء ما أسلفوا من خير ؛ وهل تستوي الظلمات والنور؟؟

هذا : وفي « كتاب المظالم » من الجامع الصحيح للإمام البخاري نفع على قوله رحمه الله « باب الظلم ظلمات يوم القيامة » حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا عبدالعزيز الماجشون قال : أخبرنا عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة » وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر . ورواه أحمد في المسند بلفظ « أيها الناس اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وله في رواية أخرى « يا أيها الناس إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وبهذا اللفظ أخرجه الدارمي . وأخرجه البيهقي في « الشعب » من هذا الوجه وزاد فيه : قال محارب : « أظلم الناس من ظلم لغيره » فياويح أعوان الظلمة ، ويا ويلهم من يوم كان شره مستطيراً . قال الإمام ابن الجوزي : « الظلم يشتمل على معصيتين : أخذ مال لغيره بغير حق ، ومبارزة الرب بالمخالفة ، والمعصية فيه - أي في الظلم - أشد من غيرها ؛ لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار . وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ، لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر . فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى ، اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً » .

وإذا كان الأمر كذلك ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ولا تنفع الظالمين معذرتهم ولا هم يستعتبون ، فلا بدع أن نرى سادة أولي النهى ، لا يلهيهم زخرف الدنيا ومتاعها عن الحق ، ولا ينسيهم السلطان فيها مهما كان شأن ذلك السلطان ما هم صائرون إليه يوم الدين . أخرج أبونعيم في الحلية عن ميمون بن مهران قال : « خرجت مع عمر بن عبدالعزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا أيوب هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلاء وأصابته الهوام في أبدانهم مقيلاً . ثم بكى حتى غشي عليه ، ثم أفاق فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من

أما ميمون بن مهران : فهو ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر رحمه الله وتوفي سنة ١١٧هـ .

« المثلاث » جمع مفردة مُثْلَه . قال الراغب الأصفهاني في « المفردات » :
(والمُثْلَةُ : نِقْمَةٌ تنزل بالإنسان ، فيجعل مثلاً يرتدع به غيره ، وذلك كالنكال ،
وجمعهُ مُثْلَاتٌ وَمَثَلَاتٌ) وفي سورة الرعد / ٦ ﴿ من قبلهم المثلثات ﴾ .

اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ!! وَدَخَلَتْ النَّارُ بِظُلْمِ هَرَّةٍ

الحديث موصول برحلتنا مع بعض النصوص، التي نسعد باستجلاء ما تكشف عنه من وثيق الارتباط بين مشهد من مشاهد القيامة - ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ - وبين ما كان عليه أمر الذين يضمهم هذا المشهد من إحسان، أو إساءة في الدنيا دار الفناء. والعهد قريب بوقفة مع عدد من الروايات لحديث التنفير من الظلم، والوعيد عليه، ووجوب الاحتراس منه؛ وكان من تلك الروايات قول النبي ﷺ كما في رواية البخاري «الظلم ظلمات يوم القيامة» وجاءت بعض الروايات عند أحمد بلفظ «يا أيها الناس إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» ولمسلم «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

ومما يزيد الأمر تأكيداً ويدل على حرص النبي ﷺ تحنيب المسلم، أن يكون واحداً ممن يلفهم مشهد الظلمات التي تحيق بالظالمين يوم القيامة، وتغرق سيولهم عن دخول جنة الخلد: ما نبّه عليه ﷺ من اتقاء دعوة المظلوم؛ لأنه ليس بينها وبين الله حجاب؛ فإذا وقع الظلم على إنسان ودعا على ذلك الظالم، استجيبت دعوته وحلّت بظالمه النقمة في ساعات عصيبات يوم القيامة، يكون المرء فيها أحوج ما يكون إلى شعاع من الأمل، يستشعر من خلاله أنه من الناجين من عذاب السعير، ناهيك عن افتضاحه على رؤوس الخلائق أجمعين.

أخرج البخاري بسنده في كتاب المظالم من الجامع الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». وجاءت الرواية أكثر تفصيلاً في كتاب الزكاة من الجامع من رواية ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى

اليمن : « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » وعند مسلم « فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد واللفظ عنده « واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله عز وجل حجاب » .

قال صاحب الفتح رحمه الله في شرح « اتق دعوة المظلوم » : (أي تجنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم ، وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم . والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم في قوله : « وإياك وكرائم أموالهم » الإشارة إلى أن أخذها ظلم) . ثم نقل عن بعضهم قوله : (عطف « واتق » على عامل « إياك » المحذوف وجوباً ؛ فالتقدير : اتق نفسك أن تتعرض للكرائم ، وأشار بالعطف إلى أن أخذ الكرائم ظلم ، ولكنه عمم إشارة إلى التحرز عن الظلم مطلقاً) .

والمؤمن الذي يخاف الله واليوم الآخر ، ويحذر من الوقوع فيما تسوء عقباه يوم المعاد ، يستوقفه أكثر وأكثر قول النبي ﷺ « فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » فهي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع . والمراد - كما يقول العلماء - أنها مقبولة وإن كان عاصياً ، كما جاء في حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعاً « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه » وإسناده حسن وقال الطيبي : قوله : « اتق دعوة المظلوم » (تذيل : لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم ، وعلى غيره) . وقوله : « فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (تعليل للاتقاء ، وتمثيل للدعاء كمن يقصد دار السلطان متظلياً فلا يحجب) والله جل شأنه المثل الأعلى .

ولا عجب في هذا: فالله تبارك وتعالى كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما قد حرّم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرماً ونهاهم عن التظالم « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » بل إن الظلم منهى عنه حتى للعجائز والنساء التي لا تعقل. ولسوف تشهد الخلائق يوم الحساب امرأة دخلت النار بظلمها لهرة ، إذ أنها حبستها حتى ماتت جوعاً ؛ فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض . وهو مشهد ذو دلالة عميقة وأثر بالغ في قلب المؤمن وعقله ؛ لما يدل عليه من شناعة الظلم التي ينطق بها ، وكيف أن الظلم يكون طريق المكلف إلى جهنم — ولو كان لمخلوق غير الإنسان — فما بالك بظلم الإنسان ، واغتصاب حقوقه ، وانتهاك حرّماته !! وكلما اتسعت ساحة الظلم كماً وكيفاً ، تفاقم الخطب يوم القيامة ، وتراكمت الظلمات التي أعقبها ذلك الظلم ، وكان من وراء ذلك سوء المنقلب وعذاب الجحيم ؛ ناهيك عن الافتضاح على رؤوس الأشهاد ، وما يتسرّب به الظالم من ألوان المؤاخذه والضيق والاضطراب في نفسه ومشاعره ، ساعة يعضّ على يديه نادماً ولات ساعة مندم !!!

أخرج البخاري بسنده عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « دخلت النار امرأة في هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خَشَاش الأرض » قال : وحدّثنا عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله . وله في رواية أخرى « عُذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض » وقد مر بنا من قبل أن النبي ﷺ أُرِيَهَا تتقلب في الجحيم .

خَشَاش الأرض : هوأم الأرض وحشراتنا من فأرة ونحوها. وظاهر هذا الحديث — كما يقول العلماء — أن المرأة عذبت بسبب قتل هذه الهرة بالحبس . وقال القاضي عياض : (يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بالنار حقيقة أو بالحساب ؛ لأن من نوقش الحساب عذب . ثم يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بكفرها وزيدت عذاباً بسبب ذلك ، أو مسلمة وعذبت بسبب ذلك) . قال النووي : (الذي يظهر أنها كانت مسلمة وإنما دخلت النار بهذه المعصية) يعني ظلم تلك

المخلوقة التي هي الهرة .

وأخرج الحديث أحمد وابن ماجه . وله عدة روايات عند مسلم ؛ جاء في إحداها قول رسول الله ﷺ : « عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقيتها - إذ هي حبستها - ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » . وقال الإمام مسلم : حدثنا محمد بن رافع قال : حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ . فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار من جراء هرة لها أو هر ؛ ربطتها ، فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها ترمم من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً » .

وقوله ﷺ . (تُرْمِم) هكذا هو في أكثر النسخ - كما يقول الإمام النووي - وفي بعضها تُرْمَم ، وفي بعضها : تَرْمَم أي تناول ذلك بشفتيها . وقوله . « من جراء هرة » أي من أجلها ، يُمَدُّ ويقصر ، يقال : من جرّائك ومن جرّاك وجريرك وأجلك بمعنى واحد .

وسبحان من لا يضيع عنده عمل عامل ، ولو كان ذلك العمل مثقال ذرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في مقابل المشهد الذي ندندن حوله - وهو جدّ واضح في عقبى الظلم في الآخرة ولو كان للحيوان - يطالعنا قبس من الهدى النبوي في شأن رحمة البهائم . روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها ، فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً ؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر » .

سمي الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده .

وصلّى الله وسلم وبارك على الرحمة المهداة ، وردّ الأمة إلى هديه المبارك الميمون رداً جميلاً ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

إِنَّ عَذَابَهَا كَأَنَّ نَارًا...

من الحقائق التي لا يتماهى بها مؤمن ، وجوب أن يظل المرء على ذكر من يوم المعاد، وما يكون فيه ، وأن يكون لديه مع رجاء النجاة والفوز بجنة الخلد ، الخوف من أن يلقى يوم الحشر في العذاب المهين ، لذا تراه يُسهر ليله ويظمئ نهاره في طاعة الله ، وفي الوقت نفسه ، يتضرع إلى مولاه أن ينجيه من عذاب النار ، ويحفظه من سوء المصير ؛ فلا يكون في عداد من تقشعر لمشهدهم الأبدان — وهم يساقون إلى جهنم ورداً — حتى إذا ألقوا فيها لم يكن لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع .

ولقد وجّه النبي ﷺ الأمة من خلال الوقائع هذه الوجهة المباركة، وسلك بالمسلمين سبيل النجاة يوم الدين . وطوبى لمن استتارت منهم البصائر فاهتدوا بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام وكانوا من المحسنين . قال الإمام مسلم : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وحجاج بن الشاعر — واللفظ لحجاج — (إسحاق : أخبرنا ، وقال حجاج : حدثنا) عبد الرزاق قال : أخبرنا الشوري عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله الشكري عن معمر بن سويد عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : « قالت أم حبيبة : اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله ﷺ : إنك سألت الله لأجل مضروبة ، وآثار موطوءة ، وأرزاق مقسومة ، لا يعجل شيئاً منها قبل حله ولا يؤخر شيئاً بعد حله ، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار ، وعذاب في القبر ، لكان خيراً لك » . وأخرجه أحمد في المسند يقال : حلّ الأجل خلأً وحلاً .

وهذا وأمثاله من النبي ﷺ : لون مبارك من ألوان البيان لما جاء في الكتاب الكريم حول هذا الأمر الجليل . من ذلك ما جاء من الدعاء على لسان عباد الرحمن

من قول الله تبارك وتعالى في سورة الفرقان ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ الغرام : ما كان لازماً ، يقال : فلان مغرم بكذا أي لازم له مولع به . وقيل : الغرام أشد العذاب . وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يتعوذ من النار ، ويعلم أصحابه ذلك . روى أبو داود في سننه بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : « طفت مع عبدالله - يعني أباه - فلما جئنا دُبْرَ الكعبة قلت : ألا تتعوذ ؟ قال : نعوذ بالله من النار ، ثم مضى حتى استلم الحجر ، فأقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه ، وذراعيه وكفيه هكذا - وبسطهما بسطاً - ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله » ورواه ابن ماجه ووقع عنده : عن أبيه عن جده ؛ فيكون شعيبٌ ومحمدٌ طافا جميعاً مع عبدالله . وجاء في هذه الرواية : « .. فلما فرغنا من السبع ركعنا في دبر الكعبة ، فقلت : ألا تتعوذ بالله من النار ؟ قال : أعوذ بالله من النار » قال : ثم مضى فاستلم الركن ، ثم قام بين الحجر والباب ، وألصق صدره ويديه وخدّه إليه ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل . »

جزى الله نبيّنا محمداً ﷺ ما هو أهله ، ورفع مقامه في الآخرين ، وآتاه الوسيلة والفضيلة ، وبعثه المقام المحمود ، على ما علّم ويّين ؛ ومن ذلك تعليمه الناس بالقول والفعل أن يتعوذوا من النار . روى الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » . وكيف لا يتعوذ المؤمن من النار ومن عذاب النار ، وهي على ما هي عليه كما جاءت نصوص الكتاب والسنة في شأنها ، وفي أحوال أهلها وما ينزل بهم من الأهوال الشداد !! قال الإمام الترمذي : حدثنا سويد قال : أخبرنا عبدالله قال : أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما

في جوفه حتى يمرق من قدميه - وهو الصهر - ثم يعاد كما كان » قال أبو عيسى :
هذا حديث حسن صحيح غريب . وسعيد بن يزيد يكنى أبا شجاع مصري روى
عنه الليث بن سعد . وابن حجرية هو عبدالرحمن بن حجرية المصري . وأخرجه
الإمام أحمد في المسند من رواية أبي هريرة أيضاً ولفظه « إن الحميم ليصبُّ على
رؤوسهم ، فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق
من قدميه » . وفي كتاب الله بعد أن تحدثت الآيات في سورة الصافات عن المؤمنين
وما لهم يوم القيامة من كريم المثوبة وجزيل العطاء قال ربنا جل جلاله : ﴿أذلك
خير نزلًا أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنَةً للظالمين . إنها شجرة تخرج في أصل
الحميم . طلعها كأنه رؤوس الشياطين . فإنهم لا كلون منها فماثلون منها البطون .
ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ .

فالله تعالى يذكر أن أهل النار يأكلون من هذه الشجرة التي لا أقبح من
منظرها ، ولا أبشع منها ، ناهيك عما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع ،
فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها ، لأنهم - على شدة ما يعانون من الجوع - لا يجدون
إلا إياها ، وما هو في معناها ، كما قال سبحانه : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع .
لا يسمن ولا يغمي من جوع ﴾ . روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله
عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال : « اتقوا الله حقَّ تقاته ، فلو أن قطرة
من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم ؛ فكيف
بمن يكون طعامه » ، وليس الزقوم فحسب ، ولكنه يمزج بالحميم أيضاً ﴿ ثم إن
لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ وأخرج الحديث الترمذي والنسائي وابن ماجه من
حديث شعبة ولفظ الترمذي « قرأ رسول الله ﷺ ﴿ اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتن إلا
وأنتم مسلمون ﴾ قال رسول الله ﷺ : لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا
لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .
وعند البغوي في « شرح السنة » « فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت
على أهل الدنيا معيشتهم ، وكيف بمن هو طعامه ، وليس لهم طعام غيره !! » وعند

تفسير قوله تعالى في سورة الدخان : ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم... ﴾ الآيات ،
ونقل شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري ذلك عن مجاهد أيضاً .

ولقد كان من آثار التصديق بذلك ، وخفاة السلف الصالح أن يكون الواحد
منهم في عداد الآثمين أهل هذه العقوبة - والمعاذ الله - أن عملوا - مع أخذ النفس
بعمل الصالحات والإكثار من القربات - على توجيه من ولأهم الله أمرهم هذه
الوجهة ، وأن يسألوا ربهم الجنة ويتعوذوا به من النار . أخرج الإمام أحمد في المسند
عن أبي نَعامة « أن عبد الله بنَ مَغْفَلٍ رضي الله عنه سمع ابنه يقول : اللهم إني
أسألك الفردوس وكذا ، وأسألك كذا ؛ فقال : أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من
النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون في هذه الأمة قوم يعتدون في
الدعاء والطهور » ورواه ابن ماجة مقتصراً على الدعاء . وأخرجه أبو داود من رواية
أبي نَعامة أيضاً « أن عبد الله بن مَغْفَلٍ رضي الله عنه سمع ابنه يقول : اللهم إني
أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها ، فقال : أي بني سل الله الجنة
وتعوذ به من النار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه سيكون في هذه الأمة
قوم يعتدون في الطهور والدعاء » .

من هنا ، كان الذين يغبطون حقاً : هم أولئك الفطناء في كل عصر ، الذين
جعلوا همهم سلامة العاقبة يوم المعاد ، ولم يدعوا أبداً أن يزِنوا تصرفاتهم بهذا
الميزان الدقيق . من هؤلاء السعداء الإمام أبو إسحاق الشيرازي العالم العامل
صاحب التصانيف والمتوفى سنة ٤٧٦ هـ جاء في « طبقات الشافعية الكبرى » لتاج
الدين السبكي : (لما توفي قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن جعفر بن مأكولا
ببغداد أكره القائم بأمر الله الشيخ الإمام أبا إسحاق على أن يتقلد له النظر في
الأحكام والمظالم شرقاً وغرباً ، فامتنع ، فوكل به ، فكتب إليه « ألم يكفك أن هلكت
حتى تهلكني معك » فبكى القائم بأمر الله وقال : هكذا فليكن العلماء . إنما أردنا
أن يقال : إنه كان في عصرنا من وكل به وأكره على القضاء فامتنع وقد أعفيناه ..)

رحم الله العالم الرباني أبا إسحاق الشيرازي ، وأكثر في الأمة من العلماء
العاملين النصحاء الذين لا يتبدلون الدنيا بالآخرة ، ولا يخافون في الله لومة لائم،
وأولئك هم أولو الألباب .

تجارة تنجي من العذاب الإليم

من رحمة الله بهذه الأمة، ما هتياً لها من نصحة لا يجيدون في نصحهم وتذكيرهم عن المنهل العذب الذي خلفه سيد الرحماء رسول الله عليه الصلاة والسلام . ومن أبرز مظاهر النصح في حياة هؤلاء: تذكيرهم الناس باليوم الآخر ، وتحذيرهم من الغفلة عن المسؤولية يوم الحساب ، الأمر الذي يثير مشاعر التقوى ، ويحرك القلوب، ويوقظ من طائف النسيان والشيطان .. ولا تسل عن آثار ذلك في حياة من يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، في العاجل والآجل ؛ فترى الوقوف عند حدود الله في الدنيا ، والفوز بعظيم الأجر والمثوبة يوم الحساب . ونعمت عاقبة المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ويتنفعون بما يذكّرهم بالله واليوم الآخر ، فيشتمرون عن ساعد الجد لمضاعفة العمل الصالح وتنقيته من الشوائب ابتغاء مرضاة الله، ويحظون يوم الحشر بما يفرح قلوبهم وينسيهم هموم الدنيا وأوضارها .. أجل يحظون بما يؤتيهم الله من فضله، من الفوز بالجنة والنجاة من عذاب السعير .

قال : ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين قال : حدثنا علي بن محمد الطنافسي قال : حدثنا إسحاق بن سليمان - شيخ من أهل العراق - قال : أنبأنا شعيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : « كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وأعلى منزلته في الآخرين : أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد : فإنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحُرم جنة عرضها السماوات والأرض ، أفلا تعلمون أنه لا يأمن غداً إلا من حذر هذا اليوم وخافه وباع نافداً بباق ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان !! ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين !! وسيكون من بعدكم الباقيين ، حتى تردوا إلى خير الوارثين، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل ، قد قضى

نحبه وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير ممهد ولا موسّد ، قد فارق الأحباب وياشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتتهن بعمله ، غنيّ عما ترك ، فقيرٌ إلى ما قدّم ، فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء موثيقه ونزول الموت بكم . ثم جعل - رحمه الله - طرف رداثه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله .

والنسبُ الواضح بين هذا الكلام ، وبين معدن النبوة من هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام بيّنٌ لاشية فيه ؛ فكم حذر رسول الله ﷺ الغافلين وأنذر ، وكم رغب أمته في العمل لما بعد الموت ، ورهب من الغفلة عن يوم يصدر الناس فيه أشتاتاً ليُروا أعمالهم ، وترى العدل الإلهي منصوب الأعلام ؛ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ . أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن صفوان عن أيفع بن عبد الكلاعي أنه سمعه يخطب الناس فقال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قال : لنعم ما اتجرتُم في يوم أو بعض يوم ! رحمتي ورضواني وجنتي ، امكثوا فيها خالدين مخلصين . ثم يقول : يا أهل النار ، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم . فيقول : بشس ما اتجرتُم في يوم أو بعض يوم ! نارِي وسخطي ، امكثوا فيها خالدين مخلصين . » وما من ريب في أن وسيلة المؤمن - مستعينا بالله - إلى الربح العظيم يوم الدين : رحمته وجنته ورضوانه : تقوى الله في السر والعلن ، وخشيته سبحانه بالغيب في استقامة وإخلاص يباعدان بينه وبين الغفلة والغافلين ... إنه إن أخذ نفسه بهذا : كان - بفضل الله وعونه - من الناجين من عذاب الله الأليم ، الفائزين بها أعدّ لأوليائه الصالحين المتقين .

وفي كتاب الله تعالى واحدة من حقائق كثيرة تأخذ بيد المؤمنين إلى ذلك الأفق الرحب يوم تأزف الآزفة ، فينالون مع المغفرة والرحمة والنصر على الأعداء ، جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين . ذلكم قول الله جل شأنه في سورة الصف : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب

اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿ فيا نعم ذلك المشهد العظيم يوم القيامة ، مشهد أولئك الذين أظلتهم العناية ، وتنسموا عبير الهداية ، وغمرتهم نفحات الرحمن فجمعوا إلى الإيمان بالله ورسوله : أنجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، مخلصين صادقين . موقنين بما أعد الله للمجاهدين في سبيله من الفضل الكبير والعطاء الجزيل .

وعملًا بالهدي الرباني الكريم؛ كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون أشد الحرص على فعل ما يكون سبيلهم إلى حسن العاقبة يوم اللقاء . جاء في سبب نزول سورة الصف - ومنها هذه الآيات وقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مَّرصُوعٌ ﴾ - ماروى أحمد والترمذي وابن أبي حاتم واللفظ له عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه « أن ناساً قالوا : لو أرسلنا إلى رسول الله ﷺ نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ؟ فلم يذهب أحد منا ، وهبنا أن نسأله عن ذلك ، قال : فدعا رسول الله ﷺ أولئك نفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة ﴿ سَبَّحْ ﴾ الصف . قال عبدالله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها . « قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبدالله بن سلام كلها . قال يحيى بن أبي كثير : وقرأها علينا أبو سلمة كلها . قال الأوزاعي : وقرأها علينا يحيى ابن أبي كثير كلها . قال أبي : وقرأها علينا الأوزاعي كلها » .

ألا وإن في النصوص ما يشهد أن الذين يأتون بأحب الأعمال إلى الله : هم من يحبهم الله تعالى ؛ وأكرم بهذه المحبة من فضل ... أخرج الترمذي في كتاب صفة الجنة من السنن - « الجامع الصحيح - عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله . فأما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه ، فتخلف رجل في أعقابهم

فأعطاه سرّاً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه . وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبّ إليهم مما يُعدّل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم ، فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي . ورجل كان في سرية ، فلقي العدوَّ فهزموا وأقبل بصدّره حتى يُقتل أو يُفتح له . والثلاثة الذين يبغضهم الله : الشيخ الزاني ، والفقير المختال ، والغنيّ الظلوم». ورواه أحمد بنحوه والنسائي وابن أبي حاتم .

وإذا كان الأمر كذلك : فما ظنك بعاقبة هؤلاء المحبوبين يوم العرض على الله الذي أحبهم سبحانه !!

وهذا مشهد من مشاهد القيامة لزمرة من الشهداء ، وما أعز وأغلى منازل الشهداء . فعن نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه « أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أيُّ الشهداء أفضل ؟ قال : الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون في الغرف العلا من الجنة ويضحك إليهم ربهم ، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه » رواه أحمد وأبو يعلى بإسنادين جيدين ورواه الطبراني بنحوه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه . ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ ..

كذبت... سئلت أيسر من ذلك

الله ما أشد ما يظلم الإنسان نفسه قبل ظلم الآخرين ، حين يكفر بالرحمن ويصدُّ عن سبيل الله ؛ ولو عقل واتخذ من سبيل الإنصاف للحقيقة سبيلاً ، لعوفي مما يصيبه من التمزق والقلق النفسي في الدنيا ، ولكان له منجاة مما ينتظر الجاحدين في الآخرة من العذاب المهين .

ولقد حملت إلينا النصوص النبوية الموثقة - فيما حملت - أخبار واحد من المشاهد التي تؤذن يوم القيامة بها فعل الجحود بالكافر ؛ إذ أوصله إلى أن يقذف في النار ويهلك مع الهالكين ، وهي أخبار تحمل لونا من الحوار الذي لا يملك الكافر معه إلا أن يستكين للحقيقة ، ولكن بعد فوات الأوان . أخرج الإمام البخاري بسنده عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول : « يُجاء بالكافر يوم القيامة ، فيقال له : رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم . فيقال له : قد كنت سئلت أيسر من ذلك » ولفظه عند مسلم « يقال للكافر يوم القيامة : رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم : فيقال له : قد سئلت أيسر من ذلك » . وجاء التصريح في روايات أخر بأن الذي يخاطب الكافر الخطاب المذكور ، هو الله تبارك وتعالى ، أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تبارك وتعالى لأهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا ، أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم . أن لا تشرك (أحسبه قال) ولا أدخلك النار ، فأبيت إلا الشرك » .

والإشارة إلى ما جرى من أخذ العهد على الإيمان والناس في صلب آدم

واضحة . وهو ما نجده عند أحمد والبخاري أيضاً قال عبدالله ابن الإمام أحمد :
حدثني أبي قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني
قال : سمعت أنس بن مالك يحدث عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل
لأهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟
فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم ، أن
لا تشرك بي ، فأبيت إلا أن تشرك بي » .

وكون التوحيد الخالص أهون أو أيسر على الإنسان - كما يقرره الحديث - إنما
جاء - والله أعلم - من كون التوحيد وعدم الشرك هو ما فطر عليه البشر ﴿ فطرة الله
التي فطر الناس عليها ﴾ ولكن أهل الضلالة يستحبون العمى على الهدى فيقعون
على هذه الفطرة ، ويسترونها بأهوائهم حيناً ، وبالتقليد الأعمى حيناً ، ويتجاهلون
آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ، فيقعون في مغبة اتخاذ إله من دون الله الخالق
القادر سبحانه وتعالى ، وتكون عاقبتهم الخسران المبين يوم القيامة .

ونجد عند الإمام البخاري : « يقول الله تعالى لأهل النار عذاباً يوم
القيامة : لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم . فيقول :
أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن
تشرك بي » .

ومشهد هذا الكافر وأمثاله يوم القيامة : مدعاة للكثير من التحسب والخوف
من الوقوع فيما لا تحمد عقباه ؛ من أمور قد تجرّ صاحبها إلى الشرك والعياذ بالله .
وذو البصيرة تستوقفه كل لمحة من لمحات المشهد المذكور ، وبخاصة ما جاء في
بعض الروايات عند مسلم « فيقال له : كذبت قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت »
وهو ما نجده من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه قال الإمام النووي يرحمه الله .
(وأما قوله : « كذبت » فالظاهر : معناه أن يقال : لو رددناك إلى الدنيا وكانت لك
كلُّها أكنت تفتدي بها ؟ فيقول : نعم . فيقال له : كذبت ، قد سئلت أيسر من

ذلك فأبیت . ويكون هذا من معنى قوله تعالى : ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه ﴾ ولا بد من هذا التأويل ليجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ﴾ أي لو كان لهم يوم القيامة ما في الأرض جميعاً ومثله معه وأمكنهم الافتداء لافتدوا .

وفي هذا الحديث — كما يقول الإمام النووي — دليل على أنه يجوز أن يقول الإنسان : « الله يقول » . وقد أنكره بعض العلماء وقال : يكره أن يقول : « الله يقول » ولكن يقال : « قال الله » والصواب جوازه ، وبه قال عامة العلماء من السلف والخلف ، وبه جاء القرآن العزيز في قوله تعالى : ﴿ والله يقول الحق ﴾ وفي الصحيحين أحاديث كثيرة مثل هذا والله أعلم ..

هذا : ومما يصحب سوء العاقبة في أمر الكافر ، وأنها الخسر الذي ما بعده خسر، أنه يأتي يوم لا ينفع مال غني ولا جاه ذي جاه ولا سلطان ذي سلطان ، فلا يجد حسنة يُجزى بها مما كان قد قدم في الدنيا ﴿ وقدمنّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ ذلك لأن هذا العمل — مهما بلغ من الخيرية في الدنيا — فأجره في الدنيا ، وليس لصاحبه في الآخرة من نصيب ؛ لأن القاعدة التي لا بد أن يقوم عليها العمل — وهي الإيمان — مفقودة ؛ أعاذنا الله من ذلك وعافانا والمسلمين من كل ما يوصل إليه ، أو يتصل به من قريب أو بعيد ، وهذا يذكّر بقوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ .

أما المؤمن : فلا تسلم عما يلقي في الآخرة على صنيعه في الدنيا ، من جزيل العطاء ، ووافر الفضل والرحمة والإحسان ، جزاء عبوديته الصادقة لله عز وجل ، بعد أن يكون لم يُظلم شيئاً بعمله في دار الفناء . روى الإمام مسلم بسنده عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ؛ يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة . وأما الكافر : فيُطعم بحسنات — ما عمل

بها لله - في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم تكن له حسنة يُجزى بها « وله في رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه أنه حدث عن رسول الله ﷺ : « إن الكافر إذا عمل حسنة أظعم بها طعمة في الدنيا ، وأما المؤمن : فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ، ويُعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته » .

وهكذا أجمع العلماء - أخذاً من نصوص الكتاب والسنة - على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة ، ولا يُجْزى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقرباً إلى الله تعالى ، وجاء في هذا الحديث التصريح بأنه يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات ، أي بما فعله متقرباً إلى الله تعالى ، بما لا تفتقر صحته إلى النية ، كصلة الرحم والصدقة ، والضيافة ، وتسهيل الخيرات ونحوها .

وأما المؤمن : فيدخر الله له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ، ويجزى بها مع ذلك أيضاً في الدنيا ، قال العلماء : ولا مانع من جزائه في الدنيا والآخرة ، وقد ورد الشرع به ، فيجب اعتقاده .

هذا والحديث صريح بأن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ؛ بمعنى أنه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته ، والظلم يطلق بمعنى النقص . قالوا : وحقيقة الظلم مستحيلة من الله تعالى .

وأما إذا فعل الكافر مثل هذه الحسنات ثم أسلم : فإنه يثاب عليها في الآخرة على المذهب الصحيح كما استظهر الإمام النووي وغيره .

وعلى المؤمن أن يتحرى ويحذر ما يمكن أن يبطل عمله قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

وبعد : فكم يحمل المشهد الذي نحن بصدد الحديث عنه - وغيره من

المشاهد يوم الدين – من الدروس والعبر التي ينقاد لدلالاتها أهل البصائر ،
فيضاعفون العمل ، ويتحرّون الإخلاص وسلامة المقصد ، والبعد عن كل ما قد
يعكّر صفو التوحيد الخالص الذي هو قاعدة القبول .

وصلّى الله وسلم على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحابه أجمعين ..

كيف تنظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين!!

بصائر الهداية في القرآن الكريم، جعلت من نورها المتألق حظاً وافراً للعقل والقلب، أضاء للمؤمنين بكثير من الدقة والعمق طريق التعرف إلى حقيقة ما يقع يوم القيامة من الأهوال والشدائد ، حتى باتت منهم كأنها رأي عين .. وكان من رحمة الله بهذه الأمة أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يدع أن يَدُلَّ على تلکم البصائر في كتاب الله، ويكشف - مع البيان - عما يعين على الفهم والتدبر ، كيما يكون المؤمن على بصيرة من أمر آخرته ، فيملك - بعون الله - القدرة على تجاوز الصعاب ، وتذليل النفس للعبادة الخالصة ، والإتيان بالعمل الصالح الذي تحسن معه العقبى يوم الدين .

قال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني أبي قال : حدثنا عبدالرزاق قال : أنبأنا عبدالله بن بَحير الصنعاني القاص أن عبدالرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وأحسبه قال : وسورة ﴿ هود ﴾ ونقع عنده على رواية أخرى لم تذكر فيها سورة الانشقاق ولفظها : « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ وحسبُ أنه قال : سورة هود » وهنالك رواية أخرى لا نجد فيها الإشارة إلى سورة هود ؛ ذلكم قول عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما - كما سمع ذلك منه عبدالرحمن بن يزيد الصنعاني - قال رسول الله ﷺ : « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ » وقد أورد هذه الرواية الحافظ ابن كثير بين يدي تفسيره لسورة التكوين .

وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به، وقال : هذا حديث حسن غريب . وروى هشام بن يوسف وغيره هذا الحديث بهذا الإسناد وقال : « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ولم يذكر ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ . وكذلك رواه الحاكم في « المستدرک » وصححه ووافقه الذهبي في كتابه « التلخيص » ولكن بلفظ « من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ » .

هكذا يوجه النبي ﷺ المسلمين إلى ما يجعل الغيب الذي يؤمنون به كأنه تحت سلطان حواسهم في الدنيا ، الأمر الذي يحفز إلى المزيد من اليقظة ، والبعد عن كل ما يوقع في الغفلة ونسيان الله واليوم الآخر .

والملاحظ أن سورة التكويد بدئت بقوله تعالى : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ وتتالي التذكير بما يقع يوم القيامة من آيات الله العظام ؛ حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ثم جاء قوله تعالى : ﴿ وإذا الصُّحُفُ نُشِرت ، وإذا السماء كُشِطت . وإذا الجحيم سُعِثت . وإذا الجنة أُنزِلَتْ . عَلِمْتُ نَفْسٌ ما أُخْضِرْتُ ﴾ .

ونشر الصحف هذا : جدير بأن يشدّ أزر العاملين ، ويوقظ الكسالى المتهاونين . وهنيئاً لمن يقرأ ويتدبر ، ويعطي هذه الحقيقة - حقيقة أن كل إنسان يعطي صحيفته بيمينه أو بشماله - ما تستحق من الاهتمام ، ويضعها موضعها على ساحة العمل للآخرة والتزود بالتقوى لذلك اليوم ، يوم الفصل الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين للمساءلة والجزاء .

روى الإمام الطبري عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وإذا الصحف نُشِرت ﴾ « صحيفتك يا ابن آدم تُملئ فيها ثم تُطوى ، ثم تنشر عليك يوم القيامة . فليُنظر رجل ماذا يملئ في صحيفته » وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج ﴿ وإذا الصحف نُشِرت ﴾ قال : « إذا مات الإنسان طويت صحيفته ثم تنشر يوم القيامة فيحاسب بما فيها » .

والأمر هنالك حقٌ لا مَرِيَّةَ فيه ، والعاقِل من راقب الله وأَعَدَّ لذلك اليوم الزاخر بمشاهد الهول عَدَّتْه .. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كَشَّطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ . سُعِّرَتْ : أحميت كما يقول السُّدِّي . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعُّرها غضب الله وخطايا بني آدم . وإذا كانت الجحيم تسعَّر ، ويكون أهل الضلالة من وقودها ، فإن الجنة أيضاً تُزَلَّفُ أي تُقَرَّبُ إلى أهلها ، أولئك الذين ينشر الله عليهم رحمته يوم الدين ، فيكونون في نعيمها المقيم خالدين . فإذا وقعت تلك الأمور التي دلت عليها الآيات بدءاً من قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ..﴾ الآيات ، حصل ما دَلَّ عليه ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا أَحْضَرْتَ﴾ . هذا هو الجواب ، نعم : إذا وقعت تلك الأمور : حينئذ تعلم كل نفس ما عملت ، وأحضر ذلك لها ، كما قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ . وكما قال جل شأنه في سورة القيامة : ﴿يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ .

ولقد كان من فضل الله على الصحابة رضي الله عنهم - على تفاوت مراتبهم - أنهم كانوا يقرأون القرآن قراءة تدبُّر وخشية ، متفعين بما وَجَّه إليه النبي عليه الصلاة والسلام . ولقد انتفع عمر رضي الله عنه بما وجه إليه الرحمة المهداة صلوات الله وسلامه عليه في شأن سورة التكوير هذه وأختيها ، فكنت تراه حين يقرأ ، يقرأ تلك القراءة التي تُسَلِّمُهُ إلى حيث يرى كأن القيامة تحت ناظريه من عالم الشهادة ، لا من عالم الغيب . أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال : « لما نزلت ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال عمر لما بلغ ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا أَحْضَرْتَ﴾ ، قال : « لهذا أجري الحديث » .

والحق أن من رزق التبصَّر بتلكم السور الثلاث : التكوير ، والانفطار ، والانشقاق ، والتدبُّر لمعانيها حق التدبر ، فقد حظي بالوافر من الخير ، وكان على حق اليقين بصدق ما رغب به النبي عليه الصلاة والسلام ؛ من أن القراءة الواعية

المتدبرة ، تثمر أن ينظر المؤمن إلى يوم القيامة - وهو من الغيب - كأنه رأي عين ؛ وهو ما كان عليه سلف هذه الأمة ومن جرى على منوالهم ممن رزقوا الإخلاص في القول والعمل ، وصدقوا في إيمانهم وعبوديتهم لله عز وجل ؛ كالذي رأينا من عمر رضي الله عنه .

ثم إن التذوق الإيماني الذي يبلغ بصاحبه ، أن ينظر إلى يوم القيامة يوم الحشر الأكبر نظرة اليقين الذي ما بعده يقين ، حتى كأن ذلك اليوم من عالم الشهادة يراه بحاسة البصر ، وينفعل بمشاهده ووقائعه ... إن هذا التذوق الرفيع مرتبة غاية في السمو واستنارة القلب والعقل ، ينبغي لكل مؤمن أن يكون جاداً في سلوك الطريق الموصلة إليها .

وغير خاف أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان - وهو سيد البلغاء - على خير مستوى في الدعوة إلى ذلك حين قال : « من سرّه - أو من أحب - أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ... ﴾ » الحديث .

ومنذا الذي يعقل عن رسول الله ما أراد ، ولا يسره ، أو لا يحب أن يكون كذلك ؟ إذن فليسلك الطريق .. الطريق التي عنوانها الإيمان والعمل ، والابتلاء ، والصبر على ما يعترض من مشاق وصوارف . وحسبك في تحديد المسار على هذه الساحة قوله عليه الصلاة والسلام : « حَفَّتِ الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات » على تعدد الروايات . صلى الله وسلم وبارك على من أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ..

ذُهبوا وبقيت أعمالهم..

ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

أرأيت إلى الإنسان إذا خاف أن يمسه الضر في الدنيا ، كيف يسعى جاهداً لدفع ذلك الضر ، والحيلولة دونه ودون أن يقع ، وكيف يدعو ربه ويتضرع إليه من أجل ذلك ؟؟ أو ليس الضر الذي يمكن أن يمسه يوم المساءلة والحساب ، أولى وأحرى أن يعمل على دفعه ، وسلوك السبل الكفيلة - بعون الله - أن تحول دون الوقوع في مغبته !! بل إن العاقل - كل العاقل - هو الذي يسعى جاهداً - ما وسعه الجهد - إلى أن يكون في عداد من يزحزون عن النار ، ويفوزون بجنة الخلد التي وعد الله عباده الصالحين . وإن يوماً يبلغ فيه الهول مبلغ أن يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ، والإنسان - في واقع الحال - بأمس الحاجة إلى الحسنة ، بل إلى مثقال ذرة من الحسنة ، بغية النجاة من عذاب السعير .. إن يوماً تبلغ فيه شدة الهول هذا المبلغ : جدير بأن يُحسب له كل حساب ، وأن يُتزوّد للرحلة الشاقة الطويلة إليه ، بالزاد المناسب من تقوى الله ومخافته في السر والعلن ، والطمع برحمته وعونه وفضله ..!

ولو ترى مشهد العباد يوم المعاد - والقلوب يومئذ واجفة والأصوات خاشعة - !! إذن لرأيت العجب العجيب ، ولأقلقك أشدّ القلق ، أن تكون في ذلك اليوم ممن يساقون إلى العذاب الأليم في جهنم وبئس المهاد . ﴿ يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حمياً . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبته وأخيه . وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيهِ . كلا إنها لظى . نزاعةً للسوى . تدعو من أدبر وتولى . وجمع فأوعى ﴾ .

ويزداد الأمر انكشافاً ، لا يبقى معه عذر لمن يغفل عن النظر في عاقبة أمره يوم الحساب - معرضاً عن حقيقة أنه ليس بعد هذه الدنيا من دار إلا الجنة أو النار - يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ . قال عكرمة - كما روى الطبري وأورده الحافظ ابن كثير - « يلقي الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه أيّ بعل كنت لك ؟ فتقول : نعم البعل كنت ! وتثني بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تَهَيِّنْهَا لي لعلني أنجو مما ترين : فتقول له : ما أيسر ما طلبت ، ولكنني لا أطيق أن أعطيك شيئاً ؛ أتخوف الذي تخاف . وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول : يا بني ، أيّ والد كنت لك ؟ فيثني بخير ، فيقول له : يا بنيّ إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلني أنجو بها مما ترى ! فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ، ولكنني أتخوف مثل الذي تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً . قال عكرمة : يقول الله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه ﴾ . » .

ولقد مر بنا في غير موطن من هذه الصفحات ، ما جاء في الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طُلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق ، يقول : نفسي نفسي ، لا أسأله اليوم إلا نفسي ، حتى إن عيسى بن مريم عليه السلام يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدتنني .. حتى يكون ما يكون من شفاعة محمد ﷺ في القضاء بين العباد ...

والحقُّ أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يدع زيادة لمستزيد في الكشف عن جوانب هذه القضية الكبرى بياناً لقوله تعالى : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وليس من القول المعاد ، التذكير بما روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً » قال : فقالت : زوجته : يا رسول الله ، أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ أو قال : « ما أشغله عن النظر » .

والغُرل جمع أغرل وهو الأقف غير المختون . وقد روى هذا الحديث النسائي منفرداً به عن أبي داود عن عارم عن ثابت بن يزيد - وهو أبو اليزيد الأحول البصري أحد الثقات - عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به ، كما رواه الترمذي من طريق عكرمة عن ابن عباس بلفظ « .. فقالت امرأة » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ويبدو أن الزوجة المومى إليها ، هي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . فقد أخرج النسائي بسنده عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يُبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً فقالت عائشة : يا رسول الله ، فكيف بالعورات ؟ فقال : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ » .

وهل يرتاب مؤمن ، في أن المعتصم من مخاطر تلكم الساعات العصيات يوم الفصل ، حيث يجمع الله الأولين والآخرين .. عملٌ صالح يقوم على إيمان راسخ ، وصدق مع الله واستعانته به سبحانه وتعالى ، وضراعة خاشعة إليه تدني من رحمته وتباعد من نقمته ، مع ذكر للموت وما بعد الموت ، واستغفار من الذنوب ، قبل أن تبلغ الروح الحلقوم ، ولا تنفع الغافل توبة ؟!! أما التولي عن هذه السبيل ، والتسريل بالغفلة عن الله ، والصد عن سبيله .. فلا يزيد المرء يوم القيامة غير تخسير ، ويا يؤسه وشقاءه هناك ، وهو لا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً ..

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في الحلية : حدثنا عبدالله بن محمد قال : حدثنا محمد بن سهل قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال : حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان قال : حدثنا أبي عن عكرمة قال : « إن الله تعالى أخرج رجلاً من الجنة ورجلاً من النار ، فوقفهما بين يديه ثم قال لصاحب الجنة : عبدي كيف وجدت مقيلك في الجنة ؟ فيقول : خيرٌ مقيل قاله القائلون ؛ فذكر من أزواجها وما فيها من النعيم . ثم قال لصاحب النار : عبدي كيف رأيت مقيلك في النار ؟

فقال : شرّ مقيل قاله القائلون ، وذكر عقاربها وحياتها وزنايبرها ، وما فيها من ألوان العذاب . فقال له ربه عز وجل : ماذا تعطيني إن أعفيتك من النار ؟ فقال العبد : إلهي وما عندي ما أعطيك ، فقال له الرب : لو كان لك جبل من ذهب أكنت تعطيني فأعفيك من النار ؟ فقال : نعم ! فقال له الرب جل شأنه : كذبت ! لقد سألتك في الدنيا أيسر من جبل من ذهب ، سألتك أن تدعوني فأستجيبَ لك ، وأن تستغفري فأغفر لك ، وتسألني فأعطيك ، فكنت تتولى ذاهباً .

من هنا كان أهل الخشية على ذكر لما يكون في عرصات القيامة ، وتحسّب شديد لما يمكن أن يؤول إليه الأمر بعد المساءلة بين يدي من لا تحفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، فيحرصون أشد الحرص على أن يلقوا الله - يوم يلقونه - بصالح العمل ، مع صدق الإنابة إليه ورجاء الرحمة منه ، فالباقيات الصالحات ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾ . جاء في ترجمة الإمام الثقة مجاهد بن جبر قوله رحمه الله : «مررت مع عبدالله بن عمر على خربة ، فقال : يا مجاهد ناد يا خربة ما فعل أهلك أين أهلك ؟ قال : فناديت . فقال ابن عمر : «ذهبوا وبقيت أعمالهم» ..

كتاب المؤمن يوم القيامة..

وكتاب الكافر والمنافق

أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ما ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من أنه ورد في بعض الآثار : « أن الله سبحانه يأمر بناس من الناس إلى الجنة ، حتى إذا رأوها وشاهدوا ما فيها من الكرامة ، قال الله ملائكته : اصرفوهم عنها ، لاحظاً لهم فيها. قالوا : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن نرى ما أرينا ، كان أهونَ في عذابنا ! قال الله : ذلك أردت بكم ، إذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين متواضعتين ، وإذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم ، أجَلَلْتُمُ الناس ولم تُجِلُّوني ، وخفتم الناس ولم تخافوني ، فاليوم أذيقكم أليم عذابي كما حرمتكم جزيل ثوابي » .

إنه لمشهد ناطق بجناية هؤلاء المنافقين ومرضى القلوب على أنفسهم ؛ فالذي أراده الله بهم من الصرف عن الجنة ، بعد أن رأوها وشاهدوا ما فيها من الكرامة ، إنما كان بما أسلفوا في الدنيا من تواضع وإخبات إذا لقوا الناس ، ومبارزة لله بالعظائم إذا خلوا بأنفسهم ؛ وفي هذا إجلال للناس ، وعدم إجلال الله سبحانه وتعالى ، وخوفٌ من الناس وعدمُ خوف من الله الذي يعلم السرَّ وأخفى . وكان ذلك طريقهم إلى سوء العاقبة وبئس المصير « فاليوم أذيقكم عذابي كما حرمتكم جزيل ثوابي » .

وأيّن هذا المشهد من مشهد أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأُخْبِتُوا إلى ربهم ، حيث الفوز بالنعيم المقيم ، والكرامة الربانية التي لم تخطر على قلب بشر .

هكذا ينكشف الغطاء ، وتعبّر المشاهد عما كان عليه أصحابها في الدنيا ؛ من رغبة في الحياة الدنيا وزينتها ، أو إرادة للأخرة وسعي حثيث لها . فإذا دعِيَ كل

أناس بإمامهم كتاب أعمالهم ، فاز أهل الإنابة والتقوى ، ﴿ وخسر هنالك المبتطلون ﴾ . وفي كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ما يبيّن هذه الحقيقة التي لا يباري فيها مؤمن ، ويزيل الغشاوة عن الأعين ، ولكن المنافقين بآيات الله يحجدون ، وماذا الذي ينجي الكافر من عذاب الله في ذلك اليوم ، وقد أعرض عن ذكر الله في هذه الدار ، وأسلم عقله وقلبه للهوى والشيطان ؟؟

جاء في سورة الإسراء قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون شيئاً . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ أي بكتاب أعمالهم ، وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك ، وهذا القول هو الأرجح - كما يقول الحافظ ابن كثير - لقوله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبین ﴾ وقال تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

ثم ماذا بعد هذا المظهر من مظاهر العدل الإلهي يوم الدين ؟ ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح والقربات والطاعات ، يقرأه ويحب قراءته . قال الترمذي : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ قال : « يُدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويُمدُّ له في جسمه ستون ذراعاً ، ويُبَيِّضُ وجهه ، ويُجَعَلُ على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأل ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرويه من بعيد فيقولون : اللهم اتنا بهذا وبارك لنا في هذا ، حتى يأتيهم فيقول : أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا . وأما الكافر : فيسود وجهه ويُمدُّ له في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ، فيلبس تاجاً ، فيراه أصحابه فيقولون : اللهم أخزِه فيقول : أبعدكم الله ، فإن لكل رجل منكم مثل هذا » . قال أبو عيسى :

هذا حديث حسن غريب. والسُّدِّي اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن . ورواه البزار وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه كلهم عن أبي هريرة كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » .

وفي رواية البزار شيء من الاختصار ولفظها : « يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويُمدُّ له في جسمه ، ويبيّض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة تتلأ ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرونه من بعيد ، فيقولون : اللهم اتنا بهذا وبارك لنا في هذا . فيأتيهم فيقول لهم : أبشروا ، فإن لكل رجل منكم مثل هذا . وأما الكافر : فيسودُّ وجهه ، ويُمدُّ له في جسمه ، ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا . أو من شر هذا . اللهم لا تأتنا به ، فيأتيهم فيقولون : اللهم أخزه ، فيقول : أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا » .

وقد كشفت النصوص المباركة ، عن مقدار الفرحة التي تنال من أوتي كتابه بيمينه ، والخزي الذي يحيق بمن أوتي كتابه بشماله ؛ فقال تعالى في سورة الحاقة : ﴿ فَمَا مِنْ أَوْتِي كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ . إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ إلى أن يقول سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالِيتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيهِ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ . يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ . هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾ .

فهذا الذي أوتي كتابه بيمينه يقول - وقد غمرته السعادة وأشرقت عليه الفرحة بذلك - . يقول من شدة فرحه لكل من لقيه : ﴿ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ ﴾ أي خذوا أقرؤا كتابيهِ ؛ لأنه يعلم أن الذي فيه : خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممن بدّل الله سيئاتهم حسنات ، وذلك عنوان النجاة والفوز المبين . قال ابن أبي حاتم : حدثنا بشر بن مطر الواسطي قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا عاصم الأحول عن أبي عثمان قال : « المؤمن يُعطى كتابه في ستر من الله ، فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئة تغيّر لونه ، حتى يمر بحسناته ، فيقرأها فيرجع إليه لونه ، ثم ينظر فإذا سيئاته

سيئاته قد بُدلت حسنات ، قال : فعند ذلك يقول : هاؤم اقرؤا كتابيه . وروى بسنده عن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة - غسيل الملائكة رضي الله عنه - قال : إن الله يقف عبده يوم القيامة ، فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته ، فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم أي رب . فيقول له : إني لم أفضحك به ، وإني قد غفرت لك ، فيقول عند ذلك . ﴿ هاؤم اقرؤا كتابية إني ظننت أني ملاق حساييه ﴾ حين نجا من فضيحة يوم القيامة .

وقوله : ﴿ إني ظننت أني ملاق حساييه ﴾ . أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ، كما قال تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ .

وغسيل الملائكة صحابي من سادات المسلمين وفضلائهم ، وهو حنظلة بن أبي عامر عمرو بن صيفي . استشهد يوم أحد وسبب تسميته غسيل الملائكة - كما يروي ابن اسحاق - قول النبي ﷺ : « إن صاحبكم لتغسله الملائكة » - يعني حنظلة - فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسلت زوجته فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة - الصيحة التي فيها الفرع - فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسلته الملائكة ، قال ابن الأثير : وكفى بهذا شرفاً ومنزلة عند الله تعالى .

وأبوه أبو عامر كان قد أضمر النفاق وخرج إلى مكة ثم عاد ليقاتل المسلمين مع قريش يوم أحد ، فسماه رسول الله ﷺ : الفاسق . ولما فتحت مكة هرب إلى هرقل الروم فمات كافراً هناك سنة تسع .

وسبحان من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . ورضي الله عن حنظلة غسيل الملائكة وأرضاه .

في اليوم العظيم يكونون في الخرق على قدر أعمالهم!

من المشاهد التي تنبئ يوم القيامة عن مقدار العلاقة بين ظلم العباد بعضهم بعضاً - في منع حق أو تجاوزه إلى ما هو دونه - وبين المسؤولية في الآخرة : مشهد أولئك الذين يعدّون ، لأنهم كانوا يبخسون في المكيال والميزان ، إما بالازدياد إن اقتضى أحدهم من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم .

وهؤلاء هم المطففون الذين توعدهم الله بالويل - وهو وادٍ في جهنم ، أو الخسار والهلاك الذي يودي بهم إلى عذاب السعير - جزاء صنيعهم في عدم الوفاء بالكيل والميزان ﴿ويل للمطففين﴾ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴿إنهم إذا اكتالوا من الناس : يستوفون حقهم بالوافي والزائد ، وإذا كالوهم أو وزنوهم ينقصون ، وفي هذا مخالفة صريحة لما أمر به ربنا تبارك وتعالى من الوفاء بالكيل والميزان ؛ ففي سورة الإسراء نقرأ قوله تعالى : ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ ونقرأ في سورة الأنعام قوله عز وجل : ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ وجاء في سورة الرحمن قوله تباركت أسماؤه : ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ وأخبر الكتاب الكريم عن أن الله أهلك قوم شعيب ودمّرهم على ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان .

ولقد جاء الوعيد صريحاً مشدداً بالتذكير بذلك اليوم الزاخر بالشدائد والأهوال ، يوم القيامة الذي يجد كل امرئ فيه ما قدّم . ويا ويل الظالمين ، وأكلّة أموال الناس بالباطل مما ينصبّ عليهم - بما اجترحته أيديهم - من العذاب الأليم . ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أما

يخاف أولئك الظالمون المتصفون بالأثرة وحب الذات ، عند التعامل المالي أو غيره مع الآخرين .. أما يخافون من البعث ، والقيام بين يدي من يعلم ما تخفي السرائر وتنطوي عليه الضمائر ، في يوم عظيم الهول ، كثير الفزع جليل الخطب ، مَنْ خسر فيه أدخل ناراً حامية ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً ، إلا حميماً وغساقاً ، جزاءً وفاقاً ﴾ !

ولقد حملت إلينا السنة - في صور من رائع البيان - ما يكشف عن بعض من مظاهر الهول العظيم المطبق بكل كلكله في عرصات القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .. يوم يقومون حفاةً غُرَّةً غُرلاً ، في موقف صعب حرج ، شديد الضنك على المجرم الذي ظلم نفسه وظلم عباد الله ، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه ، نسأل الله - بكرمه ولطفه - العفو والعافية . جاء في الجامع الصحيح «باب يوم يقوم الناس لرب العالمين» من كتاب التفسير قول الإمام البخاري : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال : حدثنا معن قال : حدثنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ حتى يغيب أحدهم في رُشحه إلى أذنيه . وترجم - رحمه الله - لهذا الخطب الجلل في كتاب الرقاق من الجامع الصحيح بقوله : «باب قول الله تعالى : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ الوُصَلات في الدنيا» .

وأخرج هناك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يعرُق الناس يوم القيامة - حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجُمهم حتى يبلغ أذانهم» . وكأن البخاري رحمه الله - كما يقول الحافظ - أشار بهذه الآية ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ إلى ما أخرجه هناد بن السري في كتابه «الزهد» من طريق عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال له رجل : «إن أهل المدينة ليوفون الكيل ، فقال : وما يمنعهم وقد قال الله تعالى : ﴿ ويل للمطففين ﴾ إلى قوله : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال : إن العرق ليلج

أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة » وهذا لما لم يكن على شرطه ، أشار إليه ، وأورد حديث ابن عمر المرفوع في معناه .

والأسباب : هي الوُصَلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا واحداً وواحدة . قال قتادة : الأسباب الموصلة التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها ويتحابون ، فصارت عداوة يوم القيامة . وأخرج الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة ، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم » .

وجاء في بعض روايات الحديث ، ما دل على أن الناس يكونون في العرق على قدر أعمالهم . أخرج الإمام مسلم بسنده عن سُلَيْم بن عامر قال : حدثني المقداد ابن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تُدْنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكونَ منهم كمقدار ميل - قال : سُلَيْم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل ! أمسافة الأرض أم الميل الذي تُكْتَحَلُ به العين . قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ؛ فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْهِ ، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً ، قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه » . وله في رواية أخرى : « فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق » وعند الإمام أحمد من رواية المقداد أيضاً رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد ، حتى تكون قيدَ ميل أو ميلين . قال : فتصهرهم الشمس ، فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبه ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيْهِ ، ومنهم من يلجمه إجماماً » .

القيد : بكسر القاف : القَدْر يقولون : قِيدَ رمح أي قدره . والحَقْوُ : بفتح الخاء : موضع شد الإزار وهو الخاصرة ، ثم توسعوا حتى سمو الإزار الذي يشد

على العورة حَقْوًا . قال ابن الأثير في كتابه « النهاية » : والأصل في الحقو : معقد الإزار : وجعه أَخِي وأحقاء ، ثم سمي به الإزار للمجاورة وفي القاموس المحيط : جواز كسر الحاء من حقو .

وإذا كان الأمر كذلك : فيا بشرى الذين لانت قلوبهم لأخبار ذلك اليوم يوم القيامة ، الذي يأخذ فيه العرقُ الناس على قدر أعمالهم ، فراحوا يبذلون قصارى جهدهم في ملء الوقت بطاعة الله ، وأخذ النفوس بكل ما هو من طريق النجاة بسبب ، ودعوا إلى ذلك بحالهم ومقاهم وكانوا من المحسنين . روى أبو نعيم في (الحلية) عن القاسم بن أبي بزة قال : حدثني من سمع عبدالله بن عمر رضي الله عنه « أنه قرأ ﴿ ويل للمطففين ﴾ حتى بلغ ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ فبكى حتى خرّ وامتنع من قراءة ما بعده » .

اللهم باعد بيننا وبين طريق المطففين الظالمين واجعلنا - برحمتك - من أهل النجاة يوم الحسرة ، واكتبنا من الفائزين بالمنعم عليهم برضوانك في جنة النعيم .

سورة المطففين.. والهول العظيم

أن يكون في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي عهد مبكر من عمر الدعوة.. أعني العهد المكي - آيات تتوعد المطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، وتذرهم شديد بطش الله ، وما ينزل بالطاغين من الويل يوم الوعيد أن يكون في الكتاب الكريم آيات مبكرة تحمل وعيد العقاب الأليم ، ونذارة الهول الشديد في ذلك اليوم العظيم لأولئك العادين على الآخرين : دليل واضح على حكمة الله في الهداية - من أول الطريق - إلى صياغة المجتمع المسلم ، صياغة تنأى به عن الأذى والظلم ، وتصونه عن كل ما من شأنه إضاعة الحقوق ، أو تجاوز حدود إنسانية الإنسان .

كما أن في ذلك، ما يؤذن بما يجب من توظيف الوعيد الأخروي ؛ على ساحة البناء الأمثل للفرد و الجماعة في الدنيا دار العمل ؛ فإذا نجا الظالمون والمنتهكون لحرمان الإنسان وحقوقه في الدنيا : فانهم غير معجزى الله في الآخرة ، بل هنالك العقوبة المناسبة ، في يوم يشيب فيه الوليد من شدة الهول جزاءً بما كانوا يعملون ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ .

وقد عرضنا من قريب لشذرات مضيئة من حديث النبي ﷺ تتناول بالبيان النبوي الكريم ، كشفاً عن جانب من جوانب الهول العظيم في ذلك اليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، وكان مما أسعدتنا به الرحلة مع تلكم النصوص : ما روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم» وطالعنا بعض الأحاديث بما يدل على أن الناس يكونون في العرق

على قدر أعمالهم كما جاء ذلك فيما أخرج الإمام مسلم من رواية المقداد بن الأسود رضي الله عنه « فمنهم من يأخذه إلى عقبيه ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيْهِ » .

وفي متابعة للرحلة المباركة مع الكلمة الهادية البانية ، في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام التي تقف المسلم على صور من مشاهد يوم الفصل ، نفع على رواية انفرد بها الإمام أحمد في المسند عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ، ويزاد في حرها كذا وكذا ، تغلي منها الهوامُّ كما تغلي القدور ، يعرقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ، ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يُلْجِئُهُ العرق » وجاء في رواية أخرى لأحمد قول الرسول ﷺ - كما روى عقبة بن عامر رضي الله عنه :- « ومنهم من يبلغ الخاصرة ، ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه - رأيت رسول الله ﷺ يشير هكذا ، ومنهم من يغطيه عرقه - وضرب بيده إشارة » . وعند الحاكم من رواية عقبة أيضاً « .. ومنهم من يغطيه عرقه ، وضرب بيده على رأسه » .

ولا تعجب : فذلك من الخوارق التي تقع يوم القيامة - وما أكثرها - والقوانين هناك في دار البقاء - وهي من الغيب بالنسبة إلينا - غيرها هنا في دار الفناء ، ولنذكر قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

والحق أن من نعم الله العظمى على المسلم أن تزكَّوْ نفسه ، فيكون صادق الانفعال والتأثر بتلك الحقائق على الوجه الذي يقود إلى الاستمساك بحبل هذا الدين ، وملء الوقت بصالح العمل ، استعداداً للموت وما بعد الموت ، وتزوداً لذلك اليوم الذي لا ريب فيه . ولقد كان من نصيح النبي ﷺ لأُمَّته ذلك البيان النبوي الثَّوْرُ في شأن ذلك ؛ حيث قطع الطريق على المتبطلين وشُدَّة الأعذار ، ولم

يدع زيادة لمستزيد . فهذه الشدة العاتية التي تلحق بمستحقها : أمدها طويل وثقلها ثقیل . أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة ، صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فيُرى سبيله : إما إلى الجنة وإما إلى النار .. » الحديث .. وأخرج أحمد وابن حبان ، والبيهقي في كتاب « البعث والنشور » من طريق عبد الله بن الحارث عن أبي هريرة رضي الله عنه « يحشر الناس قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم فيلجمهم العرق من شدة الكرب » .

من أجل هذا : كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يتعوذ من كرب القيامة وسوء الحساب ، معلماً أمته ذلك ؛ لأنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه . أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : لبشير الغفاري : « كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة ترب العالمين من أيام الدنيا ، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر ؟ » قال بشير : المستعان بالله . قال : « فإذا أويت إلى فراشك ، فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » . وعن عاصم بن حميد قال : « سألت عائشة بأي شيء كان يفتح رسول الله ﷺ قيام الليل ؟ فقالت : لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، كان إذا قام كبرّ عشرّاً ، وحمد الله عشرّاً ، وسبّح عشرّاً ، وهلل عشرّاً ، واستغفر عشرّاً ، وقال : اللهم اغفر لي ، واهدني ، وارزقني ، وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة » أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ لأبي داود .

ويذكر أنّ هنالك بعض النصوص التي تدل على تهوين الشدة في العرق على المؤمن ؛ فقد أخرج أبو يعلى وصححه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال : مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة ، فيتهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس إلى أن تغرب » .

وجاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما « أن الذي يُلْجَمُ العرقُ الكافر » أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » بسند حسن عنه قال : « يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق . قيل له : فأين المؤمنون ؟ قال : على الكراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام » وبسند قوي عن أبي موسى قال : « الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلمهم » . وعن ابن المبارك في كتابه « الزهد » بسند جيد عن سلمان « ولا يضر حرُّها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة » قال القرطبي : « المراد من يكون كامل الإيمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم » ونجد في حديث ابن مسعود عند الطبراني والبيهقي « إن الرجل ليلجم العرقُ يوم القيامة حتى يقول : يارب أرحني ولو إلى النار » .

ومن خلال ما تعطي النصوص مجتمعة قال الشيخ أبو محمد بن أبي جَمْرَةَ في كتابه « بهجة النفوس » : « ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك ، ولكن دلت الأحاديث الأخرى أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر . ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله ، فأشدُّهم في العرق الكفار ، ثم أصحاب الكبائر ، ثم من بعدهم ، والمسلمون منهم قليل بالنسبة للكفار ... إلى أن يقول : ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظيم الهول فيها ، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف ، وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل ، فكيف تكون حرارة تلك الأرض ، وماذا يرونها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً ، مع أن كل واحد لا يجد الا قدر موضع قدمه !! ... إن هذا لما يبهر العقول ، ويدل على عظيم القدرة ، ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة ؛ إذ ليس للعقل فيه مجال ، ولا يعترض عليه بعقل ولا قياس ولا عادة ، وإنها يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب . ومن توقف في ذلك دل على خسارته وحرمانه » .

هذا : وفي الوقت نفسه ما بدُّ من تذكر أحاديث من يكرمهم الله بأن يظلمهم في ظلِّه يوم لا ظلُّ إلا ظلُّه .

اللهم اجعلنا من أهل اليقين . واسلك بنا سبيل النجاة يوم الدين بفضلِكَ وإحسانِكَ يا أرحم الراحمين .

جَهَنَّمُ.. ومشهد من يحذّبون الناس!!

أهل الآخرة الأتقياء الأنقياء، الجديرون حقاً بأن يغبطوا : همُّهم - على الدوام - الاستزادة من البر ، والصبرُ على مكاره الطريق التي تقرّبهم إلى الله زلفى . وتراهم يُقبلون بقلوبهم وعقولهم على مخالطة تلكم الأخبار التي تقف المسلم على ما يكون في القيامة ، يوم تعنو الوجوه للحي القيوم ، ﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ .

والحال التي هم عليها - من الخوف والرجاء - تجعلهم يتفعلون بما يقرؤون ويسمعون ، وينعكس ذلك لديهم على أعمال الجوارح ، كما يظهر أثره في أعمال القلوب . وأين من هؤلاء : زمرة المفرطين الذين ألهتهم الدنيا عن الآخرة وغرّهم بالله الغرور !!

ولعل من الأمراض التي يعاني منها كثير من المسلمين اليوم ؛ مواجهة نصوص الهداية بلا قلوب ، وإذا ووجهت بالعقول - كما هو الزعم - ألفت تحميل العقل مالا يحمل ، ودفعه أحياناً إلى مزاحمة نصوص الوحي ، أو مسابقتها ، مع أن الذي تقتضيه سنة الله التي لا تبدل : أن تكون نصوص الوحي متبوعة ، وأن يكون العقل الذي امتنّ الله به - على تعدد وظائفه ومهامه العظيمة - تابعاً للوحي يفهم عن الله ورسوله ما أراد من أجل التفكير والتدبّر واستنباط الأحكام ، والإفادة من كل ما دل عليه الوحي ، ثم البحث عن الحكم اجتهداً في ضوء المبادئ العامة التي يقررها ، عندما لا يكون هناك نص . أما مسائل الغيب التي تحملها الأخبار الصادقة من آية كريمة أو حديث مقبول : فالعقل السليم يقضي بالإيمان والتسليم ؛ وتلك أولى صفات المتقين ، وواجب أساسي من واجبات الدين .

ولقد كان علماؤنا على بصيرة نافذة ، حين وجهوا الأمة إلى حسن الانتفاع بما حملت النصوص من أخبار اليوم الآخر ومشاهد القيامة ، فبينوا أن من فائدة

الإخبار بما يكون يومذاك من الشدة والضيق ؛ أن يتنبه كلُّ من المسلم والمسلمة ،
 فيأخذَ بالأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال ، وتنجيه مما يؤول إليه أمر الغافلين
 الذين ضرب الران على قلوبهم بالأسداد ، ويبادرَ إلى التوبة من التبعات ، ويلجأ
 إلى الكريم الوهاب: في الأخذ بيده وعونه ، على أسباب السلامة والنجاة ، ويتضرع
 إليه في معافاته من دار الهوان ، وإدخاله دار الكرامة ، - بمنه وفضله - كيما يكون
 من الفائزين الذين يُنادون - وهم يتقلبون في النعيم المقيم -: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً
 بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ .

ولعلي لا أبعد النجعة ، إذا عدت لما نحن بسبيله ؛ من الكلام على بعض من
 تلك المشاهد ، مشاهد يوم الوعيد التي تحمل ما تحمل من بالغ التذكير والتنبيه ،
 وتبدو من شدة وضوحها ، حجةً على أولئك الضارين في تيه الغفلة معرضين .

لقد دلت النصوص ، على أن العباد سوف يشاهدون بأمر أعينهم أناساً تسعر
 بهم جهنم ، فيذوقون فيها العذاب الأليم ، جزاء ما كانوا يعذبون الناس في الدنيا ؛
 ظلماً وعدواً في الأرض واستهتاراً بما شرع الله من حفظ الحقوق ، وصيانة إنسانية
 الإنسان ، وحراسة كرامته أن تهان . ولقد حدث أن أخطأ البعض على هذه
 الساحة مرة في تاريخنا ، فنَهَد من شهد ذلك من الصحابة ، لإنكار هذا المنكر ،
 مذكراً أولئك الرجال وأميرهم ، بنهي النبي ﷺ المشدّد عن تعذيب الناس في
 الدنيا ، ووعيد من يفعلون ذلك بمجازاة الله لهم بالعذاب يوم القيامة ، فخلّوا
 سبيلهم ، مقلعين عما فعلوه . قال الإمام مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال :
 حدثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام
 أنه : مرّ بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وضُربَ على رؤوسهم الزيت ،
 فقال : ما هذا ؟ قيل : يعذبون في الخراج ، فقال : أما إني سمعت رسول الله ﷺ
 يقول : « إن الله يعذب الذين يعدّون في الدنيا » ألا ليت للظلمة وأعوانهم
 وزبانيتهم ، قلوباً يسمعون بها هذا النطق النبوي الكريم ، أن لو كانت لهم
 قلوب!!

وجاء في رواية أخرى لمسلم: «مر هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون في الدنيا».

أرأيت إلى هذا الأمر الذي أنكره هذا الصحابي الجليل، لأنه كان عذاباً في نظره!! أرأيت إلى هذا الحدث الذي اعتبر غريباً كل الغرابة على جسم الحضارة الإسلامية؟ إيقاف نفر من الأنباط (فلاحى العجم) غير المسلمين من الرعية عقوبة لهم!! فما بالك بما يلاقيه المستضعفون من المسلمين في كثير من البقاع! وما نُقم منهم - على الحقيقة - إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد!!..

هذا: وقد جاء في بعض الروايات، التصريح باسم أمير أولئك النفر الذين ذكرهم هشام رضي الله عنه بما حذر منه عليه الصلاة والسلام، من تعذيب الناس بغير حق وأن هشاماً حدثه، فأمر بهم، فخلّى سبيلهم؛ إذ جاء في رواية لمسلم أيضاً «وأمرهم يومئذ عمير بن سعد على فلسطين، فدخل عليه فحدثه، فأمر بهم فخلّوا».

ونجد عن أبي داود من طريق عروة بن الزبير «أن هشام بن حكيم بن حزام وجد رجلاً - وهو على حمص - يشمّس ناساً من القبط في أداء الجزية، فقال: ما هذا؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا».

ولقد أحسن الإمام النووي صنفاً، حين ترجم لروايات الحديث عند مسلم بقوله: «باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق» ولذلك جاء في شرحه للحديث: (هذا محمول على التعذيب بغير حق، فلا يدخل فيه التعذيب بحق كالقصاص، والحدود، والتعزير، وغير ذلك).

وقد أورد الإمام أحمد في المسند عدداً من الروايات لهذا الحديث، نجد في

بعضها شيئاً من التفصيل . قال ولده عبدالله : حدثني أبي قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن ابن حزام « أنه مرّ بأناس من أهل الذمة قد أقيموا في الشمس بالشام . فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : بقي عليهم شيء من الخراج . فقال : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس . قال : وأمير الناس يومئذ عمير بن سعد على فلسطين ، قال : فدخل عليه ، فحدثه ، فخلّى سبيلهم » .

وأنت ترى أن في هذه الرواية وفي رواية أخرى سبقت ، أن هشاماً رضي الله عنه كان على اهتمام بالغ بهذه القضية ؛ فهو لم يكتف بالتذكير بحديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : « إن الله عز وجل يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا » ولكن جمع إلى ذلك أن دخل على أمير فلسطين في الشام - يومذاك - عمير بن سعد ، فحدثه بشأن أولئك النفر غير المسلمين الذين يعاقبون على تقصيرهم المالي بالوقوف بالشمس ، وبأن في ضوء ما أعقب ذلك ، من أن الأمير خلّى سبيلهم : أنه صدع عنده بالحق ؛ وهو أن هذا الصنيع بهؤلاء الناس - على بساطته إذا قيس باليسير مما يحدث اليوم - تعذيب لهم ، وهو أمر مخالف كل المخالفة لما وجه إليه النبي عليه الصلاة والسلام بعدم تعذيب عباد الله ، ومن وعيده من فعل ذلك بأن الله معذبه يوم القيامة ، جزاء ما اجتاحت يداه .

وفي خاتمة المطاف : إنه مظهر منير رائع من مظاهر العدالة الإلهية ، وعنوان على أحقية دين الإسلام ، أن يكون من مشاهد القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين : مشهد أولئك الذين يككبكون في جهنم مآب الظلمة الطغاة ، ويسحبون في السلاسل على وجوههم - وهم يصطرخون ويُعولون - جزاء ما اقترفوا من تعذيب عباد الله المستضعفين . والله عاقبة الأمور ..

يوم القيامة... والموازن القسط

إذا ذكر أهل البصيرة ، ذوو العقول الراجحة الذين لا ينسون الله والدار الآخرة ، فَحَيَّهَلَا بأولئك الذين يتميزون بسلوك ، يشعر أنهم - من فرط يقينهم بما جاء عن الله ورسوله في شأن العقابة يوم الحشر الأكبر - كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلّدين ، وكمن رأى أهل النار في النار مخلّدين ، ومن ثمّ كانت قلوبهم مع الله الذي لا تخفى عليه خافية ، ومطمح أنظارهم - وهم يقطعون أعمارهم في الدنيا - أن يكونوا من أهل النجاة والفوز يوم الدين .

قال الحسن البصري سيد أهل زمانه علماً وعملاً رحمه الله : « إن الله عز وجل عبداً ؛ كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلّدين ، وكمن رأى أهل النار في النار مخلّدين . قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة . حوائجهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة . صبروا أياماً قصاراً تعقب راحة طويلة . أما الليل : فمصافّة أقدامهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى ربهم ربنا ربنا !! . وأما النهار : فحلماء علماء برة أتقياء ، كأنهم القداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أو خولطوا ! ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم » .

رحم الله الحسن البصري أبا سعيد !! فلقد كشف لنا عن الأثر العظيم الذي تركه إيمان هؤلاء البررة بالغيّب ، وعن ذكرهم للآخرة في علاقتهم بربهم عز وجل ، وسلوكهم الأمثل مع الآخرين . وليس ذلك ببدع أو مستغرب ، وهم في هذا الصفاء والنقاء ، على إرث من إرث النبوة وحسن التأسي بإمام المتقين عليه الصلاة والسلام ، وسيد الزهاد العابدين .

والحق أن الناظر ببصيرة إلى عظم المسؤولية يوم الدين ، وما ينبني على ذلك من عقوبةٍ تودي بأهل الضلالة إلى جهنم وبئس المصير . أو مثوبةٍ تنتهي بأهل

الإيمان والاستقامة إلى جنة الخلد ومفاز المتقين .. الحق أن الناظر المتبصر في هذا الأمر الجليل ، لا يسعه إلا أن يزن الأمور بالميزان الأخروي ، ويضع ما يكون من مشاهد القيامة يوم الحساب ، نصب عينيه ، لكيلا تزَلَّ به القدم في الدنيا ، فيلقى مولاه سبحانه - يوم يلقاه - وهو خالي الوفاض من الخير ، ويهلك مع الهالكين . ومن وفق إلى ذلك : فهو الموفق الذي يغبطه أهل الصلاح والفلاح . وقدوة الناس في ذلك ، بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان .

قال الإمام الترمذي في كتاب التفسير من سنن الترمذي - الجامع الصحيح :-
حدثنا مجاهد بن موسى ، بغداديّ ، والفضل بن سهل الأعرج ، بغداديّ ، وغير واحد قالوا : حدثنا عبدالرحمن بن غزوان أبو نوح . قال : حدثنا ليث بن سعد عن مالك ابن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : « أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني ، وأشتمهم وأضربهم ، فكيف أنا منهم ؟ قال : يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم ، كان كفافاً ، لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم ، كان فضلاً لك . وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم ، اقتُصَّ لهم منك الفضل . قال : فتنحى الرجل ، فجعل يبكي ويهتف . فقال رسول الله ﷺ : أما تقرأ كتاب الله ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ . فقال الرجل : والله يا رسول الله ما أجدي وهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم ، أشهدك أنهم أحرار كلهم » . قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن غزوان . وقد روى ابن حنبل عن عبدالرحمن بن غزوان هذا الحديث .

تبارك الله : إن هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه ، أفرغه احتمال أن يكون هو المسمى في قدر العقوبة لمن ولاه الله أمرهم ، فجعل يبكي ويهتف - يصيح باكياً -

ورأى نجاته من الوقوع فيما يكون مدعاةً لأن يقتصر منه - يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة - أن يعتق أولئك المملوكين ويجعلهم أحراراً طلباً لمرضاة الله، وخوفاً من الوقوع في شديد العقاب وأليم العذاب في تلكم الساعات العصيات، التي يكون المرء فيها أحوج ما يكون إلى الحسنة، مهما قل شأنها، لعلها تنفعه - بإذن الله - على طريق النجاة. وفي ذلك المنهج القائم على وزن الأمور بالميزان الأخرى، فليتنافس المتنافسون.

هذا : والذي أشار إليه الترمذي من رواية أحمد: هو ما روى رحمه الله بسنده عن عائشة رضي الله عنها « أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال : يارسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني ، وأضر بهم وأسبهم فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول الله ﷺ : يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك ، وعقابك إياهم : إن كان دون ذنوبهم ، كان فضلاً لك عليهم . وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم ، كان كفافاً لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم ، اقتصر لهم منك الفضل الذي قبلك . فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف . فقال رسول الله ﷺ : ما له ؟ ما يقرأ كتاب الله ﷻ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » قال الحافظ المنذري : إسناده أحمد والترمذي متصلان ورواتهما ثقات ، عبدالرحمن هذا يكنى أبا نوح ثقة احتج به البخاري ، وبقية رجال أحمد ثقات احتج بهم البخاري ومسلم . وأخرج الحديث أيضاً ابن جرير في « تهذيب الآثار » وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

وأنت واجد أن في التذكير بهذه الآية الكريمة ، - في أعقاب سؤال ذلك الرجل - بغية تنبيهه على أن العمل - وإن كان مثقال حبة من خردل يأت بها الله وتأخذ مكانها في تلك الموازين القسط ليوم القيامة - نوعاً من البيان العملي منه عليه الصلاة والسلام للآية نفسها ، والتوجيه إلى الاستنارة بالحقيقة التي دلت عليها .

وقد أخبر رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - عن وقائع تشهدها الخلائق يوم القيامة تحمل مزيداً من التقرير والتأكيد لما جاء في هذه الآية وأمثالها ، مما مرّ بنا في مناسبة سابقة ، من ذلك ما أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ؛ كل سجل مدّ البصر ، ثم يقول : أنتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يارب . قال : أفلك عذر أو حسنة ؟ قال : فيئهِتُ الرجل فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك ، فتخرج له بطاقة فيها (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) . فيقول : أحضروه ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة . قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، قال : ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم » .

ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد وقال الترمذي :

حديث حسن غريب ..

ونضع الموازين القسط..

والبطاقة العظمى

كان من نصيح النبي ﷺ لأمته ، دأبه على إحكام الصلة بين هدي الكتاب العزيز ، وبين الإنسان المسلم في أقواله وأفعاله وسلوكه - على وجه العموم - كيما يكون على بصيرة يتخذ معها أدق المعايير وأسلمها لدينه ودنياه وآخرته . ومن قريب رأينا صورة من صور التوجيه النبوي الكريم في هذا حين ذكّر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ذلك الرجل ، الذي شرح له طبيعة العلاقة بينه وبين موالیه على صعيد الإساءة والإحسان ، وما يخشى على نفسه من ذلك يوم الحساب.. حين ذكّره بقول الله تبارك وتعالى في سورة الأنبياء : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ .

وفي هذا الهدي المحمدي ، ما يحمل المسلم على الإنصاف من نفسه عند التعامل مع الآخرين ، وعدم التعسف في استعمال الحق ، حرصاً على سلامة العاقبة يوم الحساب ، يوم يضع الجبار سبحانه وتعالى الموازين القسط ، وتوفى كل نفس ما كسبت ، ولو كان العمل مثقال حبة من خردل ، ولا يظلم ربك أحداً .

وفي تأكيد لهذه الحقيقة نذكر ما أورد السيوطي في كتابه « الدر المنثور » الرواية الأخرى للحديث الذي رواه الترمذي وغيره - كما سبق من قريب - وهو ما أخرجه الحكيم الترمذي عن زياد بن أبي زياد قال : « قال رجل : يا رسول الله إن لي مالاً وإن لي خدماً وإني أغضب فأعِرم وأشتّم وأضرب . فقال له رسول الله ﷺ : « توزن ذنوبهم بعقوبتك ؛ فإن كانت سواء فلا لك ولا عليك ، وإن كانت العقوبة أكثر ، فإنما هو شيء يؤخذ من حسناتك يوم القيامة ، فقال الرجل : أوّه أوّه يؤخذ من

حسناتي ؟ أشهدك يا رسول الله أن ممالكى أحرار ، أن لا أمسك شيئاً يؤخذ من حسناتي له ، قال : فحسبت ماذا ؟ ألم تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ۝ الآية ؟

قوله : فأعزّم من العُرام وهو الحِدّة والشّرْس يقال : عَزَمَ يَعْزُمُ وَعَزَمَ يَعْرِمُ .

وغير خاف أن تلكم الكلمات الهاديات المبينات في سورة الأنبياء ، كما تحمل النذارة ، تحمل البشارة ؛ ولينظر عاقل ماذا يقدم بين يديه ليوم الحساب ، حيث الوزن يومئذ الحق . وقد وقفنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره - واللفظ لأحمد - على مشهد ذلك الرجل الذي نشر الله عليه رحمته ، فانتفع بالكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بعد أن كاد يأس من دخول الجنة ، ورجحت كفة البطاقة التي فيها الشهادتان على الكفة الأخرى التي حملت ما حملت من سجلات السيئات . وما من ريب في أن مشهد ما حصل لهذا الرجل ، مشهد عظيم مبارك ، يحمل ما يحمل من البشرى المفرحة بفضل الله ، للمؤمن الذي ينطق بالشهادتين مخلصاً صادق العزم على أداء حقهما ؛ طاعة لله في عبودية صادقة تطبع الحركة والسلوك .

هذا : ونجد في لفظ الحديث عند الترمذي ما يزيد الأمر تأكيداً على تأكيد . قال رحمه الله : حدثنا سويد بن نصر قال : أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد قال : حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافريّ ثم الحُبليّ قال : سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن الله سيُخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر . ثم يقول : أتتكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتُخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول : احضر

وزنك: فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة. فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

فيقول: يارب ما هذه البطاقة؟ أي البطاقة الواحدة مع هذه السجلات الكثيرة التي بلغت تسعة وتسعين سجلاً، وما قدرها بجنبها ومقابلتها. فقال: فإنك لا تظلم: أي لا يقع عليك الظلم، لكن لا بد من اعتبار الوزن، كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن. وهذا منتهى العدل والفضل، وسبحان أرحم الراحمين.

فطاشت السجلات: أي خفّت. وثقلت البطاقة: أي رجحت. وجاء التعبير بالفعل الماضي «فطاشت وثقلت» لتحقيق الوقوع؛ وهذا كثير في نصوص الكتاب والسنة. وما أكثر ما نفع على هذه السمات البلاغية في كلامه المتميّز وأسلوبه الفذ عليه الصلاة والسلام.

وأخرج الحديث ابن ماجة في السنن وابن حبان في صحيحه والبيهقي والحاكم وقال - كما ذكر الحافظ المنذري -: صحيح على شرط مسلم. ولفظ ابن ماجة «يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مدّ البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة؟ فيُهاب الرجل، فيقول: لا. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: فيقول: يارب: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات!! فيقول: إنك لا تُظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» قال ابن ماجة قال محمد بن يحيى: البطاقة: الرقعة. وأهل مصر يقولون للرقعة بطاقة.

ومهما يكن من أمر: فإن من خالطت قلبه بشاشة الإيمان، ولم ينس - وهو

يخوض غمار الحياة الدنيا - مولاه تبارك وتعالى واليوم الآخر ، لا تزيده البشائر والنذارات إلا حرصاً على الطاعة ، ووزن الأمور جليلها ودقيقها بالميزان الأخروي السليم ، الذي وجه إليه الكتاب العزيز ، وبين معاملة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وإذا توافرت للمؤمن هذه الامتثارة ؛ إيماناً وعملاً ، كان على ذكر من أن الصدق في طلب النجاة في الأخرى ، لا بد له من أداء الحقوق ، وإلا أدبت إلى أهلها يوم القيامة ذلكم ما أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لتؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » .

ثم إن هذا الصدق ، لا بد أن تذكر معه حقيقة أن دخول الجنة إنما يكون برحمة الله تعالى - كما ثبت في صحيح الحديث وأن المنازل تكون بحسب الأعمال - . ناهيك عما يجب على المؤمن من قدر النعم حق قدرها ، لكيلا يغترَّ بعمله وينسى عظيم فضل الله بما أسبغ عليه من تلك النعم الظاهرة والباطنة ، فيبوء بالخسران يوم اللقاء .

ومن مشاهد القيامة التي تعطي أبلغ العظات على هذه الساحة : ما روى الطبراني عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له ، فيقول الله : أيُّ الأمرين أحب اليك أن أجزيك بعملك أو بنعمتي عندك ؟ قال : يارب إنك تعلم أي لم أعصك ، قال : خذوا عبادي بنعمة من نعمي ، فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة ، فيقول : رب بنعمتك ورحمتك ! فيقول : بنعمتي ورحمتي .. » .

أما بعد : فهل يرتاب منصف في أن مما يستمطر به الرحمة أن يكون العبد على الجادة ، طاعةً لمولاه ، وأدباً معه سبحانه شاكراً لنعمه ، معترفاً بعظيم فضله ، وأنه - جل شأنه - لا يظلم عبداً من عباده مثقال ذرة ، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً ؟!

ماذا عن مشهد الغاش لرحمته..

لا يجب ربح الجنة

من عظمة الإسلام وأحقية ، في كونه الدين الذي رضي الله لعباده : ما يرى من التنبيه الشديد في الكتاب والسنة ، على وثاق الارتباط بين الدنيا والآخرة ؛ وأن الإنسان إذا أخذ نفسه في الحياة العاجلة بمنهج أهل الخشية المتقين ، كان ذلك عنوان نجاته - بفضل الله ورحمته - في الآجلة دار القرار ، والعكس بالعكس .

والقراءة المتدبرة للخبر الصادق عن مشاهد القيامة ، تكشف اللثام بوضوح تام عن مدى الارتباط بين تلك المشاهد - التي يرفل أصحابها بالنعيم المقيم في دار الخلود - وبين استقامتهم في الدنيا على شرع الله ونهج دينه القويم ، كما تضع أيدينا على العلاقة الضاربة في جذور التاريخ ، بين تلك المشاهد - التي يككب فيها المجرمون على وجوههم في النار ، وبالسلاسل يسحبون - وبين ما كانوا عليه في الدنيا من ظلم أنفسهم ، وظلم عباد الله ، ومظاهرة الكفر وأهله على الإيمان وأهله !! واذكر ما شئت هنا من طاعة الهوى والشيطان ، وموالة أعداء الله !! .

وهذا قمين - في الواقع - أن يحرك العزائم ويثير الهمم ، لتوظيف هذه الحقيقة على طريق التربية والإعداد ، وأن تكون موضع عناية الدعاة والمربين ، كي يسهموا في الدلالة على طريق النجاة يوم الدين ! الطريق الذي يبدأ بالعمل الصالح القائم على الإيمان العميق ، والإخلاص لله عز وجل ؛ وينتهي بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت لأهل الخشية المنيين .

وها هي ذي بعض النصوص المنيرة ، التي تمدنا ببعض من المشاهد التي تحذر وتنذر أهل الانحراف من التقصير في أداء الأمانة ، وحقوق من استرعاهم الله ، أن يغشوا أو يظلموا . وأنهم إن فعلوا ذلك وقعوا في سخط الله ، واحتجب

جلّ شأنه دون حاجتهم وخلّتهم وفقّهم يوم القيامة ، وباءوا بالحرمان المهين من جنة الخلد ، وكانوا من أهل جهنم وبئس المهاد . قال الإمام أبو داود في «كتاب الخراج والإمارة والفسياء» من «السنن» : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال : حدثنا يحيى بن حمزة قال : حدثني ابن أبي مريم أن القاسم بن مخيمرة أخبره «أن أبا مريم الأزدي أخبره قال : دخلت على معاوية رضي الله عنه فقال : «ما أنعمنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها العرب - فقلت : حديث سمعته أخبرك به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقّهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلّته وفقّره» قال : فجعل رجلاً على حوائج الناس» وإسناده حسن . قال الإمام الخطابي : «ما أنعمنا بك» يريد ما جاءنا بك ، أو ما أعملك إلينا ، وأحسبه مأخوذاً من قولهم : (نَعَمْ وَنُعْمَةُ عَيْن) أي قرّة عين . وإنما يقال ذلك لمن يُعتدُّ بزيارته ويُفرّج ببلقائه ؛ كأنه يقول : ما الذي أطلعك علينا وحيانا ببلقائك» .

لقد أحسن هذا الصحابي الجليل أبو مريم الأزدي - وهو عمرو بن مرة الجهني - حين أسدى إلى معاوية رضي الله عنه هذه النصيحة العظيمة التي أشرق بها حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأعانه على أن لا يكون يوم القيامة ممن تحلُّ بهم تلك النقمة والعياذ بالله ؛ وسرعان ما انتفع معاوية بالتذكير ، خوفاً من سوء العاقبة يوم الدين .

والحديث خرّجه الترمذي بلفظ « ما من إمام يُغلق بابَه دون ذوي الحاجة والحلّة والمسكنة ، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلّته وحاجته ومسكنته » فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس . قال : وفي الباب عن ابن عمر .

الحلّة : الفقر والحاجة .

ومن الواضح أن هذه الرواية - على وجازتها - لم يقتصر الوعيد فيها على الأخرى ولكن شمل الدنيا أيضاً ؛ وهذا ما تنطق به في عبارة « إلا أغلق الله أبواب

السماء دون خلته وحاجته ومسكنته « وهو ما نجده عند الإمام أحمد ؛ إذ روى بسنده « أن عمرو بن مرة - وهو أبو مريم الأزدي - قال لمعاوية : يا معاوية إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من إمام أو والٍ يغلق بابَه دون ذوي الحاجة والخلّة والمسكنة إلا أغلق الله عز وجل بابَه دون حاجته وخلته ومسكنته .. » الحديث.

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضعافة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة ». فإذا قر الإيـمان في الصدر وصدّقه العمل بهذا الهدى المحمدي ، كان من وراء ذلك الإسهام الكبير في إسعاد الفرد المسلم ، وسلامة كيـان المجتمع ؛ ناهيك عن مشهد الضياء والفضل الإلهي ، الذي يكون أولئك العاملون من أركانه ومقوماته .

أما المعرضون الذين يستبدلون طاعة الهوى والشيطان بهدي النبي عليه الصلاة والسلام : فيعيثون في الأرض فساداً ، ويستمتعون بظلم عباد الله : فليرتقبوا عذاب السموم يوم القيامة ، وأن يكونوا من وقود المشاهد التي تنخلع لها القلوب ، وتطيش الحلوم .

ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا في التذكير بهذه الحقيقة نِعَم القدوة لكل من تبعهم ويتبعهم بإحسان عبر تاريخنا الطويل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؛ كما رأينا في موقف أبي مريم الأزدي مع معاوية رضي الله عنهما ومثل ذلك كثير.

هذا صحابي آخر ممن بايعوا تحت الشجرة - وهو أبو علي معقل بن يسار - لم يدع أن يصرخ بها واضحة بريئة من اللبس في وجه عبـيد الله بن زياد ، وهو زياد ابن أبيه الذي يقال له : زياد بن أبي سفيان ، وكان إذ ذاك أمير البصرة لمعاوية . قال الإمام البخاري : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا أبو الأشهب . عن الحسن - هو

البصري - أن عبید الله بن زیاد عاد معقل بن یسار في مرضه الذي مات فيه ، فقال له معقل : إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيّةً فلم يُحِطْها بنُصْحِهِ إلا لم يجد رائحة الجنة » .

ولقد دلت رواية أخرى للبخاري أن الحسن رحمه الله ، كان عند معقل يعودُه عندما جاءه ابن زياد يعودُه أيضاً ؛ إذ روى بسنده عن الحسن قوله : أتينا معقل بن يسار نعوْدُه ، فدخل علينا عبید الله ، فقال له معقل : أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال : « ما من وإل يلي رعيّةً من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرّم الله عليه الجنة » .

وللحديث بقية نسعد من خلالها بنصوص آخر تزيدنا تبياناً لما يجب من العدل في الرعية والنصح لها ، وأن العدول عن ذلك انصراف عن طريق الجنة والنعيم المقيم

يَكْبُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ..

لِلْإِشْرَارِ الرِّعَاءِ الْخَطْمَةُ

حقيقة أنه ليس بعد هذه الدار العاجلة الفانية دار ، إلا الجنة أو النار : حقيقة جديرة بالكثير من الشوق المقلق إلى الله عز وجل ، وأن يكون المؤمن ممن تنالهم الرحمة ويفوزون بجنات تجري من تحتها الأنهار ، لهم فيها النعيم المقيم . كما أنها جديرة بالكثير من الخوف المزعج ، فرقاً من سوء العاقبة والخلود في جهنم ، وبئس المصير .

وإذا علمنا أنه : ما من طريق من طُرُق الخير التي مابد من سلوكها ، طلباً للنجاة من عذاب الله ، والفوز بجنة الخلد : إلا أوضح معالمها ورغب بها سيد العالمين رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأنه : ما من طريق من طرق الغواية والشر ، التي يضل سالكها ، وتودي به إلى سوء المنقلب ، حيث يبوء بالخسران المبين ويدخل النار مع الداخلين ، إلا أوضح مسالكها ، ورهَّب منها صلوات الله وسلامه عليه .. إذا علمنا ذلك : كان لزاماً أن ندين أنفسنا ونعمل لما بعد الموت ، وأن نذكر أن منهج الهداية النبوي الذي جعل الأمة على بينة من أمور الآخرة ، وتركها على بيضاء نقية ليُلها كنهارها ، حجةً في أعناق العباد ، وأمانة لا يتخلف عن أدائها إلا من سَفَهَ نَفْسَهُ ، وضلَّ سَعْيُهُ واستجاب للدعوات الشيطانية ، التي تقذف به إلى طريق الهالكين .

ومن الأمور التي حذر رسول الله ﷺ ، وأنذر أصحابها جهنم وبئس المهاد ، إن هم انحرفوا عن الطريق السوي ، وبشرهم بحسن الأحدثثة وسلامة العقبي يوم الدين إن هم استقاموا على الطريقة : أمرُ النَّهْجِ الذي ينبغي سلوكه لمن ولّاه الله شيئاً من أمور المسلمين ، وكيف أن ألواناً من مشاهد القيامة ، توحى بالذي كان

عليه أصحابها في تعاملهم مع الرعية ؛ عطاءً أو منعاً ، نصيحة أو غشاً ؛ والعاقل من انتفع بالبشارة والنذارة ، ولم يغفل عن دلالة الترغيب والترهيب .

وقد كان فيما أوردت من قبل ، ما روى الإمام البخاري من قول الصحابي الجليل معقل بن يسار المزني لعبيد الله بن زياد — وقد جاء يعوده في مرضه الذي مات فيه — «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعيةً ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

وفي متابعة للرحلة مع النصوص : نقرأ ما جاء في صحيح مسلم من قوله رحمه الله : حدثنا شيبان بن فروخ قال : حدثنا أبو الأشهب عن الحسن — هو البصري — قال : (عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه . قال معقل : إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لو علمت أن لي حياة ما حدثتك . إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ») .

إنه لمشهد بالغ النذارة ؛ يُفترض أن يستوقف من أوتوا حظاً من الإيمان الصادق بيوم الحساب ، وكانوا في الدنيا على الثغر الذي عيّنه رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ فقد تسبب الانحراف — كما يدل النص — في أن يحرم أصحابه من الجنة ويُقذفوا في نار السعير ، وتعبير «إلا حرم الله عليه الجنة» بهذا الحصر ، جدير بالكثير من التأمل .

وهذه رواية أخرى لمسلم ، تدل على أن عبيد الله قد سأل معقلاً رضي الله عنه وهو يعوده ، وأنه تمنى لو أنه حدث بالحديث المسمى إليه من قبل ، ولفظها : (دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار وهو وجع فسأله ، فقال : إني محدثك حديثاً لم أكن حدثتك : إن رسول الله ﷺ قال : « لا يسترعي الله عبداً رعية يموت حين يموت ، وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة » قال : ألا كنت حدثتني هذا قبل اليوم ؟ قال : ما حدثتك ، أو لم أكن لأحدثك .) وله في رواية أخرى « إني محدثك

بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجتهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » . وأخرج الإمام أحمد عن معقل بن يسار قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من والي أمة قلت أو كثرت ، لا يعدل فيها ، إلا كَبَّه الله تبارك وتعالى على وجهه في النار » وجاء في رواية أخرى له « .. من استرعى رعية فلم يُحطهم بنصيحته لم يجد ربح الجنة وإن ربحها يوجد من مسيرة مائة عام » وأخرجه الدارمي .

وفي كلام على فقه الحديث أوضح الإمام النووي أن قوله ﷺ « حَرَّمَ الله عليه الجنة » فيه التأويلان المتقدمان في نظائره !! أحدهما - أنه محمول على المستحل والثاني - حَرَّمَ عليه دخولها مع الفائزين السابقين . ومعنى التحريم هنا : المنع قال القاضي عياض رحمه الله : (معناه يَنْ في التحذير من غش المسلمين لمن قلَّده الله تعالى شيئاً من أمرهم ، واسترعاه عليهم ، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم ؛ فإذا خان فيما أوْتَمَن عليه ، فلم ينصح فيما قلَّده ، إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به ، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصدي لإدخال داخله فيها ، أو تحريف لمعانيها ، أو إهمال حدودهم وتضييع حقوقهم ، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم ، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غَشَّهم) . قال القاضي : (وقد نبَّه ﷺ على أن ذلك - يعني غش الرعية - من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة والله أعلم) ..

وأما قول معقل رضي الله عنه لعبيد الله بن زياد : (لو علمت أن لي حياة ما حدثتك) وفي الرواية الأخرى (لولا أني في الموت لم أحدثك) فقال القاضي عياض رحمه الله : (إنما فعل ذلك لأنه علم قبل هذا أنه ممن لا ينفعه الوعظ كما ظهر منه من غيره ، ثم خاف معقل رضي الله عنه من كتمان الحديث ورأى تبليغه ، أو فعَّله لأنه خافه لو ذكَّره في حياته بما يبيِّح عليه هذا الحديث ويثبت في قلوب الناس من سوء حاله) . قال الإمام النووي رحمه الله : (هذا كلام القاضي والاحتمال الثاني هو الظاهر ، والأول ضعيف ؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط

باحتمال عدم قبوله - والله أعلم -).

والذي أشار إليه القاضي من أن معقلاً علم قبل هذا أن ابن زياد ممن لا ينفعه الوعظ - وهذا من السوء بمكان - كما ظهر منه مع غيره : واضح في بعض الوقائع التي نذكر منها ما روى مسلم بسنده عن الحسن البصري رحمه الله (أن عائذ بن عمرو - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن شر الرعاء الحطمة » فأياك أن تكون منهم . فقال له : اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ !! قال : وهل كان لهم نخالة ؟! إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم).

الحُطْمَة : بوزن هُمَزَة : الظلوم الشديد الوطأة . وقال ابن الأثير في النهاية : هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار ، ويُلقب بعضها على بعض ويعسفها ، ضربه ﷺ مثلاً لوالى السوء .

ويقال أيضاً : حُطِمَ بلا هاء .. والحُطْم من أبنية المبالغة ، وهو الذي يكثر منه الحطم . ومنه سميت النار الحُطْمَة لأنها تحطم كل شيء . ومنه الحديث « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ».

وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد معلم الناس الخير وعلى من اتبع سنته وانتفع بهديه على أي ثغر كان من ثغور المسلمين .

أهل العدل وأهل الجور.. مشاهد ومشاهد

لا يسأم المرء من حديث أهل الخشية ومواعظهم النابعة من القلب ، تلك التي تصدر عنهم، وفيها من الحياة ما يشعر بك بأنهم يتكلمون ، وكأن الجنة والنار - منهم على مرمى البصر ، يرونها رأي عين. وفي الجففة اليوم كلمات نيرات لواحد من هؤلاء البررة الذين أخذوا أنفسهم بهدي النبي عليه الصلاة والسلام فكانوا يمشون في الأرض أطهاراً مباركين ، لما يزين سلوكهم من الخوف والرجاء وصدق مراقبة الله تعالى ، واليقين بأحقية اليوم الآخر ، وما يكون فيه. ذلكم هو الإمام المحدث الثقة الرخال في طلب العلم النافع ، أبو عمران موسى بن عبد الحميد الجوني البصري نزيل بغداد ، والمتوفى سنة سبع وثلاثمائة . أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده عن الإمام أحمد قال : حدثنا عفان قال : حدثنا همام قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : « ما من ليلة تأتي إلا وتنادي اعملوا ما استطعتم من خير ، فلن أرجع إليكم إلى يوم القيامة ».

وفي تذكير بحقيقة أنه ليس بعد هذه الدنيا دار إلا الجنة أو النار ؛ قال فيما أخرج أبو نعيم من طريق أحمد أيضاً عن جعفر قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : « إنه ليس بين الجنة والنار طرق ولا فياف ولا منزل هنالك لأحد. فمن أخطأته الجنة صار إلى النار ».

وتراه - وقد عملت مشاهد الجبابرة الظالمين وهم يتقلبون في النار ، ومشاهد المتقين الأبرار وهم يرفلون بنعيم الجنة على سرر متقابلين - عملها في نفسه حتى كأنه يشهدها ماثلة أمام ناظريه يُحسُّ نعيم الجنة ويصلى نار السعير .. تراه يقول : « بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شره فيوثقون في الحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ثم أوصدها عليهم - أي أطبقها - فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارٍ أبداً ، ولا والله ما ينظرون إلى أديم

سواء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً . قال : ثم يقال لأهل الجنة : افتحوا الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً ، و ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ . قال أبو عمران : هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه .

ولا غرابة في أن تعيد كلمات أبي عمران هذه إلى الذاكرة ، ما وقفنا عليه من قريب بعض الأحاديث - برواياتها المختلفة - من مشهد أولئك الذين خانوا الأمانة مع من ولاهم الله أمرهم ، فلم يروحوا بسبب ذلك رائحة الجنة ، وانقلبوا إلى الجحيم خاسرين .

ونحن على موعد مع مشهد من مشاهد يوم الحساب ، لأولئك الذين اتخذوا من العدل فيمن استرعاهم الله إياهم ، والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، طريقاً انتهت بهم - بفضل الله ورحمته - إلى أن يكونوا عند الله يوم يقوم الناس لرب العالمين ، على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - . وأكرم به من مشهد يبعث في النفس معاهد الرجاء ، ويذكى نار العزيمة على الصلاح والإصلاح - أن لو صدقت النوايا - عند من يوليهم الله شيئاً من أمور الأمة .. ويحسن العاقبة يوم الحشر الأكبر لمن يعدلون ولا يظلمون ، وينصحون ولا يغشون ، وعلى مظاهر الدنيا وزخارفها يستعلون .

قال الإمام مسلم رحمه الله : حدثنا أبو بكر بن أبي سعيد وزهير بن حرب وابن نمير قالوا : حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو - يعني ابن دينار - عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو قال ابن نمير وأبو بكر : يبلغ به النبي ﷺ وفي حديث زهير قال : رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » وأخرجه أحمد كما أخرجه النسائي من طريق محمد بن آدم ولفظه « إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » . قال محمد في حديثه : « وكلتا يديه يمين » .

المقسطون : هم العادلون . وقد فسر في آخر الحديث ، والإقساط ، والقسط بكسر القاف : العدل : ، يقال : أقسط إذا عدل قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ وقال سبحانه ﴿ قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ والقسط : الميزان سمي به من القسط : العدل . ويقال : قسط يقسط بفتح الياء وكسر السين قُسُوطاً وقُسْطاً بفتح القاف فهو قاسط ، وهم قاسطون : جاروا ، من القسط وهو الجور . قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾ .

والمنابر : جمع منبر سمي به لارتفاعه . قال القاضي عياض : (يحتمل أن يكونوا على منابر حقيقةً على ظاهر الحديث ، ويحتمل أن يكون كناية عن المنازل الرفيعة). قال الإمام النووي : (والظاهر الأول ، ويكون متضمناً للمنازل الرفيعة ، فهم على منابر حقيقة ومنازلهم رفيعة) .

وأما قوله ﷺ : « عن يمين الرحمن » فهو من أحاديث الصفات تؤمن به - كما ورد النص - ولا نتكلم في تأويله .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » فمعناه - كما يقول الإمام النووي رحمه الله - (أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة ، أو إمارة أو قضاء ، أو حسبة ، أو نظر على يتيم أو صدقة ، أو وقف ، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعباله ونحو ذلك ، والله أعلم) « وما أولوا » بفتح الواو وضم اللام المخففة : أي كانت لهم عليه ولاية .

ويسلمنا هذا المشهد الغني بالدلالة على ماهؤلاء البررة - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا - من كرامة عند الله الذي لا يظلم عنده مخلوق - إلى مشهد القرب من الله لأولئك المقسطين ، ومشهد البعد من الله لأولئك الجائرين الظالمين . قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحبَّ الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً : إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى

الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً : إمام جائر .»

كم ذا تجادل هذه الحقيقة أهل الغفلة الذين ينسون الله واليوم الآخر ، إذا ولوا أمراً من أمور المسلمين ، إنها حقيقة صارخة في وجه كل جائر عدو للحق والإنسان ؛ فكما أن الذين أكرمهم الله بأن كانوا على الجادة ؛ عدلاً ووقفاً عند حدود الله ، وبعداً عن كل ما فيه العدوان على إنسانية الإنسان وحقوقه : أحبّ الناس إلى الله وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة ، فهؤلاء الظلمة المنكوسة قلوبهم ، العمي بصائرهم ، المنتهكون لحرمت الله ولكرامة الإنسان وحرية ، أبغض الناس إلى الله وأشدّهم عذاباً - وفي رواية - وأبعدهم منه مجلساً يوم القيامة .

فقد جاءت الرواية عند الترمذي ، تقرر أن هؤلاء الأناسي أبعد الناس مجلساً من الله يوم الحساب . أخرج رحمه الله بسنده عن أبي سعيد أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل . وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر » قال : وفي الباب عن عبدالله ابن أبي أوفى قال أبو عيسى : حديث أبي سعيد حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

اللهم أصلح الراعي والرعية وهب للمسلمين من أمرهم رشداً ، وصلّ على عبدك ورسولك محمد بن عبدالله إمام الهداة وسيد العادلين المنصفين وعلى آله وصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين .

يخافون سوء العقبي..

ويبكون بحد السفر وقلة الزاد

يوم تبلى السرائر ، ويعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصي والأقدام ...
يزداد المؤمنون يقيناً بأحقية ما كانوا عليه من الإيمان في الدنيا ، بل يرون أن ذلك -
والحمد لله - حق اليقين ، ويدركون تمام الإدراك أن كل ما قدموه في العاجلة من
طاعة وعمل صالح ، يبدو ضئيلاً أمام ما ينالون من الفضل العظيم الذي يتجلى
الله به على عباده الصالحين ، ولا تسل عما يغمرهم من الفرح والغبطة يومذاك ،
وكم يتمنون لو أنهم ازدادوا طاعة على طاعة ، وجهاداً على جهاد ، وصبراً على
صبر ، فالله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

ولا مرية في أن ما يصير إليه هؤلاء المنسيون المختبئون إلى ربهم ، من كريم
الفضل والإحسان : عنوان مشرق على نسبهم الأصيل إلى تلك المشاهد التي
يغمرها الرضى وجزيل العطاء ، ومَعْلَمٌ بارز يدل على سلامة ما كانوا عليه من نهج
سوي ، يديمون معه مراقبة الله عز وجل ، ويضعون نصب أعينهم ما يمكن أن
تكون عليه العقبي يوم الدين ، وأنه مادامت الرجعى إلى الله ، فالواجب مراعاة
ذلك في كل صغيرة وكبيرة ، أعمال الجوارح وأعمال القلوب في ذلك على حدّ
سواء ، وإلا ضلّ سعي المرء ، وخاب فآله ، وكان في الآخرة من الخاسرين .

هذا عامر بن عبدالله المعروف بابن عبد قيس العنبري ، أول من عرف
بالنسك من عبّاد التابعين بالبصرة ، ومن أقران أويس القرني ، وأبي مسلم
الخلولاني: «يبكي مرة وهو مريض ، فيقال له - كما روى صاحب الحلية - ما يبكيك
وقد كنت وكنت ؟ فيقول : مالي لا أبكي !! ومن أحق بالبكاء مني ، والله ما أبكي
على الدنيا ، ولا جزعاً من الموت ، ولكن بعد سفري ، وقلة زادي ، إني أمسيت في

صعود وهبوط : جنة أم نار ؛ فلا أدري إلى أيهما أصير .

وذلكم شأن أولئك الربانيين أهل القرب من الله الذين يحبهم ويحبونه ؛ فقد كان - رحمه الله يقول : « أحببت الله عز وجل حباً سهلاً على كل مصيبة ، ورضائي في كل قضية ؛ فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت » وهذا لا ينافي أن العافية أوسع للعبد ، ولكن شديد حبه لمولاه ، يسهل عليه كل مصيبة ، ويجعله من الصابرين .

ولعل من الخير اصطحاب شذرات من حديثه عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهي شذرات تؤكد ما أسلفنا ، من أن ما تفيض به مشاهد الفضل والإحسان في دار المتقين يوم القيامة : برهان ناطق على صدق النسب بين ما كان عليه أهل البر في دار العمل والفناء ، وما آل إليه أمرهم من كريم العقبي في دار الجزاء والبقاء .

قال عامر - أجزل الله مثوبته - : « رأيت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ وصحبتهم ، فحدثونا أن أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أشدُّهم محاسبة لنفسه في الدنيا ، وأن أشد الناس فرحاً في الدنيا ، أشدُّهم حزنًا يوم القيامة . وأن أكثر الناس ضحكاً في الدنيا أكثرهم بكاء يوم القيامة . وحُذِّثنا أن الله فرض فرائض ، وسنَّ سنناً ، وحد حدوداً ؛ فمن عمل بفرائض الله وسننه واجتنب حدوده ، دخل الجنة بغير حساب ، ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ، ثم تاب وأتاب ، استقبل الشدائد والزلازل والأهوال ، ثم يدخل الجنة . ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ، ثم مات مصرّاً على ذلك !! لقي الله مسلماً إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » مات عامر رحمه الله في نحو سنة ٥٥ هـ ببيت المقدس .

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم خير هذه الأمة - بعد نبيها عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على نقل الدين الحق إليها - فالواجب أن يُستَنَّ بهم وتؤخذ النفوس بما كانوا عليه من النهج القويم ؛ إيماناً وعلماً وعملاً وجهاداً . قال عبدالله

ابن عمر رضي الله عنهما : « من كان مستنّاً فليستنّ بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة ، أبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلّها تكلفاً . قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ونقل دينه ؛ فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ؛ فهم أصحاب محمد ﷺ . كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة . يا ابن آدم صاحب الدنيا بيدك وفارقها بقلبك وهّمك ، فإنك موقوف على عملك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك عند اسوت ، يأتك الخير » .

والواقع أن الصحابة رضوان الله عليهم ، كما كانوا كلفين بالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام في حياتهم الدنيا ، كانوا شديدي الحرص على كل ما فيه تجنب الوقوع فيما يسيء إلى العقبى في الآخرة يوم اللقاء ، ولقد أغنت مشاهد القيامة وما فيها ، هذا المسلك عندهم ، وظهر ذلك على تصرفاتهم في دقيق الأمور وجليلها ، وباتوا خير قدوة - بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام - لكل من ترقى همته لأن يكون تابعاً لهم بإحسان عبر تاريخنا الطويل ، وحتى يأذن الله بانقضاء الدنيا . وقد مرت بنا نماذج كثيرة لهذه المنقبة العظيمة فيما مضى ، وقال الإمام مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا وكيع بن الجراح قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من استعملناه منكم على عمل فكتمنا خيطةً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة . قال : فقام رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال : يا رسول الله اقبل عني عملك . قال : وما لك ؟ قال : سمعتك تقول : كذا وكذا . قال : وأنا أقوله الآن . من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذ ، وما نهي عنه انتهى » .

المخيطة بكسر الميم وسكون الخاء : الإبرة . والغلول : السرقة من الغنيمة والفيء ؛ وهو أمر رهّب منه النبي ﷺ ترهيباً شديداً كما مر في مناسبات خلت . وأصل ذلك في كتاب الله عز وجل : قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا

يظلمون ﴿ قال العلماء ﴿ يأت بما غل يوم القيامة ﴾ أي حاملاً له على عنقه كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

إن مشهد الغل يوم القيامة - وهو يحمل ما غل على عنقه والناس قيام ينظرون - أفزع ذلك الرجل من الأنصار ؛ إذ خشي رضي الله عنه - وهو يلي أمراً من أمور المسلمين لرسول الله ﷺ - أن يقع فيها هو بمثابة الغاoul؛ فيفتضح يوم القيامة على رؤوس الأشهاد؛ فاعتذر إلى رسول الله عن متابعة الولاية وقال : « اقبل عني عملك » . وقوى ذلك في نفسه - والله أعلم - ما كان من الدقة في الوعيد مهما كان قدر الذي غُلَّ حتى لو كان إبرة فما فوقها . وأخرج الحديث أبوداود في سننه وأحمد في المسند بلفظ « لا فهو غُلَّ يأتي به يوم القيامة » ..

وفي رواية أحمد ما يدل على أن المعتذر عن الولاية سعد بن عبادة رضي الله عنه . قال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني أبي مرتين قال : حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن خالد قال : حدثني قيس عن عدي بن عميرة الكندي قال : قال رسول الله ﷺ : « من عمل لنا منكم على عمل - وفي رواية من استعملناه منكم على عمل - فكتمنا مخيطاً فما فوق فهو غُلَّ يأتي به يوم القيامة ، قال : فقام رجل من الأنصار أسود - قال مجالد : هو سعد بن عبادة - كأني أنظر إليه قال : يا رسول الله اقبل عني عملك فقال : وما ذاك ؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا . قال : وأنا أقول ذلك الآن : من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره ؛ فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى » .

هكذا كان انتفاع سعد رضي الله عنه بدلالة ذلك المشهد المروّع ، فرجا رسول الله أن يقبل عنه عمله ، خوفاً على أخراه أن تسوء ، وينال الخزي بين يدي رب العالمين .

وما أكثر العبر والدروس في حياة أولئك الرجال الذين كانوا لا يعدلون بالميزان الأخروي ميزاناً آخر ، ولم يحُلْ ذلك دونهم ودون أن يبنوا الحياة على خير وجه وأكملة .

مشاهد الفجّل... والبشريات

لا يعدم الناظر في نصوص السنة التي تحمل للأمة هدي النبي عليه الصلاة والسلام ، في شأن الدار الآخرة وما يتحقق فيها من المثوبة للطائعين المخبتين ، ومن العقوبة للمضالين المجرمين .. لا يعدم أن يقع على الكثير من المبشرات التي تضاعف الأمل والرجاء ، بجانب ما يكون من المنذرات التي تثير كوامن الفزع والخوف ؛ ومشاهد هذه وتلك ناطقة بما ينير الطريق ويشدُّ إلى ساحة الفوز والنجاة .

وحري بالمؤمن — كما أسلفت غير مرة — أن يكون على الجادة في موقفه من البشارة ... والندارة ... ومن الترغيب والترهيب .

وإذا كان الصادق المصدوق — عليه الصلاة والسلام — لا ينطق عن الهوى: فالخير كل الخير في التبصر بما يقول ، وبما يفعل ، وبما يقر ، وحين يحرص المؤمنون على ذلك ويلتمسون الطريق إليه ؛ سلوكاً في أنفسهم ، وتربية وتعليماً وإعلاماً في المجتمع ، يكون ذلك عنوان التوفيق في الدنيا ويوم الدين .

وقد مر بنا في حلقات مضت عدد من النصوص المبشرات . ومن المبشرات أيضاً ما أخرج الترمذي في كتاب صفة جهنم من السنن « الجامع الصحيح » عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ؛ يؤتى برجل فيقول : سلوا عن صغار ذنوبه وأخبثوا كبارها ، فيقال له : عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا عملت كذا يوم كذا وكذا : قال : فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة قال : فيقول : يارب لقد عملتُ أشياء ما أراها ههنا . قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . »

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه مسلم ولفظه « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً منها ؛ رجل يؤتى به يوم القيامة . فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فتعرض عليه صغار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا . وعملت يوم كذا وكذا وكذا . فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر ، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه . فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة . فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا ؛ فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه » .

وليس من مُعاد الحديث التذكير بأن هذا الذي كشف عنه اللثام رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يدل - أول ما يدل - على سعة رحمة الله تعالى بعباده ، وعلى ما للكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) - حين يستودعها الإنسان قلبه صادقاً مخلصاً - من أثر واضح في عقابه يوم الدين ؛ فتراه قد رحمه الله تعالى بسببها ، بعد أن تطهر من الأدران في جهنم ، وأعطاه مكان كل سيئة حسنة ، وأدخله جنة الخلد ، يتمتع فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب واحد من عباد الله .

وإذا كان الأمر كذلك : فما أجدر الإنسان الذي خالطت بشاشة الإيمان قلبه ، أن يقدر هذه القضية الكبرى قدرها ، ويسعى لمحبة الله ورسوله سعيها ، وبذلك تكون البشريات قد زادت حرصاً على حرص ، في العمل على تحصيل رضوان الله تعالى ، وأن يكون يوم الحشر ممن ينشر الله عليهم رحمته ، ويغمرهم بفيض إحسانه ويجعلهم في زمرة الناجين من النار ، الفائزين بالنعيم في دار القرار .

وقال الإمام مسلم : حدثنا حجاج بن الشاعر قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : حدثنا أبو عامر (يعني محمد بن أبي أيوب) قال : حدثني يزيد الفقير قال : كنت قد شغفني رأيي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ، ثم نخرج على الناس ، قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله

يحدث القوم - جالس إلى سارية - عن رسول الله ﷺ . قال : فإذا هو قد ذكر
الجهنمين . قال : فقلت يا صاحب رسول الله ! ما هذا الذي تحدثون والله يقول :
﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيت ﴾ ويقول : ﴿ كلما أردوا أن يخرجوا منها أعيدها
فيها ﴾ فما هذا الذي تقولون ؟ فقال : أنقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ! قال : فهل
سمعت بمقام محمد عليه الصلاة والسلام ؟ (يعني الذي يبعثه فيه) قلت : نعم .
قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج . قال : ثم نعت
وضع الصراط ، ومَرَّ الناس عليه . قال : وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك . قال : غير
أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها . قال : يعني فيخرجون
كأنهم عيدان السماسم قال : فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة ، فيغتسلون فيه ،
فيخرجون كأنهم القراطيس ، فرجعنا قلنا : ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول
الله ﷺ ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد » أو كما قال أبو نعيم .

رأي من رأي الخوارج : وهو أنهم يرون أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار
ولا يخرج منها من دخلها - خلافاً لما عليه أهل السنة والجماعة - وقوله : « ثم نخرج
إلى الناس » أي مظهرين مذهب الخوارج ندعو إليه ونحث عليه . وظاهر أنه قد
رجع عن ذلك بما ثبت من حديث رسول الله ﷺ الذي سمعوه من جابر بن
عبدالله رضي الله عنهما ، والذي يدل بوضوح على عدم خلود أهل الكبائر في النار ،
كما تزعم الخوارج .

وسبحان من هو على كل شيء قدير ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن
فيكون ؛ فهؤلاء الذين رزقوا أن يكونوا من أهل الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد
رسول الله) بعد أن يتطهروا من معاصيهم بالنار يُخرجون منها كأنهم عيدان
السماسم ، وبعد أن يغتسلوا بنهر من أنهار الجنة ، يخرجون كأنهم القراطيس وهي
الصحف التي يكتب عليها ، وشبهوا بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم
وزوال ما كان عليهم من السواد - والله أعلم - . والسماسم : جمع سمس وهو
نبات يزرع في بلاد الشام يستخرج منه الشيرج - وتقول العامة : السيرج . فإذا

قلعت عيدانه وتركت ليؤخذ حبها تراها دِقاقاً سوداً كأنها محترقة .

ومن بلاغته ﷺ وعظيم الدلالة على فضل الله عز وجل : أنه – صلوات الله وسلامه عليه – شبه بهذه العيدان هؤلاء الذين يخرجون من النار وقد امتَحشوا أو امتَحشوا : احترقت جلودهم وظهور عظامهم ، حتى أصبحوا على تلك الصورة من السواد .

هذا: وقد رجع يزيد بن صهيب المكي راوي الحديث الذي كان يدعى بالفقير – لأنه كان يشكو فقار ظهره – . رجع عن رأي الخوارج – كما سبق – ومعه من كان الرفقة إلا واحداً . ذلكم قوله : « فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد » أي رجعنا من حجتنا ولم نتعرض لرأي الخوارج بل ، كففنا عنه وثُبنا منه إلا رجلاً منا، فإنه لم يوافقنا في الانكفاف عنه .

وما من ريب في أن انصياهم إلى ما دلَّ عليه حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، مؤذن بصدقهم ، وأنهم لا يسرون مع الهوى .. بل يدعون خيرتهم لما جاء عن نبيهم الذي لا ينطق عن الهوى ، صلوات الله وسلامه عليه .

الأمانة والرحم.. على جنبتي الصراط

لا يرتاب منصف رزق حسن الإنابة ، ورقة القلب ، أن من دلائل الهداية والتوفيق : ما ينشرح له صدر المؤمن من الإقبال على صالح العمل ، وما تطيب به نفسه من صدق الاهتمام بكل ما هو من أمور الآخرة بسبب ... ثم ما يترتب على ذلك - بفضل الله ورحمته - من الفوز بموعد الله عباده الصالحين ، يوم تزلف الجنة للمتقين ، وتبرز الجحيم للغاوين .

وعندما تطيب النفس بهذا النهج الميمون ، وينشرح الصدر لملازمته على صعيد العلم والعمل ، فقل : الخير هناك ، ويخرج الأمر عن أن يكون دعوى بلا دليل - كما هو شأن الساهين اللاهين - إلى أن يكون اثتاراً بما أمر الله ، واجتناباً لما عنه نهى ، وخشية له سبحانه بالغيب ، وانفعالاً مثمرأ بما جاء به الخبر الصادق عن القيامة وما فيها ، وعما يكون في تلکم الساعات العصيات يوم الدين .

أقول هذا ، وبين يديّ شذرات مباركات من الهدى النبوي ، تشير إلى ما يشهد العباد يوم الحساب من عظم أمر الأمانة والرحم ، ودلالة ذلك المشهد على ما ينبغي أن يكون عليه الأمر في شأنهما ، على ساحة العمل في الدار العاجلة ، وما يطلب من التزود فيها ، لرحلة تصل بالعبد إلى القيام بين يدي العزيز الحكيم .

قال الإمام مسلم : حدثنا محمد بن طريف بن خليفة البجلي قال : حدثنا محمد بن فضيل قال : حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة ، وأبو مالك عن ربي عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « يجتمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : هل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك . اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، قال : فيقول إبراهيم : لست

بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي
كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً ، فيأتون موسى ﷺ ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى
عيسى كلمة الله وروحه ، فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلك . فيأتون محمداً
ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً
وشمالاً ، فيمر أولكُم كالبرق . قال : قلت : بأبي أنت وأمي أيُّ شيء كَمَرَّ البرق ؟
قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كَمَرَّ الطير وشَدَّ
الرجال تجري بهم أعمارهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم ،
حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال :
وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ،
ومكدوس في النار . والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً .

هكذا ، وفي خضم هذه الشدة المكدقة بالناس ، الشدة التي بلغ من هولها ما
يرى في محاولة الاستشفاع بعدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، حتى أذن
لنبينا محمد ﷺ ، وظهر فضله على الجميع ... أقول : في خضم هذه الشدة ، ترسل
الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط . وجنبتا الصراط : جانباه ، وإنما كان
ذلك ، لعظم أمرهما وكبير موقعهما ، فتصوران مشخصين على الصفة التي يريد
الله تعالى ؛ وجيل ما قاله الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل التميمي الأصبهاني
الشافعي رحمه الله تعالى صاحب كتاب « التحرير في شرح صحيح مسلم » من أن
في الكلام اختصاراً ، والسامع يفهم أنهما - يعني الأمانة والرحم - تقومان لتطالبا
كل من يريد الجواز ، بحققهما .

سبحان الله ما أعظم هذا الحق ، وما أدل هذا المشهد ، والناس يمرون على
الصراط على صور شتى تختلف باختلاف مراتبهم وما قدموا في الدنيا ، حتى
يجيء الرجل ، فلا يستطيع السير إلا زحفاً ... ما أدل هذا المشهد على التذكير بما
يجب من أداء الأمانة وحفظها - على سعة مدلولها - وعلى الإحسان في صلة الرحم .
اللهم اكتبنا مع الذين يمرون مسرعين بسلام ، حيث يمر أول الناس كالبرق ، ثم

كمر الريح ثم كمر الطير . وانظر إلى قوله : « وشدُّ الرجال تجري بهم أعمارهم ونيبكم قائم على الصراط » وذلك من شدة شفقتة ﷺ على أمته .. إنه قائم على الصراط - فداه أبي وأمي - يقول : ربِّ سلِّم سلِّم . وشدُّ الرجال : عدوها البالغ وجريها ، قال العلماء : وأما قوله ﷺ : « تجري بهم أعمارهم » فهو كالتفسير لقوله عليه الصلاة والسلام : « فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح .. إلى آخره . ومعناه - كما أسلفت - أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمارهم . وقوله ﷺ : « فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة » هو بضم التاء وإسكان الزاي . ومعناه : تقرب كما قال الله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي قربت ، وحول قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام - كما ذكر النبي ﷺ - : « إنما كنت خليلاً من وراء وراء » قال صاحب « التحرير » : (هذه كلمة تذكر على سبيل التواضع أي لست بتلك الدرجة الرفيعة . قال : وقد وقع لي معنى مליح فيه وهو أن معناه أن المكارم التي أعطيها كانت بوساطة سفارة جبريل ﷺ ، ولكن اتوا موسى فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة قال : وإنما كرَّر وراء وراء ، لكون نبينا محمد ﷺ حصل له السماع بغير واسطة . وأما ضبط وراء وراء : فالمشهور فيه الفتح فيها - كما يقول الإمام النووي - بلاتنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤها على الضم أي فتقول : من وراء وراء ، ومن وراء وراء .

وبعد : فإن هذا الموقف الذي يكرَّم به النبي ﷺ ، ويدل على مزيد شفقتة ورحمته بأمرته ، يذكرنا بما أخرج الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » وله في رواية أخرى « أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة » ويتضح هذا المقام أكثر وأكثر بما روى مسلم أيضاً عن أنس رضي الله عنه من قول النبي ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك » ورواه الإمام أحمد في المسند . ﴿ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ .

حقّ الرحم والأمانة..

وعاقبة التجاوز يوم الدين

وقفنا في الأسطر القريبة، كلمات هاديات مضيئات من هدي نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، على مشهد من مشاهد القيامة، بالغ العظة والتأثير، يتعلق بعظم أمر الأمانة والرحم وأداء حق الله فيهما: وذلك فيما رأينا من رواية الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه والتي جاء فيها «... وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً» الحديث. وإنما تقومان هذا المقام لتطالباً كل من يريد الجواز على الصراط، بحقهما.

وفي متابعة لدلالة هذا الهدى النبوي الكريم، في الكشف عما يشهده العباد يوم القيامة في هذا الشأن، نقع على ما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله من قول ولده عبدالله: حدثني أبي قال: حدثنا بهز وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة قال: أنبأنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الرحم يوم القيامة لها حُجْنَةٌ كَحُجْنَةِ الْمِغْزَلِ تتكلم بلسان طلق ذلق فتصل من وصلها وتقطع من قطعها».

حُجْنَةُ الْمِغْزَلِ: الصُّنَّارَةُ المنعقدة في رأسه. والمِغْزَلُ - مثلثة الميم - ما يغزل به. جاء في لسان العرب لابن منظور (وفي الحديث توضع الرحم يوم القيامة لها حُجْنَةٌ كَحُجْنَةِ الْمِغْزَلِ أي صنارته المعوجة في رأسه التي يعلق بها الخيط يفتل للغزل، وكل متقف أحجن). وقوله: «تتكلم بلسان طلق ذلق». يقال: رجل طلق اللسان أي ما ضي القول سريع النطق وذُلُقْ وذُلُقْ وذُلُقْ أي: حديد بليغ.

أرأيت إلى هذا المشهد المثقل ببلغ التأثير وعظيم التذكير، كيف يحمل إلى الأمة هذا القدر من الوعد والوعيد!! فالله سبحانه وتعالى - وهو القادر القاهر -

يعطي الرحم يوم يقوم الأشهاد ، تلك القدرة الفائقة التي تمكنها من أن تصل من وصلها ، وتقطع من تقطعها . والعاقِل من دُكِّر فتدكَّر ، واستقبل الموعدة بقلب خاشع خاضع فاتعظ ... ويانعم ما يفعل المؤمن حين يتخذ من مشاهد القيامة الناطقة بأجلى بيان وأظهره - على ساحة البشارة والندارة ، والوعد والوعيد - حافزاً يوقظ من الغفلة ، ويشد الأزر على طريق الاستقامة على المنهج الأقوم ، وفي ذلك ما فيه من السعادة في الدنيا ، والنجاة - برحمة الله وغفرانه - يوم الدين .

وفي حديث موصول بمشهد الأمانة والرحم - وهما قائمتان على جنبتي الصراط والناس يمرون كل حسب مرتبته وعمله في دار العمل - تجدر الإشارة إلى ما حذر وأنذر رسول الله ﷺ من تضييع الأمانة ، معلناً أن ذلك من علامات الساعة ، كما أنه ظاهرة سوء تشي بالخراب في الدنيا ، وشرّ المآب في العقبى يوم الحساب . أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » وفي رواية « إذا وسَّد » وتكون تعديته بكلمة « إلى » بدل اللام ليدل على تضمين معنى الإسناد .

قال ابن بطال : معنى أسند الأمر إلى غير أهله : أن الأئمة قد اتتمنهم الله على عباده ، وفرض عليهم النصيحة لهم ، فينبغي تولية أهل الدين ، فإذا قلّدوا غير أهل الدين ، فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها .

وأشد من هذا وأنكى : ما يتهيأ إليه أهل الضلالة الطاغون ؛ من معاقبتهم برفع الأمانة من قلوبهم - والعياذ بالله - . وإذا كان الأمر كذلك : فلا تسل عما ينتظرهم في عرصات القيامة من الخزي والمآب المهين ﴿ إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً ﴾ . وما أشد ما يلقون في هذا المآب من النكال والجحيم والطعام ذي الغصة والعذاب الأليم ﴿ والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ﴾ .

قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن كثير قال : أخبرنا سفيان قال : حدثنا

الأعمش عن زيد بن وهب قال : حدثنا حذيفة قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر . حدثنا « أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال . ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها ؛ قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكْت . ثم ينام النومة فتقبض ، فيبقى أثرها مثل المَجْل ، كجمر دحرجته على رجلك ففِط ، فتراه متبرأ وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان . ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده عليّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعيه ، فأما اليوم : فما كنت أبايح إلا فلاناً وفلاناً » .

قال الفربري : « قال أبو جعفر : حدثت أبا عبد الله فقال : سمعت أبا أحمد ابن عاصم يقول : سمعت أبا عبيد يقول : قال الأصمعي وأبو عمر وغيرهما : « جذر قلوب الرجال » . الجذر : الأصل من كل شيء . والوكْت : أثر الشيء اليسير منه . والمَجْل : أثر العمل في الكف إذا غُلِظ » .

وله في رواية أخرى : « فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل » وقد أورده في كتاب الاعتصام والسنة « باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ » من الجامع الصحيح مختصراً من رواية زيد بن وهب ، ولفظه سمعت حذيفة يقول : حدثنا رسول الله ﷺ « أن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال ، ونزل القرآن فقرأوا القرآن وعلموا من السنة » .

وإلى أن نلتقي على خطوة أخرى ، مع نصوص مباركات من هدي خير البرية محمد عليه الصلاة والسلام في هذا الباب ، أود الإشارة إلى ما بشر به النبي ﷺ بأن من اجتمعت له أربع خصال - في مقدمتها حفظ الأمانة - أنه لا عليه ما فاته من الدنيا .

ويفهم من ذلك: أن له - بفضل الله ورحمته - حسن العاقبة في الآخرة . من أجل هذا : لا عليه ما فاته من الدنيا ؛ فالآخرة خير وأبقى . أخرج الإمام أحمد في المسند بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « أربع إذا كن فيك : فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليفة ، وعفة في طُعمة » .

جاء في النهاية لابن الأثير : والطعمة بالكسر والضم: وجه المكسب ، يقال: هو طيب الطعمة ، وهي بالكسر خاصة : حالة الأكل .

جعلنا الله ممن يتفعمون بالهدى حين يعلمون . وإذا ذكروا بها يحصل يوم القيامة يذكرون . وله - جل ثناؤه - الحمد في الأولى والآخرة . وصلاة الله وأزكى تسليياته على إمام الهداة نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين .

رفع الأمانة... وسوء العقبي

حديث رفع الأمانة من بعض القلوب الذي أخرجه البخاري وغيره عن حذيفة رضي الله عنه ، يصلنا على صعيد المراد بالأمانة والمقصود منها ، بقول الله تعالى في شأنها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ والمحققون - كما سيأتي - على أن الأمانة المذكورة في الحديث ، هي الأمانة المذكورة في هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب ، وهي عين الإيثار ؛ فإذا استمكنت هذه الأمانة من قلب العبد وخالطته بشاقتها ، قام حينئذ بأداء التكليف المطلوبة على وجهها ، واغتنم ما يرد عليه منها ، وجدَّ في إقامتها . وإن شئت قلت : المراد بها التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده ، والعهد الذي أخذه عليهم ، على الوجه الذي أراده سبحانه .

وعلى هذا : فالنسب متصل بين رفع الأمانة من القلب في الدنيا ، وبين سوء العقبي في الآخرة .

ولكم يحسن المرء صنعاً ، إذا صدق الوجهة مع الله ، ولجأ إلى المعتصم القوي - وهو تقوى الله في السر والعلن - الذي يعصمه - بإذن الله - من أن يكون في زمرة الهالكين الذين جاء ذكرهم في قوله ﷺ محذراً منبهاً : « حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله ، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .. » .

ثم إن الحديث المومى إليه عند البخاري : رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد في المسند وغيرهم ؛ فتحت باب « رفع الأمانة والإيثار من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب » أخرج الإمام مسلم بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ؛ حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من

السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة ؛ قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل المجمل كجمر دحرجته على رجلك فنفيظ ، فتراه منتبراً وليس فيه شيء - ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، حتى يقال للرجل : ما أجلداه ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان . . . » الحديث .

الوكت - كما مر - أثر الشيء ، السير منه ، والمجمل بفتح الميم وإسكان الجيم وفتحها لغتان حكاهما بعض العلماء ، والمشهور الإسكان . يقال منه : مجلت يده تمجل مجلاً ، ومجلت تمجل مجلاً وأجملها غيرها . قال أهل اللغة والغريب : المجمل هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل . وأما قوله : « كجمر دحرجته على رجلك فنفيظ فتراه منتبراً وليس فيه شيء » فالجمر والدحرجة معروفان ونفيظ : مجل - كما سبق - ويقال : تنفط بمعناه ، ومنتبراً : مرتفعاً ، وأصل هذه اللفظة الارتفاع ، ومنه المنبر لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه .

وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة رسول الله ، لقد كان رحيماً بما بشر وأنذر ونبّه على مكامن الخطر التي ينبغي أن تُجتنب ، وكان أبلغ أهل الأرض بما أعطي من هذه القدرة الفاذة على تقريب تلك الأمور المعنوية - على عمقها ودقتها - بتلك الصور المادية الملموسة المؤثرة . وما من ريب في أن أهل الفلاح الذين أوتوا حظاً من الحرص على أخراهم ، وأن يكونوا يوم القيامة من الناجين من عذاب الله ، الفائزين بجنته ورضوانه ، يضعون في حسابهم تلك الحقيقة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ ونبه المسلمين عليها ، ويعملون على تقويم سلوكهم في التعامل مع التكليف الشرعية والعمل بطاعة الله ، تقويماً يحجزهم عن المخالفة عن أمر الله ورسوله ، ويباعد بينهم وبين أن يكونوا ملهاة في أيدي دعاة جهنم ، الذين يقدمون للناس الزخرف المبطن بالكفر والضلال ، وأن يحذروا ما حذر رسول الله من حالهم ونبّه على مخاطر الوقوع في أحابيلهم .

نقل الإمام النووي عن صاحب « التحرير » شرح صحيح مسلم في معنى الحديث: « أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً ، فإذا زال أول جزء منها زال نورها ، وخلفتها ظلمة كالوكت ، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله ، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل ، وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة ، وهذه الظلمة فوق التي قبلها . ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه ، بحجر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ، ثم يزول الحجر ويبقى التَّنَفُّطُ . وأخذه - ﷺ - الحصاة ودحرجته إياها : أراد به زيادة البيان وإيضاح المذكور والله أعلم . »

ألا إنه نذير من النذر المرعبة المرهبة ، وهو جدير أن يقض المضاجع ، ويحرك القلوب ؛ وكلُّ هذا ، لأن المخوف عليه أن يرفع هو الأمانة التي هي الإيمان ، أو التكليف الذي كلف الله به عباده ، وعهده المأخوذ عليهم . قال الإمام النووي رحمه الله : « وأما الأمانة : فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله به تعالى عباده والعهد الذي أخذه عليهم - قال الإمام أبو الحسن الواحدي رحمه الله في قول الله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ... ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد . وقال الحسن : هي الدين والدين كله أمانة . وقال أبو العالية : الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه . وقال مقاتل : الأمانة الطاعة . قال الواحدي : فالأمانة في قول جميعهم - يعني المفسرين - : الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب . » . وجميل ما ذهب إليه صاحب التحرير رحمه الله فبعد أن بين - كما أسلفنا - أن الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة ... ﴾ قال : « وهي عين الإيمان ؛ فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد ، قام حينئذ بأداء التكليف ، واغتنم ما يرد عليه منها وجدَّ في إقامتها - والله اعلم - . »

اللهم ثبتنا بقولك الثابت ولا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

يا له مشهـداً.. قرب كـافل الـيـتـيم من رسول الله في الجنة

تبارك اسم ربنا ذي الجلال والإكرام ، ما أعظم ما شرع لعباده من الخير ، وما أكرم ما أفاض به على الأمة المحمدية من بالغ الفضل والإحسان ، حين بشر المتقين بعطاء غير مجذوذ في دار البقاء ، ومن هذا العطاء : جنات تجري من تحتها الأنهار ، لا ينفد نعيمها ، ولا ينقطع أمد الإحسان فيها .

وليس عجيباً - وهو سبحانه المنان المتفضل - أن يكون في تلكم الجنات ، جنات الخلد : ما لا يغادر قدره من العطاء الرباني الذي لا يُحَدُّ ، ومن وراء ذلك رضوان من الله أكبر .

وما يزيد إيمان المؤمن بحكمته وواسع فضله ، جل شأنه : أنه - كما وعد الصالحين من عباده ، المنية إليه قلوبهم ، المزدانة بتقواه جوارحهم ، بالخلود في دار النعيم والتجلي عليهم برضوان أكبر لا يسخط بعده أبداً - يسر لهم سبل الخير في الدنيا ، وفتح لهم أبواب السعادة الآخروية على مصاريعها ، هنا وهناك ؛ وبقي أن تنقاد القلوب للطاعة ، وأن يعزم المرء عزمه متكلاً على الله في التشمير عن ساعد الجد ، وسلوك طريق الجنة التي حفت بالمكاره ، وأن يكون على ذكر من ضرورة التأسي بسيد الأنبياء وإمام الهداة محمد عليه الصلاة والسلام . وهناك يتخذ من تلك الأبواب المشرعة ، على طرائق العمل الصالح والجهاد في سبيل الله والالتزام بكليات الدين وجزئياته ، مناسبات خيرة للانطلاق الخيري الذي يحوّل الانقياد المهتدي والتأسي المستنير ، إلى مغامر أخروية غير ذات حدود ؛ ناهيك عما يتحقق من طمأنينة في الدنيا ، ونفع للعامل وللآخرين .

ويا لها من تجارة رابحة ، لا تقتصر على جانب من الحياة دون جانب ؛ ولكنها

لكل جوانب الحياة ومختلف ميادينها ؛ لأن الإسلام منهج رباني متكامل للحياة .
وما موبنا من النماذج المضيئة لهذه الحقيقة فيما سبق ، يدعو إلى الاستزادة من هذا
الخير العميم .

هذا مشهد من مشاهد القيامة ، ناطق بقرب كافل اليتيم - المحسن معاملته
وتربيته وتعليمه وأدبه من رسول الله ﷺ في الجنة ، ذلك بأن النفع الذي يثمره هذا
السلوك لا يقتصر - والله أعلم - على اليتيم نفسه ، ولكن يتعداه إلى المجتمع . على
أن عظمة الإحسان إلى اليتيم تذكر تلقائياً بقول الحكيم الخبير في سورة الضحى
خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ قال الإمام البخاري :
حدثنا عمرو بن زرارة قال : أخبرنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل - هو
سهل بن سعد - رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة
هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً » وجاء اللفظ في رواية أخرى له
« وقال بإصبعيه السبابة والوسطى » ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وقال : هذا
حديث حسن صحيح ومالك في الموطأ وأحمد في المسند .

قال ابن الأثير في « النهاية » : الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له ، وقد
أوضح الحافظ ابن حجر رحمه الله ، أن في هذا الحديث إشارة إلى أن بين درجة
النبي ﷺ وكافل اليتيم ، قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى ؛ وهو نظير
الحديث الآخر « بعثت أنا والساعة كهاتين » الحديث . ويكفي عنده في إثبات
قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى .

وفي تعليل لهذا الفضل الإلهي الذي ينبئ عنه هذا المشهد المشرق ، نقل
الحافظ عن شيخه العراقي في شرحه للترمذي قوله : (لعل الحكمة في كون كافل
اليتيم يشبه في دخول الجنة ، أو شبهت منزلته في الجنة ، بالقرب من النبي ﷺ أو
منزلة النبي ؛ لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم ، فيكون
كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً . وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه ،
بل ولا دنياه ، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه ؛ فظهرت مناسبة ذلك) .

على أن إشعار اليتيم بإنسانيته - على الوجه المطلوب - والتسامي به إلى المنزلة التي يدرك معها أنه طاقة نافعة في المجتمع ، لم ينزل به اليُثم عن إنسانيته ولا عنها: أمر في غاية الأهمية - كما هو ظاهر - .

ولقد نقع في بعض روايات الحديث على مزيد من البيان ؛ روى مسلم بسنده عن مالك عن ثور ان زيد الدبلي قال : سمعت أبا الغيث يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى » وإذا كان كافل اليتيم هو القائم - كما سبق - بأمره ؛ من نفقة وكسوة ، وإحسان تربيته وتأديبه ، وتعليمه : فإن هذه الفضيلة - وهي القرب من النبي ﷺ في الجنة - تحصل - كما يقول الإمام النووي - لمن كفله من مال نفسه ، أو من مال اليتيم بولاية شرعية .

وأما قوله : « له أو لغيره » فالذي له : أن يكون قريباً له ؛ كجده وأمه وجدته وأخيه واخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه ، والذي لغيره : أن يكون أجنبياً . وطوبى لكافل اليتيم المستقيم على طاعة الله المحسن القيام بهذه الكفالة على الوجه المشروع ، بما يظفر به يوم القيامة من دخول الجنة ، والقرب فيها من سيد العالمين عليه الصلاة والسلام . قال ابن بطال رحمه الله : (حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة) .

ومن الجدير بالذكر أن الإطلاق الذي رأيناه في الروايات السابقة ، نجده مقيداً بتقوى الله عند أحمد في المسند ومالك في الموطأ ، وإن كان هذا القيد من المعهود الذهني .

فتقوى الله في أي عمل من الأعمال التي يقوم بها المسلم - بوصفه مسلماً - ركن أساسي من أركان القبول ، والتقوى هنا تشمل صحة العمل من الناحية الشرعية التي بينها رسولنا عليه الصلاة والسلام ، كما تشمل الإخلاص بأن يكون العمل لله تبارك وتعالى ابتغاء مرضاته . قال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني أبي

قال : حدثني إسحاق قال : أنبأنا مالك عن ثور بن زيد الديلي قال : سمعت أبا الغيث يحدث عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتقى الله ، وأشار مالك بالسبابة والوسطى » . ولمالك في الموطأ عن صفوان بن سليم ؛ أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم له ، أو لغيره ، في الجنة كهاتين إذا اتقى » وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام .

وفي خاتمة المطاف : ما أحسبني بحاجة إلى مزيد من التذكير بالقدر العظيم لهذا المشهد الذي يبصره الناس يوم الدين ، وماله من دلالة بالغة في انتظام الحياة الاجتماعية ، وتحقيق إنسانية الإنسان ، وتنمية طاقاته والإفادة منها ، وفق المنهج الرباني الذي هدى رسول الله ﷺ الأمة إليه ، وربى أصحابه على الالتزام به ؛ قولاً وعملاً وسلوكاً . وما أحوج أمتنا اليوم إلى هذا الالتزام ، بإخلاص نية وصدق عزيمة ، ورغبة فيما رغب به الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام من صنوف الخير التي يبدو العمل بها بمثابة طريق مسلوكة إلى حيث القرب من رسول الله ﷺ يوم القيامة في الخالدين .

كافلة أيتامها.. ومشهد الاعتبار هناه!

كانت رحلة مباركة ، تلك التي أسعدتنا - في صفحات خلت - بصحبة ما روى البخاري ومسلم وأحمد ومالك وغيرهم عن رسول الله ﷺ في شأن ما يجزي الله كافلاً اليتيم - إذا اتقى ربه فيه فأكرمه وعلمه وأحسن أدبه وتربيته - وذلك بأن يدخله الجنة ، ويكونَ فيها رفيقاً لسيد العالمين محمد عليه الصلاة والسلام .

وهذا المشهد المشرق بجزيل العطاء الرباني - كما أخبر عنه الصادق المصدوق - بالغ الأهمية في الدلالة على ما لكفالة اليتيم - حين يرعاها من وكلت إليه حق رعايتها - من عظيم الأثر في حياة الإنسان اليتيم نفسه ، وفي المجتمع الذي يأبى عليه إسلامه أن يكون اليُتمَّ عامل نزول بالفرد عن مستواه الإنساني اللائق ، بل يكون طاقة فاعلة في بناء الصرح الإسلامي العتيد . وأهمية هذا المشهد الناطق بعظم ما قدم كافل اليتيم المتقي لله في الدنيا ، يدعو إلى الاستزادة من النظر في هدي النبي صلوات الله وسلامه عليه في هذا المضمار الذي يتجاوز الفرد إلى الجماعة ، ويتعدى اليتيم إلى غيره بالتربية والتعليم والإحسان ، كما يصل عمل العاجلة بجزائه في الآجلة دار القرار .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كفل له ذا قرابة أو لا قرابة له ، فأنا وهو في الجنة كهاتين ، ضم أصبعه ، ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة ، وكان له كأجر المجاهد في سبيل الله صائماً قائماً » رواه البزار .

وكم هو رائع ومثير لعزائم الإيمان : ذلك المشهد الذي يطالعنا به حديث عند أبي داود - على كلام لبعض العلماء في أحد رواته - ؛ فقد أخرج بسنده من رواية يزيد بن زريع عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ « أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة » - وأوماً يزيد بالوسطى

والسبابة - « امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال ، حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا » وفي النهاية لابن الأثير « أنا وسفعاء الخدين الحانية على ولدها : يوم القيامة كهاتين ، وضم أصبعيه » .

السفعة نوع من السواد ليس بالكثير ، وقيل : هو سواد مع لون آخر . أراد أنها تبدلت وتركت الزينة والترفة حتى شحِبَ لونها واسودَّ ، إقامةً على ولدها بعد زوجها . قال الخطابي في كتابه « معالم السنن » (السفعاء : هي التي تغير لونها إلى الكمودة والسواد من طول الأيْمة وترك التزيّن ، وكأنه مأخوذ من سفع النار ، وهو أن يصيب لفحها شيئاً فيسودّ مكانه ، يريد بذلك أن هذه المرأة قد حبست نفسها على أولادها ، ولم تتزوج فتحْتَاج إلى أن تتزَيَّن وتُصنَّع نفسها لزوجها) .

وقد أورد الحافظ المنذري هذا الحديث في كتابه « الترغيب والترهيب » وعزاه إلى أبي داود ، وقال هناك : السفعاء : بفتح السين المهملة وسكون الفاء بعدهما عين مهملة ممدوداً : هي التي تغير لونها إلى الكمود والسواد من طول الأيْمة ، يريد بذلك أنها حبست نفسها على أولادها ولم تتزوج ، فتحْتَاج إلى الزينة والتصنع للزوج . وآمت المرأة بمد الهمزة وتخفيف الميم : إذا صارت أَيْماً ، وهي من لا زوج لها ، بكرةً كانت أو ثيباً ، تزوجت أو لم تتزوج بعد . والمراد هنا : من مات زوجها وتركها أَيْماً لم تتزوج .

سبحان الله ما أدل هذا المشهد في ذلك اليوم الذي تشخص فيه القلوب والأبصار ، على كريم فضل الله تبارك وتعالى وجميل عطائه عباده الصالحين ، وما أروعه بياناً نبوياً لما جاء في الكتاب العزيز ؛ من أن المثوبة في الآخرة ، ليست مقصورة على الرجل دون المرأة ، ولكنها لمن يعمل الصالحات - وهو مؤمن - ذكراً كان أو أنثى ؛ ذلكم قول الله جل ثناؤه في سورة آل عمران : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ... ﴾ ونقرأ في سورة النساء قوله تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴿ وتسدنا سورة النحل بقوله تباركت أسماؤه : ﴿ من يعمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ أما في سورة غافر (المؤمن) : فنقرأ قول الحكيم الخبير : ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ .

ويزيد هذه الحقيقة تأكيداً ما كشف عنه النبي ﷺ ؛ من ذلك المشهد الذي يبدو أكثر تبياناً في التعبير عما ينتظر تلك المرأة المؤمنة التي تركت زينة الدنيا وقعدت على أيتام لها - بعد أن تأيمت - ترعاهم حق الرعاية وتشعرهم بكرامتهم الإنسانية وتحسن - على ضعفها - تربيتهم وإعدادهم ، ليكونوا لبنات صالحات في المجتمع المسلم ؛ الأمر الذي يضمن لهم - بإذن الله ورحمته - سعادة الدنيا والآخرة ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنا أرى امرأة تبادرني فأقول لها : مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لي » قال الحافظ المنذري : رواه أبو يعلى وإسناده حسن إن شاء الله .

وهذا الحافظ الأخروي العظيم للمرأة المسلمة الموفقة في طاعة الله ، لا يعفي المجتمع - بدءاً من الخلية الأولى فيه وهي الأسرة - من مد يد العون الكريم لهذه المرأة وتذليل ما يعترض عملها - في رعاية يتاماها - من صعاب ، بل هو واجب حتم ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وغير خاف أن أبواب البر والتقوى مفتحة لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها - وهو مؤمن - وما أكثر شعب الإيمان التي ترتفع بالعاملين بها المخلصين لله فيها - ذكوراً كانوا أو إناثاً - إلى حيث الفضل الإلهي بالنعيم الخالد يوم القيامة والمستقر الكريم ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا قرآن بن تمام أبو تمام الأسدي قال : حدثنا محمد بن أبي حميد عن المطلب بن عبد الله المخزومي قال : دخلتُ على أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ . فقالت : يا بني ألا أحدثك بما

سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال: قلت: بلى يا أمه : قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواقي قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما الله من فضله عز وجل أو يكفيهما ، كانتا له سترًا من النار » رواه الطبراني .

وما أشد احتياج المكلف ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾ إلى أن يجد فيما قدم من الأعمال في الدنيا ، عملاً يساعده - بفضل الله - عن النار ويصله بجنة الخلد ؛ إن ذلك مطمح كل مؤمن يخاف الله واليوم الآخر .

وأخرج الترمذي يسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «دخلت امرأة معها بنتان لها فسألت ، فلم تجد عندي شيئاً غير تمر ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ فأخبرته ، فقال النبي ﷺ : من ابتلي بشيء من هذه البنات كنَّ له سترًا من النار » قال أبو عيسى : حديث صحيح .

فمن أراد أن تغمره أنوار تلك المشاهد العظيمة يوم القيامة ، فليفعل ما رغب به الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام وهناك يصدق الخبرُ الخُبْرُ والله يتولى عباده الصالحين .

سلوكوا طريق الجنة.. شهداء مقربون..

علماء عاملون.. توابون متطهرون

ما أعظم ما يتميز به العلماء العاملون ، من إخلاص لله في علمهم وتحصيلهم، وخوفٍ على أنفسهم من الرياء وحب المنصب والظهور ، وحرصهم - بعد هذا كله - على أن تسلم لهم آخرتهم فيكونوا - بحق - ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .

وإذا حصلت خشية الله بالغيب ، فيا نعم ما تكون عليه عاقبة الأمر ؛ من أمنٍ يوم الفرع الأكبر ، وفوز بالجنة دار الخلود ، انتظاماً في سلك من تزدان بهم مشاهد الفضل الإلهي يوم القيامة ، والعطاء بغير حساب .

أورد الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه «سير أعلام النبلاء» عند الكلام على محمد بن ربح العالم الثقة الثبت المتوفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين حديثاً صحيحاً من مروياته ، وهو قوله ﷺ : « إن الدين النصيحة قالوا : لمن يارسول الله قال : لله ولكتابه ولأئمة المسلمين - أو المؤمنين - وعامتهم » ثم قال الذهبي : هذا حديث صحيح في « صحيح مسلم » . وفي ضوء الحرص على العمل بحديث النبي ﷺ والحرص على أن يتخذ المؤمن من الهدى النبوي طريقاً إلى النجاة يوم المعاد: قال صاحب «سير أعلام النبلاء» أجزل الله مثوبته: «فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله ﷺ : « الدين النصيحة » فمن لم ينصح لله ولأئمة وللعامة ، كان ناقص الدين . وأنت لو دعيت : ياناقص الدين ، لغضبت ، فقل لي : متى نصحت لهؤلاء ؟ كلا والله ، بل ليتك تسكت ، ولا تنطق ، أولاً تحسن لإمامك الباطل ؟ وتجرت على الظلم وتغشيه ؟ فمن أجل ذلك سقطت من عينه ، ومن أعين المؤمنين . فبالله قل لي : متى يفلح من كان يسره ما يضره ؟ ومتى يفلح من لا

يراقب مولاه ؟ ومتى يفلح من دنا رحيله ، وانقرض جيلُه ، وساء فعله وقيله ؟ فما شاء الله كان ، وما نرجو صلاح أهل الزمان ، لكن لا ندع الدعاء ، لعل الله أن يلطف بنا ويصلحنا . « والحق أن من أمانة النصيحة عند أهل العلم أن ينصحوا أئمتهم ، ومن النصيحة لعامة المسلمين : هذا الذي ذكّر به الحافظ الذهبي رحمه الله .

وأكرم بالعمل بهدى النبي ﷺ ، مدخلاً كريماً إلى حيث الطريق المضيئة إلى دار المقامة ، عند من لا رب غيره ، ولا خير إلا خيره سبحانه وتعالى .

ومن هؤلاء الذين رزقوا بفضل الله أن يكونوا من سالكي هذه الطريق ، ففازوا بخيري الدنيا والآخرة : أولئك الذين صدقوا في المواطن ، وصبروا على بذل المال والنفس في سبيل الله . وكلما تأمل المتأمل ما تزدان به مشاهدهم يوم القيامة - من النور الغامر ، والفضل المتجدد - ازداد إيماناً بصدق ما كانوا عليه ، وسلامة النهج الذي وفقوا لسلوكه ، حين استبدلوا الآجلة بالعاجلة ؛ مجاهدين مخلصين . قال الإمام أحمد في المسند : حدثنا الحكم بن نافع قال : حدثنا إسماعيل ابن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن نعيم بن همار « أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الشهداء أفضل ؟ قال : الذين إن يلقوا في الصف ، لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون في الغرف العلى من الجنة ، ويضحك إليهم ربهم ، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه » ورواه أبو يعلى . قال الحافظ المنذري : ورواها ثقات .

إنه لمشهد عظيم يفيض بالبشرى لأولئك الرجال الذين يصدقون ما عاهدوا الله عليه . وإذا لم يغبط هؤلاء على هذا المقام في الجنة : فمن ذا الذي يغبط من أمة خاتم النبيين ؟ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة الذين يلتقون في الصف الأول ، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبّطون في الغرف من الجنة ، يضحك إليهم ربك ، وإذا ضحك إلى قوم فلا حساب عليهم » . رواه الطبراني بإسناد حسن .

معنى يتلبطون هنا : يضطجعون أو يتمرغون . جاء في النهاية (فيه أنه سئل عن الشبهاء فقال : « أولئك يتلبطون في الغرف العلى » أي يتمرغون . ومنه حديث ما عز « لا تسبه فإنه الآن يتلبط في الجنة ») والمعنى بهذا الحديث : ما عز بن مالك الأسلمي الذي أتى بما يوجب حدَّ الرجم واعترف بذلك نتيجة يقظة إيمانية، جعلته يسرع إلى رسول الله ﷺ يقول : أريد أن تطهرني ، وكانت له - بتوبته النصوح الصادقة ، وأوبته الخاشعة إلى الله ، وندمه العميق على ما فعل - هذه المكربة المشار إليها ، وقد ثبت ذكره في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ، ويزيد ابن خالد ، وآخرين ؛ فقد جاء ذكره في حديث أبي بكر الصديق وأبي ذر وجابر ابن سمرة وغيرهم ؛ سماه بعضهم وأبرزه بعضهم . وفي بعض طرقه - كما يقول الحافظ رحمه الله في « الإصابة » - أن النبي ﷺ قال : « لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم » . وفي صحيح أبي عوانة وابن حبان وغيرهما من طريق أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ لما رجم ما عز بن مالك قال : لقد رأيته يتحصص في أنهار الجنة » . الحصص : تحريك الشيء في الشيء حتى يستمكن ويستقر فيه .

وجاء في حديث طويل أخرجه أبوداود في « السنن » من رواية أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ سمع رجلين يغلطان القول في شأن ما عز رضي الله عنه ؛ لما أنه قد ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجمَ رَجَمَ كذا... إلى آخر ما قالوا ، ثم سار ﷺ حتى مر بجيفة حمار شائل برجله ، فقال : أين فلان وفلان؟ فقالا : نحن ذان يارسول الله . قال: انزلا فكلتا من جيفة هذا الحمار ، فقالا : يا نبي الله ، من يأكل من هذا ؟ قال : فما نلتما من عرض أخيكما أنفأ أشد من أكل منه . والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها » . وفي رواية : « ينقمس » .

ينقمس أي ينغمس ويغوص فيها .

لله ما أشد فرح ربنا الكريم المنان بتوبة عبده المؤمن ؛ وما هذا المشهد الذي أخبر عنه الصادق المصدوق: إلا توكيد لهذه الحقيقة الجديرة بأن تشد الجانحين إلى التوبة النصوح ، كيما يتوب الله عليهم، ويجعلهم من أهل جنته، ينغمسون في أنهارها ، ويتمتعون بنعيمها المقيم . وسبحان من يحب التوابين ويحب المتطهرين .

سلام عليكم بما صبرتم..

فنحنم عقبى الدار

كلما اتسعت دائرة المعرفة الحققة ، واستنار العقل والقلب بما تدل عليه مشاهد القيامة ، من عدل الله وفضله وواسع رحمته، ازداد اليقين بأن المؤمن ذو حظ عظيم عند الله تعالى ، وأن السعيد المصحوبة بحياته بالتوفيق ، هو الذي لا تلهيه الدنيا عن الآخرة ، ولا يدع أن يملأ الوقت بالنافع الذي يجمع - إلى إعمار الأرض بصدق نية - حرصاً لا يدانيه حرص ، على أن يكون في عداد من تغمرهم يوم المعاد مشاهد الفضل والعطاء الرباني ، فيسعى لذلك سعيه ؛ علماً وعملاً وجهاداً ، وهو مؤمن مصدق بما وعد الله عباده الصالحين ، وأوعد أولئك الضالين المكذبين.

وإني متابع في هذه العجالة ، نظرات في روايات أخر ، فيها من النصوص السابقة القريبة مشابه ، وثمة ما يوحى بضرورة أن لا يخلي المؤمن ساعات عمره ، من دقيق النظر في مدلول المشاهد الأخروية التي تكشف عنها تلك النصوص ، فإذا كان على الجادة : ازداد طاعة وتعرفاً إلى الله بعمل الصالحات ، وإن كان غير ذلك : تاب وأناب واستأنف طريق النجاة يوم الدين . عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم عن الأجود الأجود ، الله الأجود الأجود ، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه ، يبعث يوم القيامة أمةً وحدّه ، ورجل جاد بنفسه لله عز وجل حتى يقتل » رواه أبو يعلى والبيهقي .

وهذا مشهد زاخر بفضل الله وحكمته البالغة . ويدل - فيما يدل - على عظم ما صنع فقراء المهاجرين رضي الله عنهم ، فيما أبلوا من البلاء الحسن في سبيل

الله - كما سبق بعض ذلك - ، الأمر الذي يدل على أنه لابد لنصرة الإسلام من التضحية الخالدة والصبر . ومشاهدُ القيامة ناطقة بأن الله تعالى لا يضيع عنده مثقال ذرة ، وأنه ذو الفضل العظيم . فليهنأ العاملون المخلصون الصابرون .

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا أبو عبد الرحمن قال : حدثني سعيد بن أبي أيوب ، قال : حدثنا معروف بن سويد الجذامي عن أبي عُشَّانَةَ المَعافري عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين الذين تسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكارة ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : اتوهم فحيّوهم . فتقول الملائكة : نحن سكان سماءك وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم ؟ قال : إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، وتسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكارة ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء - قال : فتأتيهم الملائكة عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

ورواه أبو القاسم الطبراني بسنده عن أبي عُشَّانَةَ أنه سمع عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « أول ثلثة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكارة ، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كان لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تُقَضَّ حتى يموت وهي في صدره ، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب . وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن نسبحك الليل والنهار ، ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي ، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ » . قال

الشهداء في رأس كل حول ، فيقول لهم: ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ وكذا أبو بكر وعمر وعثمان) . قال الحافظ المنذري : ورواه الأصبهاني بإسناد حسن .

ولا يخفى أن فيما كشف عنه النبي ﷺ من تكريم فقراء المهاجرين ، بعقبى الدار : - نصره على أعداء الله في الدنيا وخلوياً في الجنة يوم القيامة ، جزاء صبرهم على الجهاد والإيذاء في سبيل الله ، ووفائهم بوعده الله واستعلائهم على معوقات الدنيا ، وكيف أن الملائكة تقول لهم حينذاك : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ وكذلك نطقه ﷺ بالآية الكريمة عند زيارة الشهداء - .. لا يخفى أن في ذلك لونا مشرقاً من ألوان البيان النبوي لما جاء في سورة « الرعد » من صفات أولي الألباب - الذين علموا الحق فآمنوا به واتبعوه - وما يحصل لهم يوم القيامة من حسن المآب وكريم العطاء الإلهي في جنة الخلد التي وعد المتقون . والآيات المشار إليها هي قول الله تبارك وتعالى بدءاً من الآية التاسعة عشرة من هذه السورة .

﴿ أفمن يعلم أنها أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدروون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ .

ولقد عمل التطلع إلى عقبى الدار هذه، عمله في نفوس الصحابة عليهم الرحمة والرضوان ، ومن تبعهم بإحسان ، فكان الشوق إلى لقاء الله والصبر في المواطن والمسارة إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت

للذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

وإني مذكّر بما أوردت من قبل من رواية الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء رضي الله عنها - وهي أم حارثة بن سراقة « أتت النبي ﷺ، فقالت : يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه بالبكاء ، فقال : يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

ألا إنها عقبى الدار التي ينشدها أولو الألباب الذين أضاء نفوسهم الانتفاع بهدي الكتاب والسنة في شأن ما يؤول إليه أمر العباد يوم التناد ﴿ والله عاقبة الأمور ﴾ .

الحين السلسبيل لأهل الصدق.. وللقوم البُھتِ النار وبئس القرار

مما يباعد المسلم عن النفلة ، ويجعله من أهل القرب الذين يخشون ربهم بالغيب ... صلة التدبر القلبية الخاشعة بكتاب الله العزيز الحميد ، وبيانه المبارك من حديث النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن زكت نفسه واستشرف أن يكون من أبناء الآخرة ، حرص على ذلك شديد الحرص ، وصبر نفسه على ما يتطلبه هذا الأمر الجلل من نَصَبٍ وتكاليف ؛ إنه إن فعل ذلك - بتوفيق الله تبارك وتعالى - تفتحت له أبواب الخير ، وعوفي من الركون إلى دار الفناء ، وكانت حياته سبيلاً إلى خير عقبى في دار القرار . وهنالك يهنا بما يبصر من الفضل الكبير الذي يُنعم الله به على أولي النهى من عباده في جنة عدن خير مستقرٍّ وأحسنٍ مقيل . وكلما ازداد صدقاً وصبراً على طريق أهل الهمم في طاعة الله تعالى ، استنارت أمامه شعاب الوصول إلى ما دعت إليه نصوص الكتاب والسنة ، حين لم تترك شاردة ولا واردة في شأن اليوم الآخر ، وعاقبة كلٍّ من أهل الهدى وأهل الضلالة ﴿ يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار .. ﴾ إلا أتت عليها .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي أسماء الرحبي : أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاءه خبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يُصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي . فقال اليهودي : جئت أسالك . فقال رسول الله ﷺ : أينفعك شيء إن حدثتك ؟ فقال : أسمع بأذني . فنكت رسول الله ﷺ بعود معه ، فقال : سل ، فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تُبدّل الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون

الجسر . فقال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون – وفي رواية زيادة كبد الحوت – قال : فما غذاؤهم في إثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسيلاً . قال : صدقت وجاء في آخر الحديث قال اليهودي : لقد صدقت ، وإنك لنبي ثم انصرف . فقال رسول الله ﷺ : لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه ، ومالي علم بشيء منه ، حتى أتاني الله به .

أبو أسماء الرحبي : هو بفتح الراء والحاء واسمه عمرو بن مرثد الشامي الدمشقي ، قال أبو سليمان بن زيد : كان أبو أسماء الرحبي ، من رحبة دمشق قرية من قراها ، بينها وبين دمشق ميل ، رأيتها عامرة والله أعلم .

وفي الحديث ما يدل على مزيد اهتمام الرسول ﷺ ببيان ما يراد الجواب عنه ، فقد جاء على لسان ثوبان رضي الله عنه راوي الحديث – كما رأينا – « فنكت رسول الله ﷺ بعود معه » قال العلماء : نكت بفتح النون والكاف والتاء المثناة من فوق : ومعناه : يخط بالعود في الأرض ويؤثر به ، وهذا يفعله المفكر . وفي هذا دليل على جواز فعل هذا ، وأنه ليس مخرلاً بالمروءة والله أعلم .

وفي قوله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر » كشف اللثام عن هذا المشهد الذي يضم الخلائق يوم القيامة ؛ وياله من مشهد بالغ التأثير عميق الدلالة !! فالناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، في الظلمة دون الجسر . والجسرُ والجسرُ بفتح الجيم وكسرها : لغتان مشهورتان والمراد به هنا : الصراط . وأول الناس إجازة – أي جوازاً وعبوراً – هم فقراء المهاجرين . وقد أسعدتنا في صفحات قريبات بعض النصوص النبوية المباركة بذكر مجموعة من الصفات الخيرة التي أهلت أولئك البررة الصالحين – بجانب منقبة الهجرة لله ورسوله من مكة إلى المدينة – لنيل هذه المكربة الربانية في ساعة الحشر ، دون الصراط ؛ حيث يكتنف الناس في تلكم الساعات العصيبات من شدة الهول والحزن والفرع ما الله

به عليم .

والمراد بـ « زيادة كبد النون » زيادة كبد الحوت ، كما جاء مصرحاً بذلك في بعض روايات الحديث . وجاء في رواية أخرى لمسلم : « زائدة كبد النون » والزيادة والزائدة شيء واحد هو طرف الكبد وهو أطيبها .

وغير خافٍ أن في قوله ﷺ « من عين فيها تسمى سلسيلاً » لوناً من بيان التقرير والتأكيد لكونهم يشربون من عين في الجنة تسمى السلسيل ، وهو ما جاء الإخبار عنه في قوله تعالى في سورة « الدھر » : ﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عيناً فيها تسمى سلسيلاً ﴾ قال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة سيلها وجريانها ؛ فهي سلسيل أي حديدة الجرية . وقال قتادة : ﴿ عيناً فيها تسمى سلسيلاً ﴾ عينٌ سلسة مستقيدهٌ ماؤها . وحكى شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها ولينها في الحلق . وكان حسناً ما اختاره من أنها تعم ذلك كله ، فقال : « والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله : ﴿ تسمى سلسيلاً ﴾ صفة للعين ، وصفت بالسلامة في الحلق ، وفي حال الجري وانقيادها لأهل الجنة ، يصرفونها حيث شاؤوا ، كما قال مجاهد و قتادة . وإنما عني بقوله : « تسمى » توصف ، وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب لإجماع أهل التأويل على أن قوله : سلسيلاً صفة لا اسم » . وارتضى ذلك الحافظ ابن كثير فقال : « واختار هو - يعني الطبري - أنها تعم ذلك كله ، وهو كما قال » .

وقال عبدالله بن الإمام أحمد في المسند : حدثني أبي قال : حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه « أن عبدالله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدّمه المدينة ، فقال : يا رسول الله إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمهن إلا نبي . قال : سل . قال : ما أول أشراط الساعة ، وما أول ما يأكل منه أهل الجنة ، ومن أين يشبه الولد أباه أو أمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : أخبرني بهن جبريل عليه السلام آنفاً . قال : ذلك عدو اليهود من الملائكة !! قال : أما أول أشراط الساعة :

فنا تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب . وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة : زيادة كبد حوت . وأما شبه الولد أباه وأمه : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ، نزع إليه الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ، نزع إليها . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . وقال : يارسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك ، فأرسل إليهم فأسألهم عني ؛ أيُّ رجل ابن سلام فيكم؟ قال : فأرسل إليهم فقال : أيُّ رجل عبدالله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وعالمنا وابن عالمنا وأفقهنا وابن أفقهنا . قال : أرأيتم إن أسلم ، تسلمون ؟ قالوا : أعاذة الله من ذلك ، قال : فخرج ابن سلام ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالوا : شرُّنا وابن شرِّنا وجاهلُنَّا وابن جاهلِنَّا ؛ فقال ابن سلام : هذا الذي كنت أخوف منه .

قوم بُهت . بُهت : جمع بهوت من بناء المبالغة في البُهت ، مثل صبور وصُبُر ، ثم سَكَنَ تخفيفاً ، وهو مأخوذ من البهت وهو الكذب والافتراء ، أو هو الباطل الذي يُتَحَيَّرُ منه . قال ابن الأثير في « النهاية » : (ومنه حديث الغيبة « وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهت » أي كذبت وافترت عليه . ومنه حديث ابن سلام في ذكر اليهود « إنهم قوم بُهت ») وعلى هذا . فقول عبدالله بن سلام فيهم ، يعني أنهم أهل الباطل الذي يحير وهو البهتان العظيم . ويشاء الله أن لا يتأخر تصديق حكمه عليهم ؛ فكان منهم ما هو على النقيض مما قالوه في المجلس نفسه .

أليس من العدل الإلهي أن ينقلب هؤلاء يوم القيامة إلى شر مآب !! وأين مشهدهم وهم يساقون بكفرهم وبهتانهم إلى الجحيم من مشهد أولئك الذين تُزلف لهم جنة الخلد ، ويسقون فيها من عين تسمى سلسبيلاً .

رزقنا الله الاعتبار ، وأكرمنا بتوفيقه للانتفاع بما زخرت به نصوص الكتاب والسنة من حقائق عن أولئك القوم البُهت ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . و سبحان الله أين مشهد من يغمرهم الفضل الإلهي في الجنة من مشهد هؤلاء المغضوب عليهم وهم إلى جهنم يحشرون .

من مشاهد الإحسان..

يشفعه الله فيمن صنع معه المعروف..

ما يكون يوم الفصل - وما أدراك ما يوم الفصل - من مشاهد لها دلالاتها وتأثيرها وعظمتها ؛ إذ يجمع الله الأولين والآخرين ؛ حقائق خالطت وتخالط قلوب وعقول أولي الألباب ، حتى غدا ذلك عندهم ركيزة ، من أهم ركائز التصور ، والعمل ليوم المعاد ، وصارت تلك الحقائق منهم كأنها من المحسّ المرئي الذي لا يشوبه التباس .

وآية ذلك : أنهم باتوا يعرفون للوقت حرمة ، فملؤوه بصالح العمل وتقوى الله ، وأدركوا أن ما يجده المرء يوم القيامة ، إنها هو امتداد لما قدّم في الدنيا ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ؛ فاستمطروا بالنَّصَبِ في سبيل الله والكدح في طاعته ، والتذلّل الخاشع الخاضع بين يديه : رحمته سبحانه ، فكانوا بها من الناجين من أليم عذابه ، الفائزين بالخلود في جنته وثوابه . قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « إنكم في عمر الليل والنهار ، في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، فمن زرع خيراً ، فيوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً ، فيوشك أن يحصد ندامة . ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له » .

والواقع أن هذه الحقائق - ما كان منها منتسباً إلى المثوبة ، وما كان منتسباً إلى العقاب - كما جاءت الأخبار عنها في الكتاب والسنة - جديرة - والذي نواصي الخلائق بيده - بالكثير الكثير من الاهتمام ؛ وكيف لا يكون ذلك ، والموت يأتي بغتة ، والعبرة للمآل يوم الحسرة ، وما تكون عليه الحال بين يدي جبار السماوات والأرض رب العالمين!! وهذا ما أقض مضاجع الصادقين ، وجعل جنوبهم

تتجافى عن مواقع الدعة والراحة ، وأهلب مشاعر اللهفة والترقب عند أهل القرب
الموفقين ، هذا مع عظيم رجائهم بفضل الله ، ووافر رحمته وإحسانه .

وإذا ذكرنا لأهل التوفيق والسعادة ذلك : ذكرنا معه ، أن الله تبارك وتعالى ،
أنعم على عباده ، وأكرمهم بجزيل العطاء حين جعل من عبادته ، وتقواه ، والجهد
في سبيله ، واستقامة المرء على الأخلاق الفاضلة النابعة من الإيمان ، مسالك
مباركة تصل بصاحبها - إن صدق الوجهة وأخلص لله العمل - إلى حيث منازل
السالكين المخلصين المنبيين في جنات تجري من تحتها الأنهار - أَكُلُّهَا دائم
وظِلُّهَا ، وهم فيها خالدون .

ها نحن أولاء أمام لونين من ألوان فعل المعروف ، يشهد الناس يوم القيامة أن
كلًّا منهما ، كان سبباً لشفاعته من صُنِعَ معه المعروفُ بصاحبه . وإنه لمشهدٌ قمين
بأن يرتفع بالمسلم ، إلى جَوْ من النقاء والصفاء ، في إسداء الخير إلى إخوانه
والتعاون وإياهم على البر والتقوى . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « يخرج خلق من أهل النار ، فيمرُّ الرجل بالرجل من أهل الجنة ،
فيقول : يا فلان أما تعرفني ؟ فيقول : ومن أنت ؟ فيقول : أنا الذي استوهبتني
وَضُوءاً فوهبت لك ؛ فيشفع فيه . ويمرُّ الرجل فيقول : يا فلان أما تعرفني ؟
فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا فلان بعثني في حاجة كذا وكذا ، فقضيتها لك ؛
فيشفع له فيُشَفَّعُ فيه » قال الحافظ المنذري رواه ابن أبي الدنيا باختصار وابن
ماجة ... والأصهباني واللفظ له .

وفي بعض النصوص ما يدل على أن خلقاً من خلق الله الذين يتقربون إليه
بقضاء حوائج العباد في الدنيا ، يكرمهم - سبحانه وتعالى - بالأمن من عذابه يوم
القيامة . وما من ريب في أن تفضّل الله عليهم بهذا الأمن العظيم - والهلعُ أخذٌ
بالرقاب هنا وهناك - من شأنه ، أن يكون إعلاناً عن عِظَم الأمر الذي قدموه في
الدنيا ، وماله من ثقل في ميزان العبد ، عند من لا يضيع عنده مثقال ذرة

سبحانه . ذلكم ما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلقاً خلقهم لحوائج الناس ، يفرغ الناس إليهم في حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله » رواه الطبراني وأبو الشيخ وابن حبان ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب « اصطناع المعروف » عن الحسن مرسلاً . أي أن الحسن البصري رحمه الله رواه عن رسول الله ﷺ دون ذكر الصحابي الذي أخذه عنه .

وكم هو مُفرحٌ لقلب المؤمن ، ومثير فيه مشاعر اليقظة ، للعمل على ما فيه تنمية الأخوة الإيمانية الصادقة ، التي هي عنوان المجتمع المتماسك القوي في البناء الإسلامي .. كم هو مفرح لقلبه أن يشهد يوم الحساب ، السرور على وجه أخيه المسلم - وحال الناس هي الحال - لما أن هذا المسلم لقي أخاه في الدنيا بما يجب ليسرّه ، - والكل إن شاء الله - على طريق التقوى والاستقامة . روى الطبري بإسناد حسن وأبو الشيخ في كتاب « الثواب » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لقي أخاه المسلم بما يجب ليسرّه بذلك ، سرّه الله عز وجل يوم القيامة » وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرَضَ الله له ثواباً دون الجنة » .

أما الذين يجترحون السيئات ، ويدخلون المساء والخوف والترجيع على المسلمين ، ويعملون على إيذائهم في دينهم ودنياهم : فياويحهم يوم القيامة من أخذةٍ رابيةٍ من جبار السماوات والأرض الواحد القهار ، ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الأصفاد . سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾ .

ومهما يكن من أمر : فإن النصوص التي أوردتها والتي تكشف عن مشاهد الضياء يوم القيامة ، لأولئك الذين يتعاونون مع إخوانهم على ما فيه خير الفرد والجماعة ، ويقضون حوائجهم ، ويدخلون السرور عليهم ... هذه النصوص النبوية المباركة : ترتد إلى قواعد نورانية عامة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، بياناً للقرآن المجيد .

من ذلك ما جاء في حديث صحيح مشهور يعرفه القاضي والداني ، ولكن العاملين به ، يكادون يكونون قلة في هذا العصر الذي تداعت فيه الأمم على المسلمين من كل جانب ، مع الكوارث والمصائب النازلة فيهم .

ذلكم ما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدرسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

وصلاة الله وأزكى تسليماته على نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد بن عبد الله الذي جعل من عمل الخير وتعاون المؤمنين على ما فيه صلاحهم وصلاح مجتمعهم في ظل شريعة الإسلام .. طريقاً إلى النجاة يوم الهول ، والأمن يوم الخوف ، حيث الكرب العظام والمخاطر الجسام - وعلى آله وصحابه ومن اتبع هداه علماً وعملاً وسلوكاً أخروياً إلى يوم اللقاء .

الجنة في المثل النبوي.. والآخرة خير وأبقى

من الحقائق التي ينبغي للمؤمن اصطحابها ؛ قناعة ، وذوقاً إيمانياً - وهو يذكر ما تكون عليه العقبي في اليوم الموعود ، وما يكون من تحقيق الوعد لأهل الهداية ، والوعيد لأهل الضلال -!! هوان الدنيا على الله ، وأن النسبة بينها وبين الآخرة ، تكاد تكون معدومة ؛ فالآخرة خير وأبقى ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ ... وحق للعاقل أن يتساءل .. أين قصر مدة الدنيا ، وراحتها المختلطة بالعناء ، وصفائها المشوب بالكدر ، وفناء لذاتها مهما كانت الأسباب وكان السلطان ... أين ذلك كله ، من دوام الآخرة ؛ في عطاء رباني لا يُجَدُّ ، وُخلودٍ في جناتٍ نعيمها مقيم ، ولذاتها خالصة من شوائب الكدر والمنقصات .

ولقد كان من نصيح النبي ﷺ لأمته ، أن كشف عن هذه الحقيقة ، بياناً لكتاب الله عز وجل في شأنها ، كيما يكون المؤمن - وهو يعمر الأرض ، ويبني الحضارة ، ويفيد من تسخير الله ما سخر للإنسان - ممسكاً بعاتق الميزان ، محتكماً إلى شريعة الله وأخلاق الإسلام ؛ فتراه مبتغياً فيما آتاه الله الدار الآخرة ، غير ناسٍ نصيبه من الدنيا ، يعقل عن الله ورسوله ، أن العاجلة ينبغي أن تكون مطية الآجلة ، وأن الآخرة هي دار القرار .

ومما ورد في السنة المطهرة ، تجليةً للحقيقة المشار إليها : ما أخرج الإمام مسلم في صحيحه من رواية يحيى بن سعيد قال : حدثنا إسماعيل قال : حدثنا قيس قال : سمعت مستوراً أخابني فـهـر يقول : قال رسول الله ﷺ : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم ، فلينظر به يرجع » .

اليم : البحر . وهذا الحديث - وهو من جوامع كليمه عليه الصلاة والسلام -

تبدو فيه بلاغته صلوات الله وسلامه عليه ، بواحدة من أجلى صورها فالدنيا : ما تحملله الأصبع السبابة من البحر ، والآخرة : هي البحر نفسه . وانظر إلى قوله : ﷺ « فلينظر أحدكم بم يرجع » كم فيه من إثارة الاهتمام العقلي والنفسي بدقة وعمق !! فهذه الإصبع التي غمسها صاحبها في البحر ، لا يعلق بها كثير شيء من الماء ، وأين ما علق بها من الماء ، من ماء البحر الزخار نفسه ؟

وهذا البيان المتميز المشرق ، وضع رسول الله ﷺ المسلم على المفترق ، بين طريقي الآخرة والدنيا ؛ والسعيد الموفق من أحسن الاختيار . قال الإمام النووي : « ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة - في قصر مدتها وفناء لذاتها - ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها : إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع ، إلى باقي البحر » .

وروى الحديث الترمذي غير مصدّر بالقسم ولفظه : « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح - وأخرجه ابن ماجة بلفظ « ما مثل الدنيا في الآخرة ... » الحديث . وفي بعض الروايات عند الإمام أحمد : ما يؤكد أن المراد من الأصبع السبابة ؛ قال عبدالله : حدثني أبي قال : حدثنا ابن نمير قال : حدثنا إسماعيل ويزيد بن هارون قال أنبأنا إسماعيل عن قيس قال : سمعت المستورد أخابني فهو يقول : قال رسول الله ﷺ : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع - يعني التي تلي الإبهام ... » .

وكم يحسن المؤمن صنعاً : إذا هو اتخذ من هذه الحقيقة - حقيقة هوان الدنيا على الله ، وأنها دار مآلها إلى الهلاك - معياراً يوجه حركته وسلوكه في الحياة ، وبذلك يضع كلاً من دار العمل ودار الجزاء ، موضعها من تصوره وسلوكه ، مستشعراً - بجانب ما ورد في الكتاب العزيز في شأن ذلك - هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ - وهو سيد البلغاء - لقيمة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة ؛ والمؤمن

إذا أخذ نفسه بهذا النهج الميمون يطمئن - فضلاً من الله ورحمة - إلى حسن العاقبة يوم المعاد ، وأن يكون واحداً من أولئك الذين تشرق بنورهم مشاهد من مشاهد القيامة ، تنبئ عن صلاح ما كان عليه أصحابها في الدنيا ، وأنهم كانوا على الجادة فيما يأخذون وما يذرون .

ومما يزيد الأمر وضوحاً : صورة أخرى في حديث رسول الله ﷺ ، وهي صورة عملية معبرة أصدق تعبير عن المراد ، تدل - فيما تدل - على حرص النبي ﷺ على أن تأخذ الحقيقة التي حولها ندندن ، طريقها بدقة وعمق ، إلى القلوب والعقول ، كيما تؤتي أكلها في مسيرة الإسلام وأهلها ؛ الأمر الذي أثمر ما أثمر ، من الاستعلاء على الحطام العاجل ، في شتى الميادين ، والتطلع الصادق إلى ما عند الله ، يوم يعرض الخلق عليه جل شأنه ، فلا تخفى منهم خافية .

قال الإمام مسلم : حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب قال : حدثنا سليمان - يعني ابن بلال - عن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلًا من بعض العالية - والناس كَنَفَتْهُ - فمر بجدي أسكٍّ ميتٍ فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم . »

كَنَفَتْهُ : جانبه . وفي بعض النسخ « كنفته » أي جانبه . وأخرجه أحمد وأبوداود .

ومن الواضح : أن هذا البيان النبوي في بيان قيمة الدنيا من الآخرة ، وشديد هوانها على الله ، يذكر بالكثير من آي الكتاب العزيز التي منها قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ﴾ روى ابن حاتم بسنده عن حماد بن زيد عن هشام قال : قرأ الحسن - يعني البصري - ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ فقال : رحم الله عبداً صحبها - يعني الدنيا -

على حسب ذلك ، ما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة ، فرأى في منامه بعض ما يُحِبُّ ، ثم انتبه . وقال ابن معين : كان أبو مُشَهِرِ الدمشقي ينشد :

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب

فإن تُعجب الدنيا رجالاً فإنها متاع قليل والزوال قريب

وإذا كان الأمر كذلك : فالمعتصم - بعد عون الله وتوفيقه - من الاغترار بزخرفها، وجعلٍ تحصيلها هو الغاية ، والوقوع في شرك الغفلة عن المنعم الرزاق ذي القوة المتين ، وعن حقيقة ما يكون يوم الحساب : الوفاء بعهد الله قولاً وعملاً وسلوكاً ، وتزكية النفس ، كيما تكون على الجادة في طاعة الله وتقواه ، والعمل على زيادة الإيمان بما أخبر الله عنه ورسوله ، والرغبة فيما رغب فيه ، والرهبة مما رهب منه . وذلكم هو الخير العميم الذي تستمطر به الرحمة ، فيظفر العبد بأن يكون برحمة الكريم المتان في زمرة من تزدان بهم مشاهد الأبرار الموفقين .

المتجانبون في الإسلام.

مشهدهم على منابر النور يوم القيامة

من العلماء العاملين ، الذين أخذوا أنفسهم بشدة الورع في دين الله ، وكانوا على ذكر من حقيقة أنه لا خير في الدنيا لمن لم يعمل للأخرة ؛ فالدنيا متاع قليل ، وزوالها قريب ، وأن العاقل كَلَّ العاقل من لم يشغله ما يفنى عما يبقى .. من هؤلاء الرجال الأفاضل في تاريخنا أبو مُسهر الدمشقي عبد الأعلى بن مسهر ، الإمام الثقة الفقيه شيخ الشام والمتوفى سنة ثمان عشرة ومائتين أو تسع عشرة ومائتين للهجرة. قال أبوزرعة الدمشقي : قال لي أحمد بن حنبل : «عندكم ثلاثة أصحاب حديث: الوليد ، ومروان بن محمد ، وأبومسهر » وقال أبو داود : «سمعت أحمد ابن حنبل يقول: رحم الله أبا مسهر ، ما كان أثبتة ، وجعل يطريه » وقد مرَّ بنا من قريب قول ابن معين رحمه الله - وهو ما يقوله الذهلي أيضاً - بأن أبا مسهر كان ينشد :

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار المقام نصيب
فإن تُعجب الدنيا رجالاً فإنها متاع قليل والزوال قريب

وفي تذكير لنفسه وللآخرين بالموت ، وأنه كائن لا محالة ولا مفرَّ منه ، مهما عُمِّر المرء في هذه الحياة ... كان أجزل الله مثوبته ينشد - كما قال ابن دُيزيل - :

هبك عمرتَ مثل ما عاش نوحٌ ثم لاقيت كلَّ ذاك يساراً
هل من الموت لا أبالك بد أيُّ حي إلى سوى الموت صاراً

والحق أن استذكار ما جاء على لسان هذا العالم رحمه الله - وهو من حقائق الكتاب والسنة - يفتح للمؤمنين آفاق العمل للأخرى ، ويعين على تخطي

الصعاب وتجاوز العقبات ، حتى يلقى المؤمن ربه يوم يلقاه ، آمناً من الفزع الأكبر ، لا يرهقه ما تحمله ساعات ذلك اليوم من الهول والحزن ، والكرب ؛ لما أنه كان في الدنيا على طريق العبودية الخالصة لله عز وجل ، وأخذ نفسه بمنهج أهل التقوى ، الذين كانوا على هدى من الله في أنفسهم ، وفي علاقتهم بالآخرين ، وكان واضحاً أنه كان من إكرام الله لهم ، أن جعلهم أولياءه وأعدّ لهم في دار المقامة من الفضل ما به يكونون على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس .

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري : حدثنا أبو هشام الرفاعي قال : حدثنا أبو فضيل قال : حدثنا أبي عن عُمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء . قيل : من هم يارسول الله ؟ لعلنا نحبههم ، قال : هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » ثم قرأ ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . ورواه أبوداود أيضاً من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى . قالوا : يارسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على نور . لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » وقرأ هذه الآية ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . قال الحافظ ابن كثير : هذا إسناد جيد ، إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب ، والله أعلم .

ألا إنه مشهد يفيض من جنباته النور الذي أكرم الله به هؤلاء المتحابين فيه ، وهو ناطق في تلكم الساعات العصيبات ، بما للتحابب في الله والله ، دوناً غرض

دنيوي عاجل ، أو قرابة تفرض هذا التلاقي ... ناطق بما لهذا التحاب ، من مكانة عند الله عز وجل ، بقربهم منه سبحانه ، ويرتفع بهم في عرصات القيامة ، إلى أن يكونوا آمنين حيث يفرح الناس ، فرحين بفضل الله ، حيث الحزن يلفُّ وجود الناس . ناهيك عما له من أثر ملموس في بناء الحياة الإسلامية ، على صعيد المجتمع والأمة .

ومن الطريف: أن هذا الحديث ليس موجوداً في عدد من نسخ السنن عند أبي داود ، غير أنه موجود في النسخة التي أقام عليها الإمام أبو سليمان الخطابي شرحه «معالم السنن» ولكن جاء ذكره في «باب الرهن» من كتاب البيوع والإيجارات . وكان في غاية الحسن ما اجتهد أبو سليمان في تعليقه لهذا في «معالم السنن» من أن هذا الحديث ، لا يدخل في أبواب الرهن ، ولعل أباداود ذكره هنا ، من باب الترغيب في المعاونة وبر المعوزين والمحتاجين للرهن ، ليقترضوا ما يسد حاجتهم والله أعلم .

وفي حديث الإمام أحمد من رواية أبي مالك الأشعري جاء قوله رضي الله عنه : «.. ثم إن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته ، أقبل إلى الناس بوجهه فقال : يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن الله عز وجل عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء ، على مجالسهم وقربهم من الله . فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس ، وألوى بيده إلى نبي الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ؛ انعتهم لنا - يعني صفهم لنا - فسرَّ وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا في الله ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نوراً ، وثيابهم نوراً ، يفرح الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

هذا : وحري بالمؤمن الذي تتوق نفسه — صادقاً — إلى اللحاق بركب هؤلاء المقربين ، الذين تغمرهم هذه الأنوار يوم القيامة ، وقد أجلسهم الله على منابر من نور ... حري به أن يكون وقافاً عند الذي يدل عليه قوله تعالى : ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ بعد قوله جل شأنه : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

وهدي النبي ﷺ واضح في وجوب الاستمسك بالتقوى مع الإيمان ، حين أتبع ﷺ كلامه على العطاء الإلهي لهؤلاء السعداء ، بأن قرأ ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فنور إيمانهم الصادق ، وتقواهم في كل صغيرة وكبيرة من القول والعمل ، كانا - بفضل الله - طريقهم إلى ما فازوا به من الجلوس على منابر من النور ، وأنهم لا يخافون يوم القيامة ، إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس .

وسبحان الكريم المنان ذي الفضل العظيم ، قال عبدالله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف : «أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله». وجاء ذلك في حديث مرفوع رواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قال رجل : يا رسول الله من أولياء الله ؟ قال : الذين إذا رُؤوا ذكر الله » ثم قال البزار : وقد روي عن سعيد بن جبير رسلاً .

وهذا يدل على أن حالهم ، أصبحت ناطقة بما هم عليه من الإيمان والعمل الصالح ، ومثل هذا فليعمل العاملون .

وإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا..

وقلوب أهل الخشية

من أبرز سمات الصالحين في هذه الأمة : أنهم ذوو بصائر ينتفعون معها بكل ما أخبر الله عنه ورسوله عليه الصلاة والسلام ، من شؤون الموت ، والساعة ، والحساب ، وما يؤول إليه أمر الخلائق ، بعد تلكم الساعات المشحونة بالكرب الشديد ، والهول الهائل ، والفزع الذي يقطع نياط القلوب . وترى أن من مظاهر انتفاعهم بذلك والاتعاظ بدلالاته ومعانيه : أنهم يترجون هذه المشاعر الصادقة ، إلى طاعة خالصة لله عز وجل ، وإنابة لربهم سبحانه وتعالى .

ولنستمع إلى واحد من عيون العبّاد الزهاد - وهو ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم الأخيمي المتوفى سنة ٢٤٥هـ - يصف طرفاً من حال هؤلاء . قال أبو نعيم في « الحلية » : حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو بكر الدينوري قال : حدثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال : سمعت ذا النون المصري يقول : « إن لله عبداً أسكنهم دار السلام ، فأخصوا البطون عن مطاعم الحرام ، وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام ، وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام ، وطووا الفرش وقاموا جوف الظلام ، وطلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام ؛ فلم يزالوا في نهارهم صياماً ، وفي ليلهم قياماً ، حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام » . كما روى أبو نعيم أيضاً بسنده عن عبدالله بن سهل قال : « سألت ذا النون فقلت : متى أعرف ربي ؟ قال : إذا كان لك جليساً ولم تر لنفسك سواه أنيساً . قلت : فمتى أحب ربي ؟ قال : إذا كان ما أسخطه عندك أمراً من الصبر . قلت : فمتى أشتاق إلى ربي ؟ قال : إذا جعلت الآخرة لك قراراً ، ولم تسم الدنيا لك مسكناً وداراً » .

فأنت ترى أن الآخرة ، وما يؤول إليه حال المرء فيها ، دائماً بالحسبان ، ومُنيّة

الواحد من هؤلاء الصالحاء الأتقياء ، أن يكون في زمرة من تشرق عليهم شمس الرحمة الإلهية في مشاهد أهل القبول المقربين يوم القيامة، يوم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين في جهنم جثياً.

والحق أن هؤلاء الأصفياء من أهل الهداية والتقوى - مسلمين كانوا أو مسلميات - جديرون بالكثير من الغبطة على ما وفقوا إليه من العمل الصالح، والإخلاص فيه ، الأمر الذي حملهم على الانفعال الصادق الواعي ، بأخبار القيامة ومشاهدها - كما سبق ذكر ذلك -... لأن هذا طريق النجاة يوم الدين، والفوز بما يتفضل الله به على عباده المخلصين .

ولا يخفى على مؤمن متصل القلب بالله ، أن مشاهد الهول يوم المعاد ، ليس من الخير في قليل أو كثير ؛ نسيانها أو تناسيها ، بل المطلوب الحتم: عكس ذلك ، وهو ما درج عليه الصحابة عليهم الرضوان الذين عاشوا منتزلاً الوحي ، ونقلوا هذا الدين بأمانة عن رسول الله ﷺ إلى الأمة ، وسلك هذه السبيل من تبعهم بإحسان .

انظر إلى موقف الخشية والترقب عندهم، وعند من سار على نهجهم: من مشهد ورود النار في اليوم الموعود ؟ المشهد الذي جاء ذكره في قول الله تعالى في سورة مريم: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ روى الحافظ عبدالرزاق في « المصنف » وأبو جعفر الطبري في تفسيره « جامع البيان ... » عن قيس بن أبي حازم قال : « كان عبد الله ابن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته، فبكى ، وبكت امرأته. فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت قول الله عز وجل : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا ؟ » وفي رواية - وكان مريضاً - .

أرأيت إلى هذه اليقظة الإيمانية التي تنهزم أمامها الشهوات والرغبات !! إنه مشهد بالغ الخطورة في تقرير المصير ؛ يقدره حق قدره أولئك الذين أشرقت قلوبهم بالإيمان وصفت نفوسهم من الأكدار .

ومن جرى على هذا السنن المبارك ؛ من ترقب ما ينتهي إليه ذلك المشهد العظيم ، الذي تشهده الخلائق يوم الحساب : التابعي الجليل العابد الثقة أبو ميسرة الكوفي عمرو بن شرحبيل المتوفى سنة ٦٣ هـ يرحمه الله إذ كان يفعل صادقاً ويأخذه البكاء من الخوف ، عندما يذكره .

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحاق السبيعي قال : « كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أُمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل : ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال : أخبرنا أنا وارِدوها ولم نُخَبَرْ أنا صادرون عنها » وقال عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري قال : « قال رجل لأخيه : هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم . قال فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟ قال : فما رثي ضاحكاً حتى لحق بالله » .

ودلالة ذلك على أخذ النفس بالحزم ، في أمور الآخرة واضح كل الوضوح ، ولا يتنافى مع الرجاء بفضل الله تعالى ، ثم ما دلت عليه الأخبار المبينة لمعنى الورود كما جاء في كتاب الله العزيز . قال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني أبي قال : حدثنا سليمان بن حرب قال . حدثنا غالب بن سليمان أبو صالح عن كثير بن زياد البُرْساني عن أبي سُمَيَّة قال : « اختلفنا ههنا في الورود : فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضنا : يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا ؛ فلقيت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، فقلت له : إنا اختلفنا في ذلك الورود : فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضنا : يدخلونها جميعاً ، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال : صُمْتَا إِن لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « الورود الدخول ... لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار - أو قال لجهنم - ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ، ويذر الظالمين فيها جثياً » قال الحافظ ابن كثير : غريب ولم يخرجوه .

ونجد في « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » للطبري : ما روى بسنده عن خالد بن معدان قال : « قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهي خامدة ».

ويجد الناظر في الأخبار الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً وغيره ، ما يدل على تفسير الورود بالدخول ، أو بالمرور ؛ ويلطف الله بالمؤمنين المتقين فينجيهم سالمين ، ويدخلهم الجنة غانمين. قال عبدالرزاق : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو قال : أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق المتوفى سنة ٦٥ هـ فقال ابن عباس : « الورود الدخول ، وقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ . وقال : ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ وزدّ هو أم لا ؟ أما أنا وأنت : فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك » .

ولنا عودة إن شاء الله إلى متابعة الكلام على هذا المشهد الزاخر بالعبر والدروس ، الفياض بما يوقظ الغافلين لو كانوا يسمعون .

ونسأله تعالى أن يجعلنا فيمن يعملون بما يعلمون ويتعظون بما يفقهون !

دعاء الملائكة عند الورود: اللهم سلم سلم

هذه خطوة أخرى ، مع زمرة مباركة من الأحاديث والآثار التي تتحدث عن مشهد الورود يوم القيامة ؛ وهو مشهد بالغ الخطورة من مشاهد يوم الجزاء .. تلك المشاهد الناطقة بلغة الواقع الذي لا يحتمل اللبس ، المعلنة على رؤوس الأشهاد عن طبيعة العلاقة بينها - كما أشرت غير مرة - وبين ما كان عليه أمر أصحابها في الدنيا ؛ والمهم : الانتفاع بما هو وارد من الأخبار الصادقة عن تلكم المشاهد ، كي يزداد المؤمن إيماناً ، فيضاعفَ العمل ، مسارعاً إلى ما فيه مرضاة مولاه ، ونجاته يوم الدين ، ويصحّو الغافل ، وتعلو همة المقصر ، لأن الأمر في غاية الجد والبعد عن الهزل والعبث والعامل من اتعظ واعتبر ، وأفاد مما يقرأ ويسمع ، وحدها الحرص على أخراه ، إلى المزيد من الجد في طاعة الله ، قبل أن يوافيه الأجل المحتوم ، وهو كائن لا محالة .

وقد رأينا من قريب ما روى عبدالرزاق في المصنف عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الورود في قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردة ﴾ بالدخول ، ثم تكون النجاة للمؤمنين المتقين ، ويذر ربنا تبارك وتعالى الظالمين في جهنم جثياً .

وأخرج هذا الأثر الطبري أيضاً من طريق عبدالرزاق ، وروى ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال : قال أبو راشد الحروري - هو نافع بن الأزرق - ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ . فقال ابن عباس : ويلك أجنون أنت ؟ أين قوله تعالى : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ والمعني فرعون ، وقوله : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ ﴿ وإن منكم إلا واردة ﴾ ؟ والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالماً وأدخلني الجنة غانماً .

وقد مر بنا - من قبل - تذكير ابن عباس رضي الله عنهما نافعاً هذا ، بما هو المهم

في الموضوع - ألا وهو النجاة من النار ، ودخول الجنة بفضل الله عز وجل - . وهذه رواية أخرى تدل على مزيد من تذكير خَيْرِ الأُمَّة له بذلك ؛ فقد أخرج ابن جرير بسنده عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل يقال له : أبوراشد - وهو نافع بن الأزرق - فقال له : يا ابن عباس ، أرأيت قول الله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ؟ قال : «أما أنا وأنت يا أباراشد : فسنردها، فانظر هل تصدر عنها أم لا ؟»

وقد دلت بعض الروايات على اختلاف القراءة في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾ فقد روى أبو داود الطيالسي عن شعبة قال : أخبرني عبدالله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرأها « وإن منهم إلا واردها » يعني الكفار . وأورده الحافظ ابن كثير في التفسير .

قال : وهكذا روى عمرو بن الوليد الشني أنه سمع عكرمة يقرأها كذلك « وإن منهم إلا واردها » قال : وهم الظلمة ؛ كذلك كنا نقرأها . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

ويبدو - والله أعلم - أن ورود في الآية ، أعم من أن يكون الدخول فحسب ، وقد فسّره كثيرون بالجواز على الصراط ؛ لأن الصراط ممدود على جهنم - كما ورد في عدد من الأحاديث - وقد مر بنا بعضها في مناسبات خلت .

وعن ابن عباس - كما يقول صاحب البحر المحيط - قد يرد الشيء ولم يدخله ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ووردت القافلة البلد ولم تدخله ، ولكن قربت منه ، أو وصلت إليه . وتقول العرب : وردنا ماء بني تميم وبني فلان : إذا حضروهم ودخلوا بلادهم ، وليس يراد به الماء بعينه .

وقد روى الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال رسول الله ﷺ : « يرد الناس النارَ كلهم ثم يصدرون عنها بأعماهم » ورواه الترمذي عن السدي قال : سألت مُرَّةَ الهمداني عن قول الله عز

وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم؛ فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه». قال الترمذي: هذا حديث حسن رواه شعبة عن السُّدِّي ولم يرفعه، وأخرجه الحاكم وصححه والبيهقي والدارمي وابن أبي حاتم. وعلى هذا يكون المراد بالورود ههنا: الجواز على جسر جهنم.

قوله: ثم يصدرون عنها. أي ينصرفون عنها؛ لأن الصدر إذا عُدِّي بعن اقتضى الانصراف - وهذا على الاتساع - ومعناه النجاة إذ ليس هناك انصراف، ولكنه المرور عليها، فوضع الصدر موضع النجاة للمناسبة التي بين الصدور والورود. قال الطيبي رحمه الله: «ثم» في «ثم يصدرون» مثلها في قوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ في أنها للتراخي في الرتبة، لا في الزمان. بين الله تعالى التفاوت بين ورود الناس النار، وبين نجاة المتقين منها؛ فكذلك بين رسول الله ﷺ التفاوت بين ورود الناس النار، وبين صدورهم عنها. والمراد بالصدور: الانصراف.

ولقد نجد أن الحديث الذي يشعر بأن المرور هو الجواز على جسر جهنم، وقع ههنا مرفوعاً، وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (يرد الناس جميعاً الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مَرَّ رجل نوره على موضع إبهامي قدميه، يمر يتكفأ به الصراط، والصراط دحْضٌ مزلّة، عليه حسك كحسك القتاد، حافته ملائكة، معهم كلاليب من نار، يخطفون بها الناس..» وذكر تمام الحديث. رواه ابن أبي حاتم. ويروي ابن جرير عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود أيضاً: «قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: الصراط على

جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم .

الدحض : الزلق . والحسك الشوك ، والقتاد : شجر له شوك ، وحُضِرُ الفرس : عدوه ، أو عدوها لأن الفرس يقع على الذكر والأنثى . قال ابن الأثير : في حديث ورود النار « ثم يصدرون عنها بأعماهم كلمح البرق ثم كالريح ، ثم كحُضِرِ الفرس » الحُضِر بالضم : العدو . وأحضرَ مُحْضِرٌ فهو مُحْضِرٌ .

ونِعِمًا يفعل المؤمن ، حين يجعل نصب عينيه هذا المشهد الذي يتقرر معه المصير إلى الجنة أو إلى النار ، فيديم عمل الصالحات ، والتوبة من الزلات والمخالفات ، ويُعِدّ نفسه بالزاد المناسب لتلك اللحظات التي يشيب لها الوليد .

وقال أبو جعفر : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ورود المسلمين : المرور على الجسر بين ظهريها ، وورود المشركين أن يدخلوها . قال : وقال النبي ﷺ : « الزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمُئِذٍ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَحَاطَ الْجَسْرُ سِمَاطَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دَعَوَاهُمْ يَوْمُئِذٍ : يَا اللَّهُ سَلِّمْ سَلِّمْ » .

لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة.. لا تمسه النار إلا تحلة القسم

نتابع اليوم ما أتينا عليه في صفحات قريبات ، من الكلام على مشهد الورود يوم القيامة في ظل قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم : ﴿وإن منكم إلا واردة﴾ كان على ربك حتماً مقضياً ﴿[٧١] وما جاء في بيان ذلك من الأحاديث والآثار . والله نسأل أن يؤمننا - بمنه وكرمه - يوم الفزع الأكبر وأن يجعلنا من الملطوف بهم في ذلك الورود ، فنجوز الصراط إلى مقعد الصدق في جنة الخلد ، وما ذلك على أرحم الراحمين بعزیز .

وإني مذكّر هنا بما جاء عند الإمام في «المسند» حيث قال رحمه الله : حدثنا سليمان بن حرب قال : حدثنا غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البُرْساني عن أبي سُمَيَّة قال : «اختلفنا ههنا في الورود ، فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضنا : يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقلت له : إنا اختلفنا في ذلك الورود ، فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضنا : يدخلونها جميعاً فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال : صُمْنَا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : الورود : الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً » قال الحافظ ابن كثير : غريب ولم يخرجوه .

وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» : «قلت: لجابر حديث صحيح موقوف غير هذا ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات» . وأسنده ابن عبد البر في كتابه «التمهيد». وقد أوردت فيما سبق من القول ، ما ورد من الاختلاف في المراد

بـ(الورود) والمؤدى واحد - والله أعلم - إذ العبرة بالنجاة ؛ سواء دخل المؤمن النار، فكانت برداً وسلاماً عليه، أو اجتازها وهو يمر على الصراط .

وجنح الإمام القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » إلى أن ظاهر الورود: الدخول؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « فتمسُّه النار » لأن المسيس حقيقته في اللغة: المماسه ، إلا أنها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين ، ويخرجون منها سالمين . قال خالد بن معدان : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا : ألم يقل ربنا : إنا نرد النار؟ فيقال : لقد وردتموها فألفيتموها رماداً ».

ثم قال القرطبي: « قلت : وهذا القول يجمع أشتات الأقوال : فإن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها ، فقد أبعد عنها ونُجِّيَ منها ؛ نجانا الله تعالى منها بفضلته وكرمه ، وجعلنا ممن وردها فدخلها سالماً ، وخرج منها غانماً ».

ثم إن القرطبي أراد بالإشارة إلى عبارة « فتمسُّه النار » ما جاء في حديث صحيح يأتي قريباً إن شاء الله .

هذا : ولسوف تشهد الخلائق يوم الحساب - حقيقة ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قائمة لها سلطانها ، والنفوس في وِلَه مُضْنٍ وَحَيْرَةٍ بالغَةِ ، وخوف شديد - لسوف تشهد الخلائق يومذاك - والحال على ما وصفت وأشد - أناساً تغشاهم الرحمة الربانية ويخصهم الله بلون من ألوان الفضل في شأن الورود .

قال الإمام مسلم : حدثني هارون بن عبدالله قال : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول : أخبرتني أم مبشر « أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها . قالت : بلى يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال النبي ﷺ : قد قال الله عز وجل : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ » .

هذا : وقد كشف العلماء اللثام عن أن معنى قوله ﷺ : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها » لا يدخلها أحد منهم قطعاً ، كما صرح به في حديث جابر رضي الله عنه الذي رواه مسلم وغيره ، من « أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة ، جاء رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية ». وهكذا يكون قوله عليه الصلاة والسلام في حديث أم مبشر « إن شاء الله » للتبرك لا للشك . قال الإمام النووي رحمه الله : (وأما قول حفصة : « بلى » وانتهار النبي ﷺ لها فقالت : « وإن منكم إلا واردها » فقال النبي ﷺ : وقد قال : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » فيه دليل للمناظرة والاعتراض ، والجواب على وجه الاسترشاد ؛ وهو مقصود حفصة رضي الله عنها ، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ . والصحيح : أن المراد بالورود في الآية : المرور على الصراط - وهو جسر منصوب على جهنم - فيقع فيه أهلها وينجو الآخرون) .

ولا ريب في أن ما جاء في هذا الحديث ، من البشى العظيمة للذين بايعوا تحت الشجرة ، يحمل مزيداً من البيان لما جاء في القرآن في فضلهم ؛ ذلكم قوله تعالى في سورة « الفتح » : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » . وحديث حفصة أخرجه أيضاً الإمام أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما « أن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت : « كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة ، فقال : لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية . قالت حفصة : أليس الله عز وجل يقول : « وإن منكم إلا واردها » قالت : قال رسول الله ﷺ : فمه « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » . »

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعاً لا يحذؤه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله تبارك وتعالى يقول : « وإن منكم

إلا واردةا ﴿ . ورواه أبو يعلى والطبراني ، قال الحافظ المنذري : ولا بأس بإسناده في المتابعات . وقال الهيثمي : في أحد إسناده أحمد بن هبة وهو أحسن حالاً من ابن رشددين .

« لا يأخذه سلطان » أو « لم يأخذه سلطان » - كما في بعض الروايات - أي أنه خارج للحراسة في سبيل الله بنية خالصة من قلبه ابتغاء وجه الله ، لم يقهره حاكم ولم يجبره وال ، بل كان عمله جهاداً لنصرة دين الله ، وإعلاء كلمته رغبة لا رهبة . فإذا توافر له ذلك : كان من أهل تلك البشارة العظيمة التي جاءت في الحديث .

وسبحان من وسع فضله العباد . وما على المرء إلا أن يكون على طريق العبودية الخالصة له - جل شأنه - . روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلّ القسمة » ورواه عبدالرزاق في « المصنف » ولفظه « من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسمة » يعني الورود . وأخرج أبوداود الطيالسي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسمة » قال الزهري : كأنه يريد هذه الآية ﴿ وإن منكم إلا واردةا كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ .

وفي النهاية لابن الأثير : قيل : أراد بالقسمة ، قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردةا » تقول العرب : ضربه تحليلاً وضربه تعذيباً إذا لم يبالغ في ضربه ، وهذا مثلاً في القليل المفرط في القلة ، وهو أن يباشر من الفعل الذي يُقسَم عليه المقدار الذي يُبَرُّ به قسمه ، مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . فالمعنى : لا تمسه النار إلا مسّة يسيرةً مثل تحلة قسم الحالف ، ويريد بتحلته الورود على النار والاجتياز بها ، والتاء في التحلة زائدة . وطوبى لأهل البشريات الموفقين .

الجمعة في أبواب الخير... والفضل الإلهي يوم الحساب

إذا صدق العبد مع الله ، وجد بحق ، أن تلك المشاهد الغامرة بالضياء والعتاء يوم الدين : مفاتيحها المباركة مذلة بين يديه هنا في هذه الدار ، وكلما كان أشدّ تمسكاً بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كان - بفضل الله ورحمته - أكثر حظوة بما يمن الله على عباده الصادقين المنبيين ؛ من الإكرام والإحسان ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً﴾ .

فإذا رغب فيما رغب الله ورسوله به ، وعمل بصدق لذلك ، وانتهى عما نهى عنه الله ورسوله ، ورهب منه ، - مستعلياً على تسويلات الشيطان والهوى - فقد اتخذ المحجة البيضاء طريقاً إلى الجنة ، يدخلها برحمة الله ويكون خالداً فيها ، وهي خير مستقراً وأحسن مقيلاً .

هذه أبواب الخير والبر مشرعة في ساحات العبادة والعمل والجهاد والسلوك ، حتى إنك لترى أن السعي لفريضة الجمعة - مثلاً - على الوجه الذي نبه عليه رسول الله ﷺ يرقى بالمؤمن المخلص دينه الله ، إلى الدرجات العلا يوم القيامة ، حيث الفضل الإلهي الذي لا يُحَدُّ .

قال الحافظ ابن كثير : (روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ولدينا مزيد﴾ من قوله سبحانه في سورة ق ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ قال : «يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة ») وأورد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (زاد المعاد) ما ذكر الطبراني في (معجمه) من حديث أبي نعيم المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة قال : قال عبدالله : «سارعوا إلى الجمعة ، فإن

الله عز وجل يبرز لأهل الجنة في كل جمعة في كتيب من كافور ، فيكونون منه في القرب ، على قدر تسارعهم إلى الجمعة ، فيحدثُ الله لهم من الكرامة شيئاً ، لم يكونوا قد رأوه قبل ذلك ، ثم يرجعون إلى أهلهم ، فيحدثونهم بما أحدث الله لهم . قال : ثم دخل عبدالله المسجد ، فإذا هو برجلين ، فقال عبدالله : رجلان وأنا الثالث ، إن شاء الله يبارك في الثالث . وقد ذكره الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في « الكبير » وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ؛ فهو منقطع . وقال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » (رواه الطبراني في الكبير وأبو عبيدة اسمه عامر ولم يسمع من أبيه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وقيل : سمع منه) .

ولكم يكون المؤمن على الجادة ، إذا هو اتخذ من هذه البشري ، حافزاً على الإقبال على الطاعة بعزيمة صادقة ، وبُعْدٍ عن الكسل الذي يغشى المنافقين - وهم يقومون إلى الصلاة - وسارع حيث تُطَلَّبُ المسارعة رغبةً بما رغب به سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام إنه إن فعل ذلك : حظي بتلك الكرامة من الرحيم الرحمن سبحانه ، وكان من أولئك الذين يغمرهم ضياء ذلك المشهد ، الذي تهفو إليه - بخشوع وخضوع - قلوب المؤمنين . وذكر البيهقي في كتابه « شعب الإيمان » عن علقمة بن قيس قال : « رحت مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إلى جُمُعَةٍ ، فوجد ثلاثة قد سبقوه ، فقال : رابع أربعة ، وما رابع أربعة ببعيد ، ثم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله على قدر رواحهم إلى الجمعة ؛ الأول ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع » ثم قال : « وما رابع أربعة ببعيد » . ورواه ابن ماجة في كتاب « إقامة الصلاة » من السنن « باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة » . وابن أبي عاصم وإسناده حسن ، حَسَّنَه الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » والبوصيري في « الزوائد » .

وفي عود على ما نجد في الحديث والأثر من معاني قوله تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾ حيث مر بنا من قريب ما قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « يظهر لهم الرب عز

وجل في كل جمعة» وفي رواية «يتجلى» ومع تقرير أن قول أنس هذا لا يتعارض مع ما مر بنا في مناسبة أخرى من قول صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه : أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم .. في عود على ما نجد من هذه الصورة المباركة من صور الفيض الإلهي على أهل التقوى من عباده يوم المعاد : نذكر قول الإمام ابن القيم رحمه الله في الزاد : (حدثنا محمد بن نوح قال : حدثنا محمد ابن موسى بن سفيان السكري ، قال : حدثنا عبدالله بن الجهم الرازي. قال : حدثنا عمرو بن أبي قيس عن أبي طيبة عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « أتاني جبريل وفي يده كالمراة البيضاء فيها كالنكتة السوداء : فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها الله عليك لتكون لك عيداً ولقومك من بعدك ، قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير . أنت فيها الأول ، واليهود والنصارى من بعدك ، ولك فيها ساعة لا يسأل الله عز وجل عبداً فيها شيئاً هو له قَسَمٌ إلا أعطاه ، أو ليس له قَسَمٌ إلا أعطاه أفضل منه ، وأعاده من شر ما هو مكتوب عليه ، وإلا دفع عنه ما هو أعظم من ذلك . قال : قلت : وما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هي الساعة تقوم يوم الجمعة ، وهو عندنا سيد الأيام ، ويدعوه أهل الآخرة يوم المزيد . قال : قلت : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : ذلك أن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أفتح من مسك أبيض . فإذا كان يوم الجمعة ، نزل على كرسيه ، ثم حُفَّ الكرسيُّ بمنابرٍ من نور ، فيجيء النبيون ، حتى يجلسوا عليها ، ثم حُفَّ المنابر بمنابرٍ من ذهب ، فيجيء الصديقون والشهداء ، حتى يجلسوا عليها ، ويحيى أهل الغرف حتى يجلسوا على الكُثْبِ . قال : ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل ، قال : فينظرون إليه فيقول : أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضى ، قال : رضاي أنزلكم داري وأنا لكم كرامتي : فسلوني ، فيسألونه الرضى ، قال : فيشهد لهم بالرضى ، ثم يسألونه ، حتى تنتهي رغبتهم ، ثم يفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

قلب بشر إلى أن يقول : فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا من كرامة الله عز وجل ، والنظر إلى وجهه الكريم ، فذلك يوم المزيد» .

عثمان بن عمير أبو اليقظان ضعفه بعضهم ، والحديث في مسند الشافعي بنحوه ، وأورده السيوطي في « الدر المنثور » وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، والبزار ، وأبي يعلى ، وابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني في « المعجم الأوسط » وابن مردويه ، والآجري في « الشريعة » والبيهقي في « الرؤية » وأبو نصر السجزي في « الإبانة » .

وصلاة الله وأزكى تسليماته على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين الذي لم يدع أن يرغَّب في ولوج أبواب الخير ، ويُرهَّب من الوقوع في مزالق الشيطان والهوَى، حرصاً على صالح العقبي للمؤمنين وعلى آله وصحابه ومن اهتدى بهديه وأخذ نفسه بما يبلغ به النجاة في عاقبة أمره ويحظى بفضل الله ورضوانه يوم المزيد .

موازين القسط..

ما يثقلها ويقرب من رسول الله يوم الدين

لله ما أهدى أولئك البررة ، الذين تمَّ لهم أن يعقلوا عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله عليه الصلاة والسلام ، ما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه في الدنيا، كيما يستقيم له أمر الآخرة ، وينجو مع الناجين ، بل ويفوز مع الفائزين .

وأنت واجد - حقاً - أن حسن العقبي لهم يوم الدين - بإذن الله ورحمته - ، وأن الناس سوف يشهدون في ذلك اليوم الذي تضع فيه كل ذات حملها ، ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾... سوف يشهدون أن هؤلاء الذين عقلوا عن الله ورسوله ما أراد في شأن الدنيا والآخرة ، هم أصحاب المكارم يوم القيامة ، وهم الذين تزدان بهم مشاهد النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم .

وطوبى لمن أخذ نفسه بالتزام الطريق التي دعا إليها الكتاب الكريم ، وأوضح معالمها بالبيان التَّيَّار الشافي رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وغير خاف أن من أحقية تلكم القيم التي دعا إليها الإسلام ، وربى عليها أصحابه محمد عليه الصلاة والسلام أنك لا تجد عصراً ، يخلو من أولى العزائم والهمم الذين تمسكوا بأهداب السنة ، وكان تطلعهم إلى النجاة يوم الدين ؛ في أنفسهم وفيمن ولاهم الله دعوتهم إلى طريق الحق ، محوراً لا يلتفتون عنه يمنة ولا يسرة ، كائناً ما كان الميدان الذي يضربون فيه ، والثغر الذي أقامهم الله عليه .

وما من ريب في أن هذا من كمال التوفيق ؛ لأن الأمر يوم الدين شديد ، والعاقل كل العاقل من عمل على إصلاح الخطأ ، وتقويم الاعوجاج ، صادقاً مخلصاً بين يدي مولاه الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، كما أخبر جل شأنه عن

ذلك بقوله في سورة الأنبياء - وهي سورة مكية - ﴿ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
حاسبين﴾.

هذا ابن السماك محمد بن صبيح العجلي الزاهد القدوة سيد الوعاظ في عصره -
كما يقول الذهبي - والمتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة يقول : « همة العاقل في النجاة
والهرب - يعني من النار - وهمة الأحمق في اللهو والطرب . عجبا لعين تلذُّ بالرقاد ،
وملك الموت معها على الوساد ، حتى متى يبلِّغنا الوعاظ أعلام الآخرة ، حتى كأن
النفوس عليها واقعة ، والعيون ناظرة ! أفلا منتبهة من نومته ، أو مستيقظ من
غفلته ، ومفيق من سكرته ، وخائف من صرعه !! كدحاً للعالم كدحاً ، أما تجعل
للآخرة منك حظاً ؟ أقسم بالله لو رأيت القيامة تحقّق بأهوالها ، والنار مشرفة على
آلها ، وقد وضع الكتاب وجيء بالنبين والشهداء ، لسرّك أن يكون لك في ذلك
الجمع منزلة !! أبعد الدنيا دار معتمَل ؟ أم إلى غير الآخرة منتقل ؟ هيهات
هيهات ، ولكن صُمّت الأذان عن المواعظ ، وذهلت القلوب عن المنافع ، فلا
الواعظ ينتفع ، ولا السامع ينتفع . »

وفي تذكير لمن تسكرهم الدنيا بزينتها ، ويشغلهم عن اليوم الحق في الآخرة
زخرفها : يقول رحمه الله مجلياً الحقيقة بوضوح : « هب الدنيا في يديك ، ومثلها
ضُمّ اليك ، وهب المشرق والمغرب يجيء إليك ؛ فإذا جاءك الموت ، فماذا في
يديك ؟ ألا من امتطى الصبر قوي على العبادة ، ومن أجمع الناس استغنى عن
الناس ، ومن أهمته نفسه لم يول مرّمتها غيره ، ومن أحب الخير وفّق له . ومن كره
الشرّ جُنّبهُ ، ألا متأهب لما يوصف أمامه ، ألا مستعد ليوم فقره ، ألا مبادر أجله ،
ما ينتظر من ابيض شعره بعد سواده ، وتكرّش وجهه بعد انبساطه ، وتقوّس ظهره
بعد انتصابه ، وكلّ بصره ، وضعف ركنه ، وقلّ نومه ، وبلي منه الشيء بعد الشيء
في حياته !! فرحم الله امرأ عقل الأمر ، وأحسن النظر واغتنم أيامه قد
أصبحت في دار العزاء ، وغداً تصير إلى دار الجزاء ، فاشتر نفسك لعلك تنجو » .

ولكم نبه رسول الله ﷺ الأمة على ما يفعله ، تكون الجنة هي المأوى ، وعلى ما بالوقوع فيه ، تكون جهنم هي الموعد والعياذ بالله . ومن ذلك ما نرى على ساحة الأخلاق والتعامل بين المسلمين ؛ فقد رغب صلوات الله وسلامه عليه في كل ما يُلْمُ الشعب ، ويجمع الكلمة في الدنيا ، ويُعقب الفوز المبين في الآخرة ، كما رهَّب من كل ما هو عكس ذلك . وما أحوج الأمة اليوم إلى تبين تلکم العلاقة الوثيقة ، بين ما وجه إليه رسول الله ﷺ ، وبين ما هي عليه الحال في الواقع الذي يقض مضاجع المخلصين ، وما يمكن أن يؤول إليه الأمر من سوء العاقبة يوم الدين ، قال الإمام الترمذي : (حدثنا ابن أبي عمر قال : حدثنا عمرو بن دينار - عن ابن أبي مليكة ، عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذي » . قال أبو عيسى : وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك وهذا حديث حسن صحيح .

ويتساءل المرء : أين لا يريد أن تثقل موازينه يوم القيامة - وثقل الموازين طريق الجنة يوم اللقاء ، وعلى العكس من ذلك ترى الخسران المبين لمن خفت موازينه -؟! ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاربة . وما أدرك ما هيه . نار حامية ﴾ .

إنه لمشهد مثقل بالعبرة أن يرى الناس بأم أعينهم يوم القيامة ، كيف أن فلاناً من الناس ، أثقل ميزانه يوم الحساب حسن خلقه - كما بين الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام .. - وأن آخرين خفت موازينهم ، بسبب الإعراض عما وجه إليه النبي الكريم ، وأعقبتهم طاعة الشيطان والهوى : أن كانت الجحيم هي المأوى .

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة ، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا :

يارسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين ، فما المتفقهون ؟ قال : المتكبرون .
وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . وابن حبان في صحيحه من
حديث أبي ثعلبة ، والطبراني .

فمن شاء أن يكون من أحب الناس إلى النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام
ومن أقرب الناس منه مجلساً يوم القيامة — وياله من مشهد يعز على الوصف —
فليكن عند الذي هدى إليه ﷺ من حسن الخلق ، في ظل شرعة الإسلام . وما
أطيب الآثار التي تترتب على ذلك في الأسرة والمجتمع ، وتلك سمة الهدي
النبي ؛ خيرٌ في الدنيا وخيرٌ في الآخرة ، والله يحب المحسنين . .

ومما يؤكد هذه الحقيقة ويوجب الأخذ بها في السلوك : ما روى مسلم عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « احتجت الجنة والنار : فقالت
النار : فيّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فيّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم ،
فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي
أعذب بك من أشاء ، ولكليكما علي ملؤها » وقد مر بنا من قبل تفسير ذلك ،
وأن المراد بالضعفاء والمساكين — هنا — من ليسوا من الظلمة والجبارين
والمستكبرين .. كما دلت على ذلك نصوص كثيرة أخرى . وسبحان من فضله هو
الفضل ، وعطاؤه هو العطاء .

وصلّى الله وسلم وبارك على من أنار سبيل الأمة ودلّها بهديه القويم على كل ما
فيه سعادة الدنيا والقرب منه صلوات الله وسلامه عليه ﴿يوم لا تملك نفس لنفس
شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ .

المفسدوؤ.. وردغة الخبال يوم المحاد

لا يرتاب مؤمن جاد في طلب الآخرة ، وأن يكون - بفضل الله - في عداد من يغمرهم العطاء وتشرق عليهم الرحمة في جنة الخلد .. أنه لابد من المعرفة الحقيقية لما دُعينا إلى معرفته من تحديد لما هو من أمر الدنيا ، ولما هو من أمر الآخرة ، وذلك أعون على فهم النصوص الواردة في ذلك ، كما يكون الإنسان على بينة من أمره - وهو على مفترق الطرق في هذه الحياة - فإما طريق السعادة التي تنتهي بدار المقامة ، والخلود في النعيم المقيم ورضوان من الله أكبر ، وإما طريق الشقاوة التي تنتهي - وقانا الله شرَّ ذلك - بعذاب بئيس أليم في جهنم وبئس المصير . قال أحمد بن الحواري الإمام الحافظ الثقة الزاهد شيخ أهل الشام المتوفى سنة ست وأربعين ومائتين رحمه الله : «من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه» . وسئل واحد من كبار الأصفياء عن المحبة فقال : «أن تحب ما أحب الله ، وتبغض ما أبغض الله ، وتفعل الخير كله ، وترفض كل ما يشغل عن الله ، وألا تخاف في الله لومة لائم ، مع العطف على المؤمنين ، والغلظة على الكافرين ، واتباع رسول الله ﷺ في الدين » .

وغير خافٍ أن هذا اللون - من التحديد النابع من المعرفة والذوق الإيماني ، والإدراك العميق للبعد العملي الذي يجب أن يلتقي مع المعرفة في حياة المسلم ، كما يكون ممن يزحزون عن النار ويدخلون الجنة - ذو نسب إلى ما كان عليه من تربوا في مدرسة النبوة ، وسعدوا بالأخذ عن رسول الله ﷺ وكانوا الجسر المبارك الذي عبرت عليه قيم الإسلام إلى الأمة المحمدية والحمد لله . فلقد علم الرسول ﷺ أصحابه - ومن ورائهم الأمة في أجيالها المتلاحقة - أن الجزء الأوفى كائن يوم القيامة لا محالة ، فلينظر عبد ما هو صانع لغده !! وليعتبر بالماضين ، ويعد العدة ليوم قادم لا ريب فيه ، يحاسب فيه المرء - إلا أن يعفو الله - على النفير والقطمير .

وتربية المؤمن على هذا : كفيلة - بإذن الله - بقطع دابر الفساد في كثير من الأصعدة ؛ لأن الكلمة الهادية في الكتاب والسنة ، طلعت علينا بأوثق رباط ، بين ما يكون عليه سلوك المرء في هذه الدار ، وبين ما ينبني على هذا السلوك - من المثوبة أو العقوبة - في دار الجزاء ، وقد أشرت إلى ذلك غير مرة من قبل ، وما أكثر وأوفر الأمثلة والنماذج لما نقول .

فمثلاً على صعيد العلاقات الاجتماعية ، بين أفراد المجتمع ، وما يمكن أن يولده انحراف السلوك الأخلاقي في التعامل ، نذكر ما جاء من الوعيد الأخروي في شأن الفتنة ، وما هو منها بسبب : لنجده نعم العلاج لكثير من الانحراف والفساد . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من ذكر امرأً بشيء ليس فيه ليعيبه به ، حبسه الله في نار جهنم ، حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه » رواه الطبراني بإسناد جيد .

أرأيت إلى هذا المشهد الذي تضرب لهولهُ النفس ، ويرجف الفؤاد !! يحبس هذا الإنسان المفترى على أخيه بالتهام العيب له .. يحبس في نار جهنم ، حتى يحقق قوله الذي صدر منه كذباً وزوراً وافتراءً . وفي رواية له : « أيُّما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة - وهو منها بريء - يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال » .

ومع استذكار أن الموحّد لا يخلد في النار ، نجد أن هذا الحديث يذكّر بها جاء في شأن واحد من الكفار ، في جهنم من قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رِبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعْت لَهُمْ ثِيَابَ مِنْ نَارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ . وفي كتاب الأفضية من « السنن » باب « فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها » قال الإمام أبوداود : حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا زهير قال : حدثنا عمار بن

غزية عن يحيى بن راشد قال: جلسنا لعبد الله بن عمر ، فخرج إلينا فجلس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضادَّ الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه ، لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه ، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال » .

وأخرجه الإمام أحمد في المسند بسنده عن يحيى بن راشد أيضاً قال : خرجنا حجاجاً عشرة من أهل الشام ، حتى أتينا مكة - فذكر الحديث - قال : فأتيناها ، فخرج إلينا - يعني ابن عمر - فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله عز وجل ، فقد ضادَّ الله في أمره ، ومن مات وعليه دين ، فليس بالدينار ولا بالدرهم ، ولكنها الحسنات والسيئات ، ومن خاصم في باطل - وهو يعلمه - لم يزل في سخط الله حتى ينزع ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه ، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال » . ورواه الطبراني بلفظ « من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال وليس بخارج حتى يخرج مما قال » كما رواه الحاكم بنحوه وقال: صحيح الإسناد .

قال الإمام الخطابي: « الرَّدْغَةُ بفتح الراء وسكون الدال : الوحل الشديد ، ويقال : ارتدغ الرجل إذا ارتطم في الوحل . وجاء في تفسير ردغة الخبال أنها عصارة أهل النار » . وقال الحافظ المنذري : « هي عصارة أهل النار . كذا جاء مفسراً مرفوعاً ، وهو بفتح الراء وإسكان الدال المهملة ، وبالغين المعجمة » . وفي النهاية لابن الأثير : (فيه : « من قال في مؤمن ما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال » تفسيرها في الحديث « أنها عصارة أهل النار » والردغة بسكون الدال وفتحها : طين ووحل كثير وتجمع على ردغ ورداغ . ومنه الحديث « من شرب الخمر سقاه الله من ردغة الخبال » والحديث الآخر « خطبنا في يوم ذي ردغ ») .

وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا

الرحلة الخاشعة ، مع بشرى يوم القيامة لعباد الله الصالحين المصلحين ،
تقف المرء على حقيقة ما كان عليه هؤلاء البررة في الدنيا ، حتى كافأهم الرحيم
الرحمن ، بذلك العطاء الرباني يوم يقوم الأشهاد . ولعل من أوضح الأمثلة على
ذلك ، ما يعطاه أهل الطاعة الصادقة لله والرسول ، بأن يكونوا في ذلك اليوم
الذي - لكل امرئ من العباد فيه شأن يغنيه ... أن يُعْطَوْا تلك المنزلة السامية ،
وهي أن يكونوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . على أن الفضل أولاً وآخرأ من الله تبارك وتعالى
﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴾ .

إنه لمشهد عظيم جدٌ عظيم ، مشهد غامرٌ بالنور وكل ما هو من الفضل الإلهي .
زُمرٌ من عباد الله : عملوا بما أمر الله به ورسوله ، صادقين مخلصين ، وتركوا ما نهى
الله عنه ورسوله ، راضين مطمئنين ؛ فكان جزاؤهم أن نشر الله عليهم رحمته ،
وزادهم إحساناً على إحسان ، فجعلهم في دار البقاء مرافقين للأنبياء ، ثم لمن
بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم عموم المؤمنين وهم الذين
صلحت سريرتهم وعلاانيتهم ، وجاء الثناء عليهم بعد ذلك بقوله سبحانه :
﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن عبدالله بن حوشب
قال : حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله
عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من نبي يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا
والآخرة - وكان في شكواه الذي قبض فيه - فأخذته بُحَّة شديدة فسمعتة يقول :
﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾
فعلمت أنه خُيِّر ، وكذا رواه مسلم من حديث شعبة . قال العلماء : وهذا معنى
قوله ﷺ في الحديث الآخر - كما جاء عند أحمد في المسند من رواية عائشة رضي الله

عنها - « اللهم الرفيق الأعلى - ثلاثاً - ثم قضى عليه أفضل الصلاة والتسليم ». قال الحافظ ابن حجر : قوله « في شكواه الذي قبض فيه » في رواية الكشميهني « التي قبض فيها » .

وفي روايات سبب النزول لقوله تعالى في سورة النساء : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ ما يزيد هذا المشهد - الغني بالموعظة والعطاء - وضوحاً واستنارة في نفس المؤمن المتطلع إلى حسن العاقبة ، وأن يكون مثواه جنة المأوى . روى ابن جرير الطبري بسنده عن سعيد بن جبير قال : « جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون ، فقال له النبي ﷺ : يا فلان مالي أراك تحزنون ؟ قال : يا نبي الله ، شيء فكرت فيه : قال : وما هو ؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح ، ننظر إلى وجهك ونجالسك ، وغداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك ، فلم يردّ النبي ﷺ شيئاً ، فأتاه جبريل بهذه الآية : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين .. ﴾ الآية ، فبعث النبي ﷺ فبشره . » قال الحافظ ابن كثير : وقد روي هذا الأثر مرسلأ عن مسروق وعكرمة وعامر الشعبي ، وقتادة ، وعن الربيع بن أنس ، وهو من أحسنها سنداً .

وإن في هذا الذي كان عليه هذا الرجل من الأنصار ، ما يشي بالحال التي كان عليها أولئك الذين بُشروا بتلك المعية المباركة ، من خلال القاعدة النورانية العامة التي عنوانها : طاعة الله والرسول ، وما كان يزين أعمال الجوارح والقلوب لديهم ، من محبة الله تعالى ، ومحبة للرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا المثنى قال : حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع : قوله : ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ : الآية ، قال : « إن أصحاب النبي ﷺ قالوا : قد علمنا أن النبي ﷺ له فضل على من آمن به في درجات الجنة ، ممن اتبعه وصدقته ، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً ، فأنزل الله في

ذلك - يعني هذه الآية - فقال : يعني رسول الله ﷺ : « إن الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل منهم ، فيجتمعون في رياضها ، فيذكرون ما أنعم الله عليهم ، ويثنون عليه ، وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به ، فهم في روضة يجبرون ويتنعمون فيه » .

وغير خاف أن مجموع الروايات المتعلقة بهذه البشريات ، والعروة المباركة التي تصل بين أولئك الذين كان شوقهم إلى أن يكونوا من أهل القرب من رسول الله ﷺ يوم القيامة .. توحى أن ما طلبوه وكانوا بشوق صادق إليه : ذو نسب إلى ما أكرمهم الله به في الدنيا ، من صفاء ، وإشراق ، وحرص على كل ما يقربهم إلى الله زلفى ، ويضيء لهم طريق الجنة التي حفت بالمكاه ، ويسمو بهم على ساحة المحبة لرسول الله وحسن اتباعه ، إلى حيث يكونون - برحمة الله - أهلاً لذلك القرب الذي يُغبطون عليه ويغبطون . أخرج أبو بكر بن مردويه بسنده من طريق فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي ، وأحب إلي من أهلي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك ، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإن دخلت الجنة ، خشيت أن لا أراك ؛ فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت الآية : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ » وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه « صفة الجنة » من طريق الطبراني عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال عن عبد الله بن عمران العابدي ثم قال : لا أرى بإسناده بأساً والله أعلم .

وصلى الله وسلم على رحمة العالمين معلم الناس الخير ؛ فقد كان لا ينبي يُحكم تربية الإنسان في الأمة على حقيقة أن الانخراط في مشهد القرب يوم القيامة منه عليه الصلاة والسلام ، وأن يكسب المسلم مرافقته في دار الكرامة والنعيم المقيم ،

لا يكون بالتمني ، ولكن بالعمل وصدق الوجهة ، وحسن التأسي به صلوات الله وسلامه عليه .

قال الإمام مسلم : حدثنا الحكم بن موسى أبو صالح قال : حدثنا هِقل بن زياد قال : سمعت الأوزاعي قال : حدثني يحيى بن أبي كثير قال : حدثني أبوسلمة قال : حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي قال : « كنت أبيت مع رسول الله ﷺ ، فأتيت به بوضوءه وحاجته ، فقال لي : « سل » فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود » . ورواه أبو داود والنسائي وأحمد .

وإني مذكّر بما سبق من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : « من يردّهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة ؟ » فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضاً فقال : « من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة ؟ » فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك ، حتى قتل سبعة - فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .

أرأيت إلى هذا الإقدام في ظل الخطر المحقق من هنا وهناك ؟!! الإقدام الذي انتهى بالشهادة ، ذوداً عن رسول الله ﷺ ومن معه !! ثم أرأيت إلى المطلب العظيم ، وهو أن يكون هذا الشهيد رفيق النبي ﷺ في الجنة ؟!!

في جهنم... يسقون من طينة الخبال

كان من حرص النبي المصطفى ﷺ ، على أمته ، ورأفته ورحمته بالمؤمنين : أنه أعطى لوعده المثوبة على الاستقامة وفعل الخير ، ولوعيد العقاب الأليم على المخالفة وتعدي حدود الله : كبير الاهتمام في بيان ما يكون عليه الأمر في الدنيا وفي الآخرة ، وتجليّة المشاهد التي تضم يوم المعاد زمر الطائعين السعداء ، والمشاهد التي تضم زمر الضالين الأشقياء . والعهد قريب بما وقفنا عليه من مشهد من يقفه الله في ردغة الخبال في جهنم ، لما أنه يقول في أخيه المؤمن ما ليس فيه ، وليس بخارج منها حتى يخرج مما قال . وجرت الإشارة إلى ما جاء في الحديث من تفسير لردغة الخبال ، بأنها عصارة أهل النار ؛ وعند مسلم - كما سنرى : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار ، وكشف رسول الله ﷺ عن ذلك ، وهو يتوعد على معاودة شرب الخمر مرة بعد مرة - في أعقاب إظهار التوبة .

وهذا يدل - فيما يدل - على أن أهل هذا المشهد المخيف حقاً ، ليسوا أولئك المفترين على إخوانهم المتقولين عليهم ما ليس فيهم فحسب ، ولكنّ من أهله أيضاً ، أولئك الذين يشربون الخمر ثم يتوبون ، ويعبثون بالتوبة - مكررين ذلك - كأنهم يستهزؤون بما شرع الله ، بل يستهزئون بربههم - وأستغفر الله - عندما يعودون لما نهوا عنه ، مرة تلو المرة ، بعد أن يستغشي الواحد منهم سرايل التائبين ، فكان جزاؤهم أن يسقوا من عصارة أو من عرق أهل النار . وقد جاء التعبير في النصوص بردغة الخبال ، وبطينة الخبال . قال الإمام مسلم في كتاب الأشربة من صحيحه : حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عبدالعزيز - يعني الدراوردي - عن عُمارة بنِ غَزِيَّة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه « أن رجلاً من جيشان (وجيشان من اليمن) سأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له « المزّر » ؟ فقال النبي ﷺ : أمسكر هو ؟ قال : نعم . قال رسول الله ﷺ : « كل

مسكر حرام . إن على الله عز وجل عهداً ، لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال « قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار » . وعند أبي داود في كتاب الأثرية من « السنن » من رواية ابن عباس رضي الله عنه « كل مخمَّر أو كل مخمَّر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكراً بخَّست صلاته أربعين صباحاً ، فإن تاب ، تاب الله عليه ، فإن عاد الرابعة ، كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : صديد أهل النار ، ومن سقاه صغيراً لا يعرف حلاله من حرامه كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » .

مخمَّر بكسر الميم الثانية : مغطي العقل ، ويحتمل الفتح أي ما يُجعل خمرأ مسكراً . وبَخَّستُ نقصت . جاء في القاموس المحيط : بَخَّسَ المخُّ تبخيساً وتبخَّس : نقص ولم يبق إلا في السلامى والعين .

وأنت واجد في هذا النص معنى ثالثاً لطينة الخبال ؛ وهو صديد أهل النار أعادنا الله من الوقوع فيما تكون عاقبته سوء يوم الدين . وهذا المعنى منصوص عليه أيضاً في رواية الترمذي - كما سنرى - وجاء هناك بلفظ « نهر الخبال » على لسان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، مضافاً إلى ذلك تفصيلاً في المراحل التي سبقت عودة هذا المبتلى بالمعصية ، إلى معاقرة الخمر في المرة الرابعة ، وبذلك يتضح استهزاؤه بما يحرم الاستهزاء به ، وضعفه الشديد أمام شهوته العارمة لما حرم الله ، وخضوعه لتسويلات أهوى والشيطان ، وقد تكون صحبة الأشرار من أهم العوامل المؤدية إلى هذا الإصرار والاستهزاء .. فإن تاب بعد الرابعة : لم ينل فضل أن يتوب الله عليه في الدنيا ، وعوقب في الآخرة بأن يسقى من نهر الخبال وهو - كما في الرواية المومى إليها عند الترمذي - نهر من صديد أهل النار .

فليتق الله امرؤ في نفسه ، وليضع بينه وبين الضلالة وأهلها ، حاجزاً من مخافة الله عز وجل ، والحرص على اجتناب ما حذر منه رسول الله ﷺ ؛ وبذلك يعافى

من أن تحقَّ عليه كلمة العقاب ويأمنُ - بفضل الله - من أن يدخل النار ويشرب من عرق أهلها - أو عصارتهم أو صديدهم -... قال الإمام الترمذي في كتاب الأشربة من السنن (جامع الترمذي): حدثنا قتيبة قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب، تاب الله عليه، فإن عاد، لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب، تاب الله عليه، فإن عاد، لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب، تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة، لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب، لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال. قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال نهر من صديد أهل النار». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وقد روي نحو هذا عن عبد الله بن عمرو وابنه عباس عن النبي ﷺ.

وللحديث عند أحمد في المسند عدة روايات؛ منها: ما روى بسنده عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من شرب الخمر لم تُقبلْ صلاته أربعين ليلة، فإن تاب، تاب الله عليه، فإن عاد، كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من نهر الخبال، قيل: وما نهر الخبال؟ قال: صديد أهل النار» والخبال في الأصل: الفساد. وأعطاه النبي ﷺ هذا المعنى الاصطلاحي؛ قال ابن الأثير في النهاية (وفيه «من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة» جاء تفسيره في الحديث أن الخبال عصارة أهل النار. والخبال في الأصل الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان، والعقول وفي الحديث «وبطانة لا تألوه خبالاً» أي لا تقصر في إفساد أمره. ومنه حديث ابن مسعود «أن قوماً بنو مسجداً بظهر الكوفة، - ويبدو أنه مسجد ضرار - فأتاهم فقال: جئت لأكسر مسجد الخبال أي الفساد) وأورد الراغب الأصفهاني قول زهير بن أبي سلمى: «هنالك إن يُستحبكوا المال يحبلوا» أي وإن طلب منهم إفساد شيء من إبلهم أفسدوه.

هذا : وما جاء في الحديث - كما أشير إلى ذلك قريباً - من تفسير ردغة الخبال بأنها عصارة أهل النار - أو كما ورد في بعض الروايات - : عرق أهل النار ، أو صديد أهل النار : مما يزيد المشهد ترويعاً على ترويع ؛ عافانا الله والمسلمين من ذلك بمنه وكرمه .

وقد رأينا - كما ذكر آنفاً - أن الوعيد بسقيا ردغة الخبال ، جاء في معرض التحذير من شرب الخمر التي تذهب العقل ، والترهيب من معاقبتها . ومن النصوص الواردة أيضاً في ذلك ما أخرج ابن ماجة في « السنن » بسنده عن ابن الديلمى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً وإن مات دخل النار . فإن تاب تاب الله عليه ... » وبعد الإشارة إلى التكرار في العودة بعد التوبة جاء في الحديث : « .. وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة . قالوا : يارسول الله وما ردغة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار » .

هذا : وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، والعقلاء يستحسنون ضم النظير إلى نظيره ، فإن في نصوص السنة المطهرة ، ما يدل على أن العقوبة التي جاء النص عليها في شأن من يفترون على إخوانهم ويبهتونها - وأولئك الذين يرتكبون كبيرة شرب الخمر ، مع العتب في أمر التوبة التي ينقضونها مرة بعد مرة ... إن في هذه النصوص ما يدل على أن هذه العقوبة ، تنال أيضاً أولئك الذين ترم أنوفهم ، ويتجبرون في الأرض بغير الحق ؛ فهؤلاء أيضاً سوف ينظر العباد إلى مشهدهم المرري يوم القيامة - وهم يشربون من طينة الخبال أو من نهر الخبال - فكما يعاقب المفترى على أخيه كذباً ، وشارب الخمر بهذا التنبؤ في فمه الذي استخدمه في المعصية ، يعاقب هؤلاء العصاة المتكبرون عقوبة توحى بأن الجزاء من جنس العمل ، ومن ذلك ما يُجَرَّعون من نتن الطعم والرائحة جزاء عتوهم وتعاليلهم على عباد الله المؤمنين ، روى الإمام أحمد بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صور الناس ،

يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له بُولَس ، فتعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار . ورواه الترمذي بلفظ « يغشاهم الذل من كل مكان » وقال : حديث حسن صحيح .

قال ابن الأثير : (فيه « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ، حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له بُولَس » هكذا جاء في الحديث مسمى) وهذا يؤكد - كما أسلفت - أن الجزاء لهؤلاء الطاغين المستكبرين على إخوانهم المؤمنين كان من جنس العمل ؛ إذ كان جزاء هذا التعالي الممقوت أن يحشروا أمثال الذر ، وليس هذا فحسب ، بل يُزادون عقوبة تحمل ما تحمل من العذاب البئيس المهين وهي أن يُسَقَوْا من عصارة أهل النار التي هي طينة الخبال !! .

سبحان جبار السماوات والأرض : أيُّ مشهدٍ هذا المشهد البالغ العظة الناطق بالعدالة الإلهية ، المشهد الذي ينم عن سوء وشناعة ما كان عليه هؤلاء العصاة المستكبرون الذين خالفوا عن قول الله تعالى في صفة أهل الإيِّان ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ؛ إنهم قبل أن يسقوا من طينة الخبال يحشرون أمثال الذر ، والذرُّ النمل الأحمر الصغير ، وهو من المخلوقات التي لا يؤبه لها بحسب الظاهر . سئل الإمام في اللغة ثعلبٌ عنها فقال : إن مائة نملة وزنُ حبة ، والذَّرَّةُ واحدةٌ منها .

اللهم اجعلنا أذلةً على المؤمنين أعزةً على الكافرين ، واحشرنا يوم القيامة في زمرة عبادك الخاشعين المتواضعين برحمتك يا خير الراحمين .

المقيمون على مظالم العباد..

مشهدهم هناك!

عما يدعو إلى الكثير من العِظَةِ والتذكر - على صعيد ما يجب من أداء الحقوق، والبعْدِ عن التظالم في الدار العاجلة - ما تطالعنا به نصوص السنة المطهرة - وهي المبينة للكتاب العزيز - من أخبار غنية بالمشاهد التي تعلن إعلانها يوم القيامة ، في شأن الظلم واقتصاص المظالم ، وما يكشف عن عاقبة التظالم في الدماء ، والأموال والأعراض ، وسائر الحقوق . قال الإمام البخاري في باب « من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته » من كتاب المظالم في الجامع الصحيح : حدثنا آدم بن أبي إياس قال : حدثنا سعيد المقبريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات ، أخذ من سيئات صاحبه فحُمِّل عليه » قال أبو عبد الله : قال إسماعيل بن أبي أويس : إنما سمي المقبريُّ لأنه كان ينزل ناحية المقابر ، قال أبو عبد الله : وسعيد المقبريُّ هو مولى بني ليث ، وهو سعيد بن أبي سعيد واسم أبي سعيد : كيسان .

ومن فقه الإمام البخاري أنه جاء بهذا الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً في كتاب الرقاق من الجامع الصحيح تحت باب عنوانه « باب القصاص يوم القيامة ، وهي الحاقَّة لأن فيها الثواب وحواقَّ الأمور » ولفظه « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ، فإنه ليس ثمَّ دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات ، أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه » .

المظلمة - بفتح الميم الأولى وكسر اللام - والظلامَةُ - كثُمَاة - ما تظلمه الرجل - وقال الفيومي في « المصباح المنير » : المظلمة اسم لما تطلبه عند الظالم . ومعنى « من كانت له مظلمة لأخيه » : من كانت عليه مظلمة لأخيه ، لأن اللام في « له » بمعنى على . وتأيد ذلك بما رأينا من قريب من رواية البخاري التي أخرجها من طريق مالك عن المقبري إذ جاء اللفظ هناك : « من كانت عنده مظلمة لأخيه » . وما جاء عند الترمذي - كما سيأتي - من طريق زيد بن أنيسة عن المقبري أيضاً « رحم الله عبداً كانت له عند أخيه مظلمة ... » الحديث .

هكذا يدعو النبي ﷺ - وهو الرحيم بأمته - يدعو المسلم إلى رد مظلمة أخيه هنا في الدار العاجلة ، وأن يتحلَّله منها ، سواء أكان ذلك من عرضه ، أم من ماله أم من حريته وكرامته ، وإنسانيته ، أم من أي شيء آخر ، قبل أن يأتي يوم لا دينار يفقدى به ولا درهم ، ولكنها الحسنات والسيئات !!

فإن عاد هذا الظالم إلى صوابه ، فتاب وأناب ، وأدى الحقوق متحللاً منها : فيها ونعمت ، وإلا فسوف يشهد الخلق - يوم المعاد - صورة عميقة الدلالة بالغة التأثير، شديدة الرهبة، للمؤاخذه على هذا الظلم - مهما كان شأنه - لأن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده مُحَرَّمًا كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم وغيره : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .. » الحديث .

فالظلم تخوفُ العاقبة ، مُظْلِمُ المَالِ يوم يشتد الكرب في عرصات القيامة وتشخص الأبصار . إن مشاهد الظالمين المفزعة المجللة بالخزي ؛ يوم تراههم مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ... إن هذه المشاهد التي أخبر الله عنها ورسوله ، جديرة - والذي أمر بالعدل والإحسان - أن ترتفع بالمسلم إلى حيث يراقب الله في نفسه، فلا يظلمها بالمخالفات ، ويراقب الله في حقوق الآخرين ، فلا يظلم أحداً من إخوانه شيئاً ؛ هنالك يكون قد رعى آخرته

حقَّ رعايتها ، ولم يقع فيها حذر منه المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله: «...إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات ، أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . ورب العالمين لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، مهما أحيط الظلم بالزخرف ، ومعسول القول ومُظاهرة الشياطين والمنافقين الذين لا يرجون الله وقاراً .

هذا ولفظ الحديث عند الترمذي من رواية أبي هريرة رضي الله عنه « رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال ، فجاءه فاستحلَّه قبل أن يؤخذ وليس ثمَّ دينار ولا درهم ، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم تكن له حسنات حملوه عليه من سيئاتهم » .

وإذا رأيت كيف يُعدُّ من شاء الله لهم دخول الجنة بعد أن أدبوا بدخول النار.. إذا رأيت كيف يُنقَّون من آثار الظلم وتُصَفَّى نفوسهم من رواسب التجاوز لحقوق الآخرين ، إذا رأيت ذلك كله ثمَّ ... رأيت أمراً عجيباً ، له دلالة الفاعلة ، على ما للظلم من أثر في عاجل الإنسان وآجله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ جاء في «باب قصاص المظالم» من كتاب المظالم في الجامع الصحيح للإمام البخاري ما أخرج - رحمه الله - بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نَقُّوا وهُدِّبُوا أُذِنَ لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحُدُّهم بمسكنه في الجنة ، أدلُّ بمنزله كان في الدنيا » .

المراد بالمؤمنين هنا: بعضهم ؛ فهو عام أريد به الخصوص . واستظهر الحافظ أن القنطرة طرف الصراط مما يلي الجنة قال : ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة . والمراد بكونهم يتقاصون تتبَّع ما بينهم من المظالم ، وإسقاط بعضها ببعض . ومن الواضح أنهم إذا هُدِّبُوا ونَقُّوا - أو ونَقُّوا كما في رواية أخرى - أي خلصوا من

الآثام بمقاصصة بعضها ببعض ، أذن لهم بدخول الجنة .

وقد أورد الإمام البخاري الحديث أيضاً في كتاب الرقاق من الجامع الصحيح من رواية أبي سعيد الخدري أيضاً ولفظه « يخلص المؤمنون من النار ، فيُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار ، فيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبُوا وَنُقُوا ، أذن لهم في دخول الجنة . فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » .

يالها من عظة بالغة ، يشرق بها هذا المشهد ، الذي يثير في المؤمنين كوامن الأخوة ، وما يجب للحفاظ عليها من البعد عن الظلم ، وكل ما هو منه بسبب ، ويباعد بينهم — أن لو أخذوا ذلك بقوة — وبين أن يكونوا نهياً مقسماً للأهواء والنزوات ، ويقفهم على حقيقة : أن الأمر ، إذا عجزت عنه ضوابط دار الفناء ، فدار البقاء هي الموعد ، وإن ربك لبالمرصاد .

ومما يشهد للحديث الذي نسعد باصطحابه ، ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند البخاري من قول النبي ﷺ : « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ قِبَلَهُ مَظْلِمَةٌ » .

وموعدنا كلمات قادمات نتابع فيها — إن شاء الله شذرات مما تفيض به نصوص الهدي النبوي من طرائق الخير التي تسعد الآخذين بها ، المستضيئين بنورها في الدارين ، وترسي قواعد العدل والإحسان والتراحم فيما بينهم — والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

مواكب السناء..

والشهيد الممتحن في دار الخلود

كلما تبصر المرء في سيرة أولئك الذين رزقوا حُسنَ النظر ، فيما قدمت أنفسهم لغدهم يوم الحساب ، ازداد يقيناً بِعِظَم ما كانوا عليه ، من وَجَلِ القلوب إذا ذكر الله ، وعميقِ التدبر لآيِ الكتاب العزيز ، وصدقِ التأسي بإمام المتقين ، سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام . وذلك ما سماهم عن صفائر الأمور وسفسافها ، وجعل النجاة في العقبي : مبتغاهم الذي يؤرقهم نيله والوصول إليه . قرأت في سيرة الإمام الحجة والفقيه الثقة ، عالم الجزيرة ومفتيها أبي أيوب الجزري ميمون بن مهران المتوفى سنة سبع عشرة ومائة للهجرة ، ما روى أهل التراجم والسِّير عن ولده عمرو بن ميمون بن مهران : من أنه أخذ بيده لزيارة الحسن البصري رحمه الله ، وكان من أمر هذه الزيارة : أنها حملت إلينا - فيما حملت - مزيداً من التذكير بالآخرة ، والعناية بكل ما يوقظ القلب ، ويباعد عن الغفلة ، مما هو ديدن السالكين الموفقين .

يقول عمرو : « فطرت الباب ، فخرجت إلينا جارية سداسية فقالت : من هذا ؟ قلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ، فقالت : كاتب عمر بن عبدالعزيز ؟ قلت لها : نعم . قالت : يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟ قال : فبكى الشيخ ، فسمع الحسن بكاءه ، فخرج إليه ، فاعتنقا ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد قد أنست من قلبي غلظة فاستلن لي منه . فقرأ الحسن : بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ أفرأيت إن متّعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتّعون ﴾ قال : فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله ، كما تفحص الشاة المذبوحة ، فأقام طويلاً ثم أفاق . فجاءت الجارية فقالت : قد

أتعبتم الشيخ ، قوموا تفرقوا ؛ فأخذت بيد أبي فخرجت به ثم قلت : يا أبتاه ، هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا . قال : فوكزني في صدري وكزة ، ثم قال : يا بني لقد قرأ علينا آية ، لو فهمتها بقلبك لأبقى لها فيك كلوماً .

ومن كلماته - يرحمه الله - التي تدل على مدى خوفه على نفسه ، وعلى إخوانه المؤمنين ، من سوء العاقبة يوم الدين ، وحرصه على النصح لكل مسلم : قوله - كما ذكر الذهبي في السير - « ثلاث لا تَبْلُوَنَّ نفسك بهن : لا تدخل على السلطان - وإن قلت : أمره بطاعة الله - ولا تُضغِئَ بسمعك إلى هوى ، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه ، ولا تدخل على امرأة - ولو قلت أعلمها كتاب الله - » وقال له رجل : يا أبا أيوب ما يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم ، فقال : « أقبل على شأنك ما يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم . »

ذلكم هو الأدب مع الله ، والورع الذي تبعث عليه مخافة الله واليوم الآخر . جاء في « الحلية » و « سير أعلام النبلاء » : قال الإمام أبو الحسن الميموني - حفيد ميمون ابن مهران - قال لي أحمد بن حنبل : (إني لأشبهُ ورع جدك بورع ابن سيرين).

وفي خضم الحياة الزاخرة بالمطالب المادية وبالمعوقات التي تصرف الكثيرين عن استذكار المآل بعد الموت ، وما ينتهي إليه أمر الناس بعد قيام الساعة ، وكيف يتفاضل العباد بما قدموا من عمل في الدنيا ؛ إذا الناس فريق في الجنة وفريق في السعير ... في هذا الخضم المرعب - وسلطان المادة والقيم المهزوزة مهيمناً على بعض النفوس - تبدو فضيلة هؤلاء البررة الأصفياء ، وتبرز ضرورة التأسّي بعباد الله الصالحين الذين هم على دُكرٍ أبداً من يوم البعث والنشور ؛ لما أنهم على النبع الصافي من سيرة سيد المرسلين ! وكم في هديه صلوات الله وسلامه عليه - وهو المؤمن على بيان القرآن الحكيم - من طرائق مباركة إذا سلكها المسلم - بخلوص نية وصدق عزيمة - انتهت به - فضلاً من الله ورحمة - إلى ما بشر به المولى عباده المجاهدين المتقين المخبتين من جنات تجري تحتها الأنهار ، لا يمسهم فيها نصب

ولا يمُسُّهم فيها لغوب ، يتجدد فيها العطاء الرباني ، على أرائك النعيم الخالد المقيم .

والراية السامقة المضيئة في هذه الطرائق ، راية من أخلصوا عملهم لله ، وجاهدوا فيه - سبحانه - حق الجهاد . ولا تسَلْ عن الشهداء ، الذين يرى الناس بأم أعينهم ، ما تشرق به مشاهد القيامة من منة الله عليهم ، بما ينالون من الكرامة وما يحظون به من قرّة أعين لا يفضلهم بها النبيون عليهم الصلاة والسلام ، إلا بما أعطوا من درجة النبوة .

أخرج ابن حبان في صحيحه - واللفظ له - وأحمد بإسناد جيد ، والطبراني والبيهقي عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « القتل ثلاثة : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يُقْتَلَ ، فذلك الشهيد الممتحن في جنة الله تحت عرشه لا يفضلُه النبيون إلا بفضل درجة النبوة ، ورجل فَرِقَ على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو ، قاتل حتى قتل ، فذلك مُضْمِصَةٌ تحت ذنوبه وخطاياها - إن السيف محاء للخطايا - وأدخل من أي أبواب الجنة شاء ؛ فإن لها ثمانية أبواب - ولجهنم سبعة أبواب - وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله ؛ حتى إذا لقي العدو ، قاتل حتى قتل ، فذلك في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق » .

الضمير في قوله : « وبعضها أفضل من بعض » يعود إلى أبواب الجنة « الممتحن » : بفتح الحاء المهملة : الذي انشرح صدره ، ومنه قوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أي شرحها ووسعها ، أو أخلصها للتقوى ، من قولهم : امتحن الذهب إذا أذابه واختبره ، فمِيزَ إبريزه من غيره . وقال ابن الأثير في « النهاية » : (فيه « فذلك الشهيد الممتحن » هو المصطفى المذهب . مَحَنَتْ الفضة ، صَفَيْتَهَا وَخَلَصَتْهَا بالنار . وفي حديث الشعبي « المِحْنَةُ

بدعة» هي أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ، ويقول : فعلت كذا وفعلت كذا ، فلا يزال به حتى يسقط ويقول ما لم يفعله ، أو ما لا يجوز قوله ، يعني أن هذا الفعل بدعة).

وقد جاء في رواية لأحمد : « فذلك المفتخر في خيمة الله تحت عرشه » بدل «الممتحن » ولعله - كما يقول الحافظ المنذري - تصحيف .

وما أثقلها عبرةً وأروعها عظةً - للمتأمل المتدبر - أن يكون ما أقدم عليه المقاتل في سبيل الله من بذل نفسه وماله ، بريدّه - بعون الله وفضله - إلى هذه المنزلة التي يبصرها العباد مشرقةً آتخاذةً يوم يقوم الأشهاد .

وماذا أنت قائل بذلك الذي يمحو الله ذنوبه وخطاياهم ، بسيفه الذي بات يقطر دماً من أعداء الله في ساحة الجهاد ؛ ذلكم قوله عليه الصلاة والسلام - كما مرّ آنفاً - : « فتلک ممصصة تحث ذنوبه وخطاياهم » فنال بفضل الله تلك المنزلة التي وصفها الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه .

الممصصة المطهرة . وأصله من المؤص وهو الغسل . جاء في النهاية لابن الأثير : (فيه : «القتل ممصصة» أي مطهرة من دنس الخطايا . يقال : مصمص إناءه : إذا جعل فيه الماء ، وحركه ليتنظف . وإنما أنثها والقتل مذكر ، لأنه أراد معنى الشهادة: وهذا من بلاغته عليه الصلاة والسلام . أو أراد «فعله ممصصة»، فأقام الصفة مقام الموصوف).

ويانعم ما تُبرز هذه البشريات من عظيم قدر الجهاد في سبيل الله ، وجلال المنازل التي يشرق سناها يوم الدين للمجاهدين ، بله الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون . والحمد لله الذي جعل سيف الجهاد حمماً للخطايا وأخبر في كتابه أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص .

عاقبتهم يوم الدين..

اللَوْ لَوْ دَمَ وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكٍ

إذا ذكر المرء ما تكون عليه أحوال العباد يوم المعاد ، وما يجب من التزود لذلك اليوم بالصالح من العمل ؛ لما أنه يوم يبلغ هلع الناس فيه وخوفهم من سوء المصير مبلغه ، وتجدهم - وقد ضرب الترقب عليهم بالأمداد - لا يسأل حميم فيهم حميماً ، ولا يجد الإنسان إلا ما قدم في حياته الدنيا ... إذا ذكر المرء ذلك ، أو بعضاً منه ، أذكر ما كان عليه الرحمة المهداة صلوات الله وسلامه عليه ، من شدة الحرص على هداية الخلق ، والرغبة المنقطعة النظير ، في أن يجتنب أمتة سوء المنقلب في الأخرى ، فلم يدع أن ينوع أساليب التبليغ والبيان ، وأن يستخدم ما آتاه الله من البلاغة الفاذة المقترنة بالرحمة التي ملء بها قلبه - وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم - كيما تصل كلمته الهادية إلى أعماق النفوس ، وتستنير بها العقول والقلوب ، وهنالك تؤتي أكلها في تقويم العمل ، وسلوك الجوارح سبيلها المستقيم .

أخرج الإمام أحمد في المسند بسنده عن النّوّاس بن سَمْعَانَ الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ؛ فإذا أراد يفتح شيئاً من تلك الأبواب ، قال : ويحك لا تفتحه ؛ فإنك إن تفتحه تلجّه . والصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة : محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط : كتاب الله عز وجل ، والداعي فوق الصراط : واعظ الله في قلب كل مسلم » .

ولكم يبدو أهل الفلاح الذين انتفعوا بهذا الهدى المحمدي ، جديرين بالغبطة

والثناء ، لما أنهم قد وُفّقوا لسلوك طريق السعادة في عاجلهم وآجلهم ؛ ففي الدنيا طمأنينة ورضى ، ومسارة دائبة إلى فعل الخيرات ، والقيام بالطاعات والجهاد في سبيل الله . وفي الآخرة فوز مبین ، ونعيم في الجنة مقيم ، ورضوان من الله الكريم المنان ، لا يسخط بعده أبداً . وسبحان من لا رب غيره ولا خير إلا خيره وهو - جل شأنه وتباركت أسماؤه - ذو الفضل العظيم .

وإذا كان الأمر كذلك : فلسوف يبرز للعيان يوم القيامة ما يؤكد هذه الحقيقة - وما أكثر مؤكداً يومذاك - . ونشير هنا إلى مشهد بالغ الإثارة والتعبير ؛ مشهد أولئك الذين كُلموا في سبيل الله - وهم يقارعون أعداء الله في ساحات الجهاد - كيف يكون اللون في جراحاتهم لون الدم ، والريح ريح المسك .. الأمر الذي يذكّر بعظمة هؤلاء الرجال عند الله ، وَضَعَةِ القادرين المتقاعسين ، الراضين بالعودة عن بذل المال والنفس في سبيل الله ... وشتان بين عاقبة هؤلاء ، وعاقبة أولئك ، يوم يقف الناس للمساءلة والحساب .

روى الإمام البخاري بسنده عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طَعْنَتْ تَفْجَرُ دَمًا : اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالْعَرَفُ عُرْفُ الْمَسْكِ » ورواه أحمد .

« كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُهُ » : أي كل جرح يجرحه . والعرف : بفتح العين وسكون الراء : الريح . وأعاد الضمير مؤثراً في قوله « كهيتها » لأنه أراد الجراحة . هكذا يكون الأمر : لون الدم هو اللون المعروف ، ولكن الريح ريح المسك .

تبارك الله !! ما هذه المنقبة العظيمة المعبرة التي يشهدها أهل الموقف أجمعون ، وما هذه اللغة التي ينطق بها دم المصابين في سبيل الله بلونه الأخاذ ورائحته الزكية !! ألا إن الأمر بجلاله وبهائه يدعو إلى الكثير من التَّبَصُّرِ والاعتبار ، والمشهد له أكثر من دلالة ، ويحمل أكثر من عظة ؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (والحكمة في كون الدم يأتي يوم القيامة على هيئته : أنه يشهد لصاحبه بفضلله ،

وعلى ظالمه بفعله . وفائدة رائقته الطيبة: أن تنتشر في أهل الموقف ، إظهاراً لفضيلته أيضاً).

ولا يخفى على ذي بصيرة ، أن تلك المنقبة - كما يدل الحديث - إنما تكون لمن كانت جراحاته في سبيل الله ، فإخلاص النية لله عز وجل: حجر الزاوية في الموضوع ، وقد جاء ذلك صريحاً في بعض الروايات الأخرى ؛ فعند البخاري في الجهاد من طريق الأعرج عن أبي هريرة : « والله أعلم بمن يُكَلِّمُ في سبيله » . وأخرج مسلم في كتاب الإمامة من صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكَلِّمُ في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثْعَبُ ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك » .

يُكَلِّمُ : يُجرح - يثْعَبُ : يجري متفجراً أي كثيراً ، وهو بمعنى ما جاء في الرواية السابقة عند البخاري « يتفجر دماً » قال ابن الأثير في النهاية : (فيه يجيء الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دماً » أي يجري . ومنه حديث عمر رضي الله عنه « صلى وجرحه يثعب دماً »).

ومما يجدر ذكره ، أن العلماء ، في شرحهم لهذا الحديث وأمثاله ، أدركوا من قوله عليه الصلاة والسلام : « والله أعلم بمن يُكَلِّمُ في سبيله » أنه - بجانب ما تنبه عليه الكلمات الهاديات من وجوب الإخلاص لله عز وجل ، وأن ما يعطاه المكلوم يوم القيامة من الفضل ، منوط بذلك الإخلاص ... - تشعر أيضاً بتعدد الميادين التي يمكن أن يقتل فيها المؤمن ، أو يكلم ويكون ذلك في سبيل الله . قال الإمام النووي رحمه الله : (هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو ، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه ، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا . قالوا : وهذا الفضل وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار .. فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة ، وقطاع الطرق ، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك والله أعلم). فطوبى لعاملين المخلصين في كل ميدان من ميادين الخير ، ما يلقون

من الكرامة يوم القيامة، جزاء ما أصابهم وهم يجاهدون ويعملون في سبيل الله ،
أياً كان الثغرُ الذي أقامهم الله عليه في هذه الدار ، دار العمل والتزود النافع لدار
الجزاء .

وبعد : فلا ينسينك بهاء الموقف وجلاله - وأنت تشهد ما ينطق به دم الشهيد ،
أو المكلم في سبيل الله ، يوم العرض الأكبر - ما جاء في رواياتٍ أُخِرَ للحديث ،
حملت مزيداً من التجلية للترغيب في الجهاد الصادق في سبيل الله ، لإعزاز هذا
الدين ، وما يدعو إلى حسن التأسي في ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام . .

روى مسلم من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي
وتصديقاً برسلي ، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى مسكنه الذي
خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده : ما من كلم
يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم ، لونه لون دم وريحه ريح
مسك . والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف
سرية تغزو في سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعةً ،
ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده : لوددت أني أغزو في
سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » .

تضمّن : تكفّل . ومعنى « لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي » لا يخرجه إلا محض
الإيمان والإخلاص لأجل الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته في العالمين .

ومعنى « وتصديق كلمته » أي كلمة الشهادتين ، وقيل : تصديق كلام الله بها
للمجاهد من عظيم الأجر ورفع المنزلة . وفي شأن المراد بقوله : « فهو عليّ ضامن »
قال الإمام النووي : ذكروا في « ضامن » هنا وجهين : أحدهما - أنه بمعنى
مضمون؛ كما دافق ومدفوق ، والثاني - أنه بمعنى ذو ضمان .

وهنيئاً للمجاهدين القتل أو الجرح في سبيل الله ، وما يكرمون به على مشهد من
الخلائق أجمعين يوم التناد .

جنتان.. جنتان

وحور مقصورات في الخيام

الله ما أعظم ما يتفضل به الله على عباده الأبرار ، يوم يوفي الناس دينهم الحق وتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء: تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ؛ وكلما ازداد المؤمن تبصراً في تلکم الأخبار الصادقة عن يوم الدين وما يكون فيه ، ازداد يقيناً بعظم الفضل وكریم الإحسان ، لأولئك الذين أخلصوا دينهم له سبحانه ، وجاهدوا في سبيله مقبلين غير مدبرين ، ولم يدعوا أن يأتوا بالطاعات وصالح الأعمال ، على الوجه الذي يرضيه سبحانه وتعالى . قال الإمام البخاري تحت باب ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ من سورة الرحمن : وقال ابن عباس : حور : سودُ الحَدَق . وقال مجاهد : مقصورات : محبوسات ، قُصِرَ طرفُهن وأنفسهن على أزواجهن . قاصرات لا يبيغن غير أزواجهن .

ثم قال محمد بن إسماعيل رحمه الله : حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبدالعزيز بن عبد الصمد قال : حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه « أن رسول الله ﷺ قال : إن في الجنة خيمةً من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون » .

« وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من كذا آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبر على وجهه في جنة عدن » .

عبدالله بن قيس هو : أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، والراوي عنه ابنه أبوبكر . قال الحافظ ابن حجر عند قوله : « يطوف عليهم المؤمنون » قال الدمياطي : صوابه « المؤمن » بالافراد . وأجيب بجواز أن يكون من مقابلة

المجموع بالمجموع . وكشف رحمه الله عن أن «جنتان من فضة» معطوف على شيء محذوف تقديره : هذا للمؤمن ، أو هو من صنيع الراوي . وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : جنتان... الخ.

وسبق أن رأينا : ما أخرج البخاري تحت باب ﴿ ومن دونها جنتان ﴾ من سورة الرحمن ، في كتاب التفسير من الجامع الصحيح من رواية أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أبي موسى « أن رسول الله ﷺ قال : «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر - أو الكبرياء - على وجهه في جنة عدن» .

هذا : وللعلماء كلام حول ما جاء في آخر الحديث « وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر - أو الكبرياء - على وجهه في جنة عدن » حاصله - كما يقول الحافظ - أن رداء الكبر مانع من الرؤية ؛ فكأن في الكلام حذفاً تقديره بعد قوله : إلا رداء الكبرياء : فإنه يمن عليهم برفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه ؛ فكأن المراد أن المؤمنين ، إذا تبوأوا مقاعدهم من الجنة ، لولا ما عندهم من هيبة ذي الجلال ، لما حال بينهم وبين الرؤية حائل ؛ فإذا أراد إكرامهم ، حفهم برأفته ، وتفضل عليهم بتقويتهم على النظر إليه سبحانه .

قال الحافظ : ثم وجدت في حديث صهيب في تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى : الحجاب المذكور في حديث صهيب ، وأنه - سبحانه وتعالى - يكشف لأهل الجنة إكراماً لهم . والحديث عند مسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان ، ولفظ مسلم - وقد مر بنا من قبل - أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم منه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ » أخرجه مسلم عقب

حديث أبي موسى ولعله أشار إلى تأويله به ، ومعنى حديث الباب - كما يرى القرطبي في «المفهم» - أن مقتضى عزة الله واستغناؤه: أن لا يراه أحد ، لكن رحمة المؤمنين اقتضت أن يريهم وجهه إكمالاً للنعمة ، فإذا زال المانع ، فعل معهم خلاف مقتضى الكبرياء ؛ فكأنه رفع حجاباً كان يمنعهم . ونقل الطبري عن علي وغيره في قوله تعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾ قال : هو النظر إلى وجه الله . وقال المازري رحمه الله : كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ، ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها ، فعبر عن زوال المانع ورفعها عن الأبصار بذلك .

وما من ريب في أن من علامات الفلاح عند المؤمن : أن تزيده تلکم البشريات حرصاً على العمل الصالح في كل شأن من شؤونه ، وأن يكون هجيره مرضاة الله تعالى ، كيما يفوز في الآخرة بما يفوز به أولئك الذين بشرهم النبي ﷺ ، بياناً لما جاء في الكتاب الكريم من ذلك ؛ وسبحان من أرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين . ثم إن رواية الحديث عند مسلم قد جاءت بلفظ « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » . وله في رواية أخرى « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها ، أهل لا يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن » .

وقال الإمام الترمذي في كتابه « السنن » - جامع الترمذي - باب « ما جاء في صفة غرف الجنة » من كتاب صفة الجنة : حدثنا محمد بن بشار قال : « حدثنا عبدالعزيز أبو عبدالصمد العمي عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله ابن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة جنتين : آنيتهما وما فيهما من فضة ، وجنتين آنيتهما وما فيهما من ذهب ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة خيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو عمران الجوني : اسمه عبد الملك بن حبيب ، وأبو بكر بن أبي موسى : قال أحمد بن حنبل : لا يعرف اسمه ، وأبو موسى الأشعري اسمه عبدالله بن قيس ، وأبو مالك الأشعري اسمه سعد بن طارق بن أشيم .

ومن الجدير بالذكر : أن العلماء فهموا من مجيء قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ ومن دونها جنتان ﴾ بعد الكلام على فضله سبحانه على عباده الذين يخافون مقامه - جل شأنه - بقوله ﴿ ولن خاف مقام ربه جنتان ﴾ أن هاتين الجنتين دون اللتين قبلهما في المرتبة ، والفضيلة ، بنص القرآن . قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ومن دونها جنتان ﴾ من دونهما في الدرج ، والدرج المراقي جمع درجة . وقال ابن زيد : من دونها في الفضل .

قال الحافظ ابن كثير : والدليل على شرف الأوليين على الآخرين وجوه : أحدها أنه نعت الأوليين قبل هاتين ، والتقديم يدل على الاعتناء ، ثم قال : ﴿ ومن دونها جنتان ﴾ وهذا ظاهر في شرف المتقدم وعلوه على الثاني .

اللهم اجعلنا من الذين يخافون مقامك - صادقين - ويفوزون بكريم عطائك في الآخرين . لك الحمد في الأولى والآخرة . توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

أهل الرسوخ في الطاعة..

وبشريات ما يكون يوم الدين

في متابعة لقراءة ما يتسع له المقام من نصوص الهدي المحمدي ، المينة للكتاب الكريم و الكشافة عما يكون من واسع فضل الله وإحسانه يوم القيامة ، وما أعد لعباده المقرّبين في دار كرامته ، من وافر العطاء : تجدر الإشارة عطفاً على ما رأينا من قريب مما روى البخاري ومسلم وغيرهما في هذا الشأن العظيم - إلى ما روى الدارمي أيضاً بسنده عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الخيمة درة مجوفة طوّلها في السماء ستون ميلاً ، في كل زاوية أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون » ورواه الإمام أحمد في المسند . قال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني أبي قال : حدثنا يحيى عن حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافته خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدي في مجرى الماء ، فإذا مسك أذفر ، قلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله - أو أعطاك ربك عز وجل - » وفي رواية له « قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله » .

ويستوقفنا في هذه النصوص وأمثالها : هذا اللون من الإكرام الإلهي الذي يتمثل في تلكم الخيام ، وإلا فقد أوردنا فيما مضى من القول ، عدداً من النصوص التي تتعلق بالكوثر ، وتفضيل الله ﷻ به . ونقع في «مسند أحمد» على مثل أو نحو ما رأينا عند الشيخين من نصوص مباركة يرد فيها ذكر الجنتين بياناً لقوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ كما يرد فيها أيضاً ذكر الجنتين الآخرين بياناً لقوله جل شأنه في السورة نفسها : ﴿ ومن دونهما جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

فقد أخرج رحمه الله بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال :
« جنتان من فضة آنيتهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما . وما بين القوم وبين
أن ينظروا إلى ربهم تعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه عز وجل في جنت عدن » .

المسك الأذفر : هو المسك طيب الريح . قال ابن الأثير في « النهاية في غريب
الحديث » في صفة الحوض « .. وطينه مسك أذفر » أي طيب الريح ، والدَّفَرُ
- بالتحريك - يقع على الطَّيِّب والكريم ويفرَّق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به ،
ومنه صفة الجنة « وتراها مسك أذفر » .

ومن كرم الله تعالى ، وبالعز منته على من أسعدهم بدخول جنته ، أن جعلها لهم
دار إقامة وثبات ؛ فهم فيها مقيمون خالدون . وقد تعدَّد ذكر هذه الحقيقة كثيراً في
القرآن الكريم ، وفي حديث النبي ﷺ ، ومن ذلك ما رأينا آنفاً من قوله صلوات
الله وسلامه عليه : « وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على
وجهه عز وجل في جنت عدن » قال الراغب الأصفهاني في « المفردات » : جنت
عدن : أي استقرار وثبات . عَدَنَ بمكان كذا : استقرَّ . وجاء في النهاية : جنة
عدن : أي جنة إقامة . يقال : عدن بالمكان يَعْدُنُ عدناً : إذا لزمه ولم يبرح منه .
وقال صاحب القاموس المحيط : عدن بالبلد يَعْدِنُ ويعْدُنُ عدناً وعدُوناً : أقام .
ومنه « جنت عدن » .

ومذا الذي يزعم لنفسه منا - نحن العبيد الضعفاء - القدرة على إحصاء ما
يجود به الكريم المنان ، على عباده الذين أحبههم وتفضل بنشر رحمته عليهم ، في دار
كرامته بعد قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
يعملون ﴾ .

وقبل هذا وبعده : لا يخفى على ذي لب أن كل لون من ألوان النعماء : يقودك
إلى لون آخر ، ويضيء في نفسك بواعث اليقين ، بصدق ما وعد الله الصالحين من
عباده الذين خلعوا الأنداد والأضداد ، وعرفوا الحق فلزموه ، ولم يبارحوا باب

الخشوع والإنابة ، متقين مولاهم حقَّ ثقاته ، مجاهدين في سبيله ، لا يخافون في نصرة الدين لومة لائم .. حتى لو انتهى أحدهم الولد أو الزراعة أو غير ذلك ، سرعان ما يعطى قال الإمام الدارمي في « السنن » : أخبرنا محمد بن يزيد القواريري عن معاذ ابن هشام عن أبيه عن عامر الأحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن المؤمن إذا انتهى الولد في الجنة كان حملهُ ووضعهُ وسنهُ في ساعة كما انتهى » . وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

وما أوفر المبشرات التي تبدو حقائق ناصعة يوم القيامة ، يسعد بها الذين كانوا في الدنيا يرجون لقاء ربهم ، ولا يفتؤون صابرين لجلاله على كل ما يعترض سبيلهم وهم على طريق النجاة يوم الدين . أرأيت إلى دلالة ذلك المشهد العظيم الذي يصف حال الأمة يومذاك ، حين يكون أهل الجنة عشرين ومائة صف ، فيكون أهل الإسلام ثمانين منها ؟ روى الإمام أحمد بسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة من ذلك ثمانون صفاً » . وفي رواية له عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « كيف أنتم وربع أهل الجنة ، لكم ربعها ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ، قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : فكيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : فذاك أكثر . قال : فكيف أنتم والشرط ؟ قالوا : فذاك أكثر ، فقال رسول الله ﷺ : أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاً » . ورواه الحاكم في « المستدرک » بنحوه عن ابن مسعود من طريق ابنه عبد الرحمن وقال : عبد الرحمن بن مسعود لم يسمع من أبيه في أكثر الأقاويل ، وقال الذهبي في « التلخيص » : لم يسمع عبد الرحمن من أبيه .

وبمثل ما رأينا من الرواية الأولى عند أحمد عن بُريدة الأسلمي رضي الله عنه ، نجد الرواية عند الدارمي وابن ماجه والترمذي والحاكم ، ولفظ الترمذي : « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم »

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . وقد روي هذا الحديث عن علقمة بن مَرْثَد عن سليمان بن بريدة عن النبي ﷺ مرسلًا . ومنهم من قال : عن سليمان بن بريدة عن أبيه .

وفي رواية الحاكم بعض الاختصار ، وقد قال بعدها : أرسله يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي عن الثوري .

والأمر البالغ الأهمية الذي لا غنى عن التذكير به في هذا المقام ، وليس من معاد القول : أن تلکم البشريات الكريمة في دار الخلود ، لم تزدد أهل الخشية إلا دأباً على الطاعة ، ورسوخاً في العبودية ، وثباتاً على طريق أهل اليقين المفلحين . قال التابعي الجليل طلق بن حبيب المتوفى قبل المائة للهجرة - وكان من العلماء الزهاد :- « التقوى : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، خوفاً من عذاب الله » .

اللهم اجعلنا من أهل الإخلاص في طاعتك ، لا تقعدنا عن العمل بشاره ، ولا تئسنا من رحمتك نذارة ، واكتب لنا برحمتك الفوز بالجنة والنجاة من النار مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

اليوم الحسير.. ومبشرات النجاة والفوز

أشرت غير مرة ، إلى أن مما تميز به السلف الصالح عليهم الرضوان : ما كان من عدم ركونهم إلى الدعة ، والفتور عن عمل الصالحات - تأثراً بما تحمل الأخبار الصادقة من مبشرات للمؤمنين ، يشرق بها العطاء الإلهي يوم المعاد - بل كان ذلك بمثابة الحافز القوي إلى مضاعفة العمل ، واستشعار الخشية من أهوال ذلك اليوم ، والحذر من الوقوع في مغبة الغتار بالله ، والغفلة عما جاء من النذر التي لا قبَل للإنسان بها ، إلا أن تناله رحمة ربه ، فينجو مع الناجين ؛ وذلك هو المسلك الصحيح ، الذي يدل على استنارة القلب والحياء من الله ، وصواب الفهم لما جاء عن الله ورسوله في شأن يوم الدين .

قال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (هذا تهديد ، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب ، حيث قال : «الكريم» حتى يقول قائلهم: غره كرمه ؛ بل المعنى في هذه الآية : ما غرَّكَ يا ابن آدم بربك الكريم - أي العظيم - حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث : «يقول الله يوم القيامة : ابن آدم ما غرَّكَ بي ؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟». وقد أورد قول البغوي: قال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿ ما غرَّكَ بربك الكريم ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته ، كأنه لقَّنه الإجابة ... أورد هذا القول ولم يجد بُدّاً من إيضاح هذه المسألة التي لها آثارها في تلک الساعات المبهولات يوم يقوم الناس لرب العالمين ؛ فردّ على تلك المقولة التي اعتبرها نوعاً من التخيل في معنى الآية . قال رحمه الله : (وهذا الذي تخيله هذا القائل ، ليس بباطل لأنه - سبحانه - إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة ، وأعمال السوء) . ولقد يستأنس لذلك بما روى ابن أبي حاتم عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿ يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بربك

الكريم ﴿ فقال عمر : الجهل . وروي مثل ذلك عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ، قال ابن عمر : غرّه - والله - جهله .

وإذا كان الأمر كذلك : فما أجدر أولئك الصالحاء الأتقياء ، بالكثير من الغبطة ؛ لما أنهم ولّوا وجوههم شطر ما فيه النجاة من عذاب الجحيم ، والفوز بجنة الخلد ونعيمها المقيم . جاء في ترجمة التابعي الجليل قاضي البصرة أبي حاجب العامري زرار بن أوفى يرحمه الله وكان من أهل الحشية والعلم والعمل - ولا نزكي على الله أحداً :- أنه صلى الصبح في مسجد بني قشير فقراً ﴿ يا أيها المدثر ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ فإذا نقر في الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير ﴾ فشقق شهقة ثم خرّ ميتاً رحمه الله . قال بهز بن حكيم راوي الخبر - كما جاء في الحلية والسير وغيرهما - : « فكنت فيمن حمله إلى داره » .

وهذا الإحساس الصادق بما تكون عليه شدة العسر يوم القيامة ، اليوم الذي وصفه الله تبارك وتعالى بأنه يوم عسير ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ - كما يشهد لصاحبه بصفاء النفس واستنارة القلب - يذكر بها رُزْقَةُ المفلحون من عباد الله من مراقبة لله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة ، كيما يعتقوا أنفسهم من النار ، ولا يوبقوها في غضب العزيز الجبار .

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله واحد من أكرم النماذج وأفضلها لهذا النهج الكريم ، ذكر في ترجمته أنه كان ينشد هذين البيتين إمالة أو لغيره :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وهذا الذي نرى : قبس من هدي النبي ﷺ في ذلك . أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله ؛ فإن الله لو كان مغفلاً شيئاً ، لأغفل البعوضة والذرة » كما أخرج عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : « لو كان الله مُغفلاً شيئاً لأغفل ما

تُعْفِي الرياح من أثر قَدَمي ابن آدم».

وما من ريب في أن الذين أكرمهم الله بفقهه تلك المعاني - التي ترتبط بأعمال القلوب ، قبل أعمال الجوارح ، وكانوا على صدق مع الله عز وجل في السر والعلانية - موقنين بأنه - جل شأنه - لا يعجزه شيء ، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء ... ما من ريب في أن هؤلاء المحبوبين لله عز وجل ، لا بد نائلون - بفضلهم وكرمه سبحانه - ما لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ من العطاء الرباني يوم القيامة ؛ ولسوف يشهد العالمون ذلك ، على أوضح صورة وأكملها ؛ حيث يفرح الصادقون الأتقياء ، بما نالهم من الخير - وهم يتقبلون بمشاهد ذلك العطاء - ويعرض الظالمون على أيديهم ، ويندم المفرطون ، ولات ساعة مندم .

والخير لهؤلاء الصفوة كائن عند الاحتضار ، ويوم يقوم الأشهاد ؛ فالنفس الزكية المطمئنة - وهي الساكنة الثابتة مع الحق - يقال لها : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَادْخِلِي فِي عِبَادِي . وَادْخِلِي جَنَّتِي﴾ يقال لها ذلك عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضاً - كما ذكرتُ آنفاً - وترى الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره ، وعند قيامه من قبره . أخرج ابن أبي حاتم من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ قال : نزلت وأبوبكر جالس ، فقال : يا رسول الله ما أحسن هذا ! فقال عليه الصلاة والسلام : «أما إنه سيقال لك هذا» . وله في رواية أخرى : قُرِئَتْ عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ فقال أبوبكر رضي الله عنه : إن هذا حسن ، فقال النبي ﷺ : «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت» .

ومشاهد اليوم الموعود ، حافلة بما يدل على ما يؤول إليه أمر تلك النفس المطمئنة من الثقلب في النعيم الذي لا يزول ، والخير الذي لا يَنفَدُ في جنات عَدْن التي وُعِدَ ؛ فكل عمل صالح - مهما قل شأنه - بحسبان ، والخاتمة الحسنى تشرق

بضياء قوله تعالى ﴿ارجعني إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي﴾ . قال الإمام أحمد في المسند: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا الفرج قال : حدثنا لقمان عن أبي أمامة - صُدِّيَّ بنِ عجلانَ - عن عمرو بن عَبَسَةَ وهو أبو نَجِيح السُّلَمي قال: قلت له: حدثنا حديثاً سمعته عن رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهَم: قال : سمعته يقول : « من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام ، فما توا قبل أن يبلغوا الحنث ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبه في سبيل الله ، كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله ، بلغ به العدو - أصاب أو أخطأ - كان له عتق رقبة ، ومن أعتق رقبة مؤمنة ، أعتق الله بكل عضو منها ، عضواً منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله ، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يُدخله الله من أي باب شاء منها » وروى أبوداود والنسائي بعضه .

معنى «من أنفق زوجين في سبيل الله»: من أنفق صنفين من ماله في سبيل الله . والمراد بالأولاد الذين لم يبلغوا الحنث : أنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ، ويجري عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث - وهو الإثم - وقال الجوهر في « الصحاح » : بلغ الغلام الحنث : أي المعصية والطاعة .

وفقنا الله لما فيه النجاة من عذابه ، والفوز بجنته عقبى أحبابه ، وهو المحمود على كل حال .

تلك عقبي الذين اتقوا..

وعقبي الكافرين النار

إذا وقعت الواقعة ، وتحقق موعود الله - بجنته ورضوانه - لأهل الهداية من عباده، كما تحقق وعيده - بنار السعير والعذاب الأليم - لأهل الضلالة منهم - وذلك حقيقة ناصعة لا مرية فيها - .. إذا حصل ذلك ، وهو حاصل لا محالة ، ازداد المؤمنون يقيناً بما كان من فضل الله عليهم ومثته أن هداهم للإيمان ، ووقفهم للطاعة، وجعلهم من عباده المتقين ، وهنا يندم المفرطون الظالمون ، ويتمنون لو يعادون إلى الدنيا ، فيعملوا غير الذي كانوا يعملون ، ولكن يتبدى لهم أن مطلبهم هذا من العبث العاثر الذي لا وزن له ولا قيمة ، بعد أن قامت عليهم الحجة ، وأعرضوا عن هداية الله ، ولم يعتبروا بسنة الله في الماضين من الظالمين والكافرين . ولقد أمر رسولنا ﷺ بأن يندر الناس هذه الحقيقة ، وأن يبصرهم العواقب؛ والسعيد من اهتدى ، والشقي من أعرض وضلَّ سواء السبيل .

والآيات في ذلك كثيرة ، نقرأ منها قول الله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبغ الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال . وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ .

قولهم : « ربنا أخرنا » : أي بأن تردنا إلى الدنيا . كما نقرأ في سورة الأعراف قوله عز وجل : ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ .

إنها العدالة الإلهية المطلقة في تئيس أولئك الظالمين الصادين عن سبيل الله في

أمانيتهم الكاذبة ، يتأكد ذلك في صورة أخرى للحوار نجدها في سورة فاطر وقول الله جل ثناؤه : ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ .

والحق أنه بقدر ما يُحسُّ هؤلاء الذين خسروا أنفسهم ، بمدى تفریطهم في جنب الله ، يفرح أهل الإيمان والطاعة ، بما ينالون من الفضل والإحسان وهم يرفلون - أعزة مكرمين - بالنعيم المقيم ، عند ربهم في دار السلام ، ويظللهم رضوان الله الأكبر وينظرون إلى وجهه الكريم - تقدس وتعالى عن الشبيه والمثيل - وسبحان من قضى بمنه وكرمه : أن للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

ومما يُفيض آثار الإيمان في النفس ، ويفترض أن يحرك الهمم للمزيد من الطاعة وعمل الصالحات ، والجهد في سبيل الله ؛ إقبالاً على الله وإخلاصاً في الدين .. أن أولئك البررة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، يجدون يوم الجزاء ، أن الله قد منَّ عليهم فجزاهم بما عملوا الجزاء الأوفى ، مهما دق هذا العمل أو جلَّ ، فزحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة ، وذلك هو الفوز العظيم .

والمؤمن على يقين لا يعتريه أدنى ريبة : أن الخلائق سوف يشهدون يوم الحساب وقوع كل ما بشر به الخبر الصادق أهل الإيمان والعمل الصالح ... يشهدون ذلك عياناً ، يقطع ما كان عليه أهل الزيغ والضلال ، أو الشك والانحراف !! .

وإنه لأمر بالغ الأهمية عند أهل البصائر ، الذين يؤرقهم المصير يوم الدين ، أن تزيد تلك الحقائق المعيّنة المؤمن إيماناً ، يسعى معه جاهدًا لمضاعفة العمل في سبيل الله ، وتجاوز المعوقات رغباً ورهباً ، وملء ساعات العمر بما ينفع يوم الدين . وفي ذلك الخير كل الخير ، للفرد والجماعة ، الأمر الذي يعود على المجتمع المسلم

بالقوة والتمكين ، وكل ما فيه سعادة الدنيا والآخرة .

ومن النماذج المشرقة على هذه الساحة - وما أكثرها وأوفرها - ما رأينا من قريب في واحدة من بشريات النبي ﷺ ؛ كيف أن زمرة من المؤمنين يضيء بهم مشهد من مشاهد القيامة ، حيث يدخل كل عامل الجنة - فضلاً من الله - بما عمل ، هذا عمل كذا ، وذلك عمل كذا ، وفق ما رسمت له الهداية النبوية - بياناً لكتاب الله العزيز - وذلك ما روى الإمام أحمد عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي أنه سأل أبا نجيع السلمي عمرو بن عَبَّسَةَ رضي الله عنهما أن يحدثه حديثاً سمعه من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم - والوهم الغلط - قال أبو نجيع سمعته يقول : « من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم . ومن شاب شبية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة . ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو - أصاب أو أخطأ - كان له عتق رقبة . ومن أعتق رقبة مؤمنة ، أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله ، فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها » .

هكذا تعلن الحقيقة إعلانها في تلك الساعات المثقلة بالأهوال ، ويشهد أهل الموقف العظيم بأم أعينهم إنجاز ما وعد الله ورسوله المخلصين في عبوديتهم لله ، العاملين بما أرشد إليه المبلِّغ عن الله ، رسول الله عليه الصلاة والسلام . وكما تحقق الخير على أيديهم في الدنيا دار العمل ، أكرموا بثمرات ذلك في دار الجزاء .

وأبونجيع هذا صحابي جليل نقل الحافظ ابن حجر عن الواقدي انه أسلم بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه ، ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة . وقال ابن سعد : يقولون : إنه رابع أو خامس في الإسلام ، وقال أبو نعيم : كان قبل أن يسلم يعتزل عبادة الأصنام رضي الله عنه وأرضاه .

وهذه رواية أخرى عند أحمد يستوثق فيها السائل أكثر وأكثر عن حديث رسول الله ﷺ . قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني أبي قال : حدثنا هشيم قال : حدثني

عبد الحميد قال : حدثني شهر قال : حدثني أبو طيبة قال : إن شُرْحِبِيلَ بْنَ السَّمُطِ دعا عمرو بن عبسة السلمي أبا نجيح فقال : ابن عَبَسَةَ هل أنت محدثي حديثاً سمعته أنت من رسول الله ﷺ ليس فيه تزيّد ولا كذب ، ولا تحدّثنيه عن آخر سمعته منه غيرك ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قد حقّت محبّتي للذين يتحابون من أجلي ، وحقّت محبّتي للذين يتصافون من أجلي ، وحقّت محبّتي للذين يتزاوون من أجلي ، وحقّت محبّتي للذين يتباذلون من أجلي » .

وقال عمرو بن عبسة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيّها رجلٍ رمى بسهم في سبيل الله عز وجل فبلغ - مخطئاً أو مصيباً - فله من الأجر كربة يعتقها من ولد إسماعيل ، وأيّا رجل شاب شية في سبيل الله ، فهي له نور يوم القيامة ، وأيّا رجل مسلم ، أعتق رجلاً مسلماً : فكل عضو من المعتق بعضو من المعتق ، فداءً له من النار ، وأيّا امرأة مسلمة : أعتقت امرأة مسلمة ، فكل عضو من المعتقة بعضو من المعتقة فداءً لها من النار . وأيّا رجل مسلم ، قدم لله عز وجل من صلبه ثلاثة لم يبلغوا الحنث - أو امرأة - فهم له سترة من النار ، وأيّا رجل ، قام إلى وضوء يريد الصلاة فأحصى الوضوء أماكنه ، سلم من كل ذنب أو خطيئة له ؛ فإن قام إلى الصلاة ، رفعه الله عز وجل بها درجة ، وإن قعد قعد سألماً » فقال شرحبيل بن السمط . أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ يا ابن عبسة ؟ قال : نعم والذي لا إله إلا هو لو أني لم أسمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو ست أو سبع - فأنهاى عند سبع - ما حلفت ، يعنى ما باليت أن لا أحدث به أحداً من الناس ولكن والله ما أدري عدد ما سمعته من رسول الله ﷺ .

سبحان الله ، تلك عقبي الذين اتقوا ؛ بما استجابوا لدعوة الحق ، وسلكوا طرائق البر ، وعقبى الكافرين المعرضين عن الهداية ، أعداء الحق وأهله : النار .

تنطلق أقتاب بطلنه في النار.. ومسؤولية الكلمة

الاهتمام بالعقبى ، وما يمكن أن تكون عليه حال المرء في الآخرة ، قضية كبرى ، أَرَقَّتْ أهل القلوب ، وجعلت العلماء العاملين ، على حذر يحملهم على مزيد من الورع ، واللجوء إلى الله عز وجل ، كيما يَمُنَّ عليهم بالنجاة يوم الحسرة ، وأن يحشروا في زمرة الآمنين .

كان عليّ أن أقدم هذه الكلمات ، بين يدي ما قرأت في سيرة واحد من أعلام العربية الكبار ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، الثقة الحجة أحمد بن يحيى بن زيد ابن سيار الشيباني بالولاء ، المشهور ، بـ «ثعلب» والمتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة . قال عنه الخطيب البغدادي : ثقة حجة دَيِّنُ صالح ، مشهور بالحفظ .

فعلى كل ما قدمه للعربية التي هي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والمعرفة بها ركن ركين في العلم بالشرعية وأحكامها وآدابها ، ومعرفة معاني الكلام ودلالاته... نجده على حال من الخوف عما تكون عليه حاله يومذاك ؛ فقد روي عنه - رحمه الله - قوله : « اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فياليت شعري ماذا تكون حالي في الآخرة ؟ » أرايت إلى هذا الخوف من يوم الوعيد ؟.

وإنما كان ذلك من هذا العلم من أعلام الأمة ؛ لما أنه يقدر يوم الحساب قدره ، ويدرك مسؤولية العالم في نفسه وأهله وفي الأمة ، وما كان من الوعيد لمن لا يعمل بعلمه ، أو يطلب بهذا العلم الدنيا ، أو القرب من السلطان ؛ ناهيك عن الرغبة في المباهاة ، وأن يقال له « عالم » معرضاً عما هو على يقين منه ، وهو أن الله جل

شأنه لا يخفى عليه من عباده شيء ، فهو يعلم السر وأخفى . ومنذ الذي ينكر أن خدمة هذه اللغة الميمونة المقدسة بإخلاص خدمة للإسلام ، وأن العناية بها من الدين : ولكنه خوف الله واليوم الآخر ، حمل عالمنا الكبير ، على قول ما قال . أجزل الله مشوبته وأعطاه يوم المعاد ، خير ما يعطي العلماء العاملين أهل الحشية الصادقين .

هذا : ووحدة المنهج الفكري عند المؤمن - في تصوره وسلوكه - توجب أن لا يغيب عن البال ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من الوعيد لأولئك الذين يستبدلون عرض الدنيا بمرضاة الله تبارك وتعالى ، وما يكون من افتضاحهم على رؤوس الخلائق ، يوم لا يغني عنهم ما كسبوا - طاعة للهوى والشيطان - شيئاً ، وما لهم من الله من ولي ولا نصير . من ذلك ما أخرج البخاري - كما أشرنا من قبل - عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ، ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن المنكر وآتية » رواه عُذْرٌ عن شعبة عن الأعمش .

إنه مشهد مخيف حقاً ، وهو مشهد جدير - وأيم الله - أن يتدبره العالم ، وينظر من خلاله فيما هو عليه من مقدار التحسب للعاقبة ، يوم الرجعى إلى الله ، لا إلى أحد سواه ؛ الأمر الذي يسعفه - بعون الله - في تجاوز ما يكون من رغب ، أو رهب السلطان وأعوانه ، وما يكون من سحر الدنيا - بمناصبها وزخرفها - ناهيك عن تسويل بطانة السوء ، وأصحاب الأهواء الذين يتقنعون - عند الاقتضاء - بقناع الغيرة على الحق ، وما يذعونه - زوراً وبهتاناً - بالمصلحة العامة ، وخدمة الإسلام .

معنى تندلق أقتابه - أو أقتاب بطنه كما في بعض الروايات - تخرج أمعاؤه من مكانها في جوفه وتقع في النار - أعاذنا الله من ذلك - فالاندلاق : خروج الشيء

من مكانه . والأقتاب : الأمعاء : جمع قَتَبٍ أو قَتَبَةٍ على رأي الأصمعي . وقال ابن الأثير : (وفي حديث الربا « فتندلق أقتاب بطنه » الأقتاب : الأمعاء ، واحداها : قَتَبٌ بالكسر .. والاندلاق : خروج الشيء من مكانه يريد خروج أمعائه من جوفه . وأورد الزمخشري في كتابه « الفائق في غريب الحديث » النص بكامله ثم بين المراد من الاندلاق والأقتاب . والحديث رواه مسلم أيضاً وأحمد . كما رواه ابن أبي الدنيا وابن حبان والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه ، وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في رواية لهما « ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به » .

ولفظ الحديث عند أحمد - في بعض الروايات - : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها في النار كما يدور الحمار بالرحا ، قال : فيجتمع أهل النار إليه ، فيقولون : يا فلان أما كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية » .

وتكشف رواية أخرى عند أحمد عن أن هذا المشهد المروع ، هو أيضاً مشهد رجل كان يطاع في معاصي الله عز وجل ، ولفظها : « يؤتى بالرجل الذي كان يطاع في معاصي الله تعالى ، فيقذف في النار ، فتندلق أقتابه ، فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرحا ، فيأتي عليه أهل طاعته من الناس ، فيقولون : أي فل - يعني أي فلان - أين ما كنت تأمرنا به ؟ فيقول إني كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره » .

ولكم يغبط أولئك الذين تشرق قلوبهم بهداية الله ، فينتفعون بها نبه عليه الرحمة المهداة إمام الأنبياء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام !! وصورة هذا الانتفاع أن لا ينسوا لقاء اليوم الموعود ، فيسلوكوا طريق الاستقامة والأمانة ؛ علماً وعملاً وسلوكاً ، وبذلك يحظون بأن يباعدهم الله من النار وأهوالها في ذلك اليوم ، ويجعلهم في زمرة العلماء العاملين الذين لا يخافون في الله لومة لائم... وإلا فالأمر شديد شديد ، والعقوبة مهولة مخيفة لمن ينسون الله واليوم الآخر ، ويستمرثون طريق الغافلين .

روى الطبراني في « المعجم الكبير » بسنده عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل ».

ألا وإن صدق الإيمان باليوم الآخر، واليقين بأن الله تبارك وتعالى، يعلم السر وأخفى، وأن العبد، لا تزول قدماء يوم القيامة — كما روى الترمذي والبيهقي وغيرهما عن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام — حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله فيم اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟

كل أولئك — بإذن الله — ضمانة الإقلاع عن الجنوح المردى، إلى طريق النجاة يوم الدين. والمفلح من وفقه الله للأخذ بطريق أهل الفلاح. روى مالك بن دينار عن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله عز وجل سائله عنها — أظنه قال — ما أراد بها؟ » قال جعفر: كان مالك بن دينار إذا حدث بهذا الحديث، بكى حتى ينقطع، ثم يقول: « تحسبون أن عيني تَقَرُّ بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله عز وجل سألني عنه يوم القيامة، ما أردت به؟ » قال الحافظ المنذري؛ رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مراسلاً بإسناد جيد.

توفي مالك بن دينار — رحمه الله — سنة ثلاثين ومائة للهجرة أو نحوها. وما ذكر من بكائه الشديد عند الحديث عن مسؤولية الكلام يوم الحشر الأكبر، ليس موضع استغراب!! فهو العابد الزاهد الورع إلى كونه من رواة الحديث المعنيين بالسنة والعلم بها، والكلام في المصادر الموثقة عن خشيته لله وخوفه سوء الحساب كثير وفير.

رزقنا الله حسن التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام، والانتفاع بما كان عليه السلف الصالح عليهم الرحمة والرضوان، إنه سبحانه ولي التوفيق.

مكارم الأخلاق..

ومنازل من يتركوه المراء في الجنة

من المشاهد الناطقة يوم القيامة بالكشف عن السبيل التي اتبعها أصحابها، حتى كانوا على الحال التي هم عليها، في تلكم المشاهد؛ مشهد زمر من العباد، كانوا عند الأدب الذي أدب النبي ﷺ أمته في شأن المراء؛ فكانت لهم مكرمة دخول جنة عدن، حسب الذي قدموا بين أيديهم من ذلك الأدب. ومشهد زمر آخرين أعرضوا عن التزام ذلك الأدب العظيم، فكانت عاقبة أمرهم خسرًا.

والمراء خُلِقَ كثيرًا ما يؤدي إلى ضياع الحق، في حماة الانتصار للباطل، ناهيك عما قد يحدث من المنازعة المرهقة للفريقين المتجادلين، وتناثر القلوب. لذلك عرّفه العلماء بأنه: المنازعة في القول، أو العمل، أو الاعتقاد بقصد الباطل، فإن كان بقصد الحق: فهو الجدل ويفترض أن يكون بالتي هي أحسن. وقد تذكر الشبهة في معرض الدليل ويكون مراءً أيضاً، حتى يقصد صاحبها الحق، ويبدى طلب الدليل لظهور ما هو صدق، وقال بعض المحققين: المراء: الاعتراض على كلام الغير، بإظهار خلل فيه؛ إما لفظاً، أو معنى، أو في قصد المتكلم. والعلاقة وثيقة بين المراء وبين المزية وهي التردد في الأمر، وهو أخص من الشك - كما قال الراغب - وأصل المراء عريية: من مريث الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب، فأمرت هي: أي درّ لبنها، فكأنك تستخرج ما عند الآخر من القول بهذه الطريقة.

أخرج الترمذي في باب «ما جاء في المراء» من كتاب البر والصلة في السنن بسنده عن سلمة بن زُرْدَانِ اللَّيْثِيِّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الكذب - وهو باطلٌ - بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها» قال

الترمذي : وهذا الحديث حسن لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وزدان عن أنس ابن مالك . ورواه ابن ماجة والبيهقي والطبراني في « المعجم الأوسط » ربض الجنة بفتح الباء : ما حولها خارجاً عنها - كما يقول أهل الغريب - تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع . ومعنى « من ترك الكذب » أي وقت مرائه كما تدل القرينة في النص ، ويحتمل الإطلاق والله أعلم . وقد جاءت جملة « وهو باطل » معترضة بين الشرط والجزاء للتنفير من الكذب ، فإن الأصل فيه أنه باطل .

هكذا تشهد الخلائق يوم المعاد ، هذا العطاء الرباني لهؤلاء الذين جاء الحديث على ذكرهم بالثناء ، وكم لذلك من أثر طيب في الروابط الثقافية والاجتماعية .

أما من أعرضوا عن ذكر الله : وجانبوا الحق ، مُصْرِين على نصرة الباطل الذي يدَّعون ، فهم محرومون من هذا الخير ، ولهم ما يليق بصنيعهم من العقوبة ، عافانا الله من ذلك .

وللحديث رواية أخرى - كما ذكر الحافظ المنذري - بلفظ « من ترك المراء - وهو مبطل - بُني له بيت في ربض الجنة ، ومن تركه - وهو محق - بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه ، بني له في أعلاها » . وأخرج الإمام ابوداود في كتاب الأدب من « السنن » بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

قول النبي ﷺ : « أنا زعيم » أي ضامن وكفيل ، والزعامة الكفالة ، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ قال الإمام الخطابي في كتابه « معالم السنن » : والبيت ههنا : القصر ، أخبرني أبو عمر قال : أخبرنا أبو العباس عن ابن الأعرابي قال : البيت القصر ، يقال : هذا بيت فلان أي : قصره . وقد أثنى النبي عليه الصلاة والسلام على السائب رضي الله عنه بحسن الخلق والسهولة في المعاملة ، وترك المراء والخصومة . قال ابوداود : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى

عن سفيان ، قال : حدثني إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن قائد السائب عن السائب قال : أتيت النبي ﷺ ، فجعلوا يشنون عليّ ، ويذكرونني ، فقال رسول الله ﷺ : « أنا أعلمكم - يعني به - فقلت : صدقت بأبي أنت وأمي ، كنت شريكى فنعم الشريك ، كنت لا تداري ولا تماري » ، قال الخطابي في شرح الحديث : (قوله : « لا تداري » يعني لا تحالف ولا تمنع ، وأصل الدرء الدفع ، يصفه ﷺ بحسن الخلق والسهولة في المعاملة ، وقوله : « لا تماري » يريد المرء والخصومة) وجاء في « النهاية » : (والحديث الآخر « كان لا يداري ولا يماري » أي لا يشاغب ولا يخالف وهو مهموز ، وروي في الحديث غير مهموز ليزاوج يماري . فأما المداراة في حسن الخلق والصحة : فغير مهموز ، وقد يهمز) . وفي « القاموس المحيط » : دارأته ، وداريته ودافقته ، ولايته ضدّ .

وعند الإمام أحمد ما يكشف عن زمن تلك المشاركة بين الرسول ﷺ والسائب رضي الله عنه ؛ فقد أخرج في المسند بسنده عن السائب بن أبي السائب : « أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة ، فلما كان يوم الفتح ، جاءه فقال النبي ﷺ : مرحباً بأخي وشريكى ، كان لا يداري ولا يماري . ياسائب قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية لا تقبل منك ، وهي اليوم تقبل منك ، وكان ذا سلف وصلة » . السلف هنا : القرض من غير ربا ، إذ كانت العرب تسمى القرض : سلفاً . والصلة : صلة الأرحام ، وإكرام اليتيم ، والإحسان إلى الجار ، وما إلى ذلك من محاسن الأخلاق . وإنما لم تكن تقبل منه تلك الأعمال الخيرة في الجاهلية ، لأنه كان مشركاً ، والمشرِك ينال أجر عمله في الدنيا ، بالثناء وما إليه ، وليس له في الآخرة من نصيب ، لأن قبول العمل والمثوبة عليه في الآخرة ، منوطان بالإيمان .

وجاء في رواية أخرى عند الإمام أحمد عن مجاهد عن السائب بن عبد الله قال : « جيء بي إلى النبي ﷺ يوم فتح مكة ، فجعل عثمان وغيره يشنون عليّ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : لا تُعلموني به ، قد كان صاحبي في الجاهلية ، قال : نعم يا رسول الله ، فنعم الصاحب كنت ، قال : فقال : ياسائب انظر أخلاقك التي كنت

تصنعها في الجاهلية ، فاجعلها في الإسلام ؛ أقر الضيف ، وأكرم اليتيم ، وأحسن إلى جارك » وعند الحافظ ابن حجر في « الإصابة » وهذا : أي السائب بن عبد الله لعله السائب بن أبي السائب ، واسمه « صيفي بن عائد » فإنه هو الذي كان شريك النبي ﷺ . وفي ترجمته لقيس بن السائب ، ذكر تفصيلاً لهذه المسألة ترى في موطنها .

وإذا كان الأمر كذلك في شأن الخلق الذي يدور حوله الحديث ، فإن الحرص على تخفيف العبء يوم التغابن ، يقتضي العزم على الوقوف عند الذي وجّه إليه رسول الله ﷺ ونبيه عليه ؛ وبذلك يفوز العامل بالتوجيه ، بما بشر به صلوات وسلامه عليه من النعيم في الجنة .

وفي تأكيد لما سبق : نذكر ما روى الطبراني في « المعجم الكبير » من رواية أبي الدرداء وأبي أمامة ووائل بن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهم من حديث طويل « أن النبي ﷺ قال : « ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق . » الحديث .

وصلّى الله وسلّم وبارك على معلم الناس الخير ، وعلى آله وصحابه ، ومن أطاعه ، وأخذ نفسه بهديه القويم .

الذين تلفح وجوههم النار..

والمنتفحون بالوعيد

ما أجمل أن يديم المرء - والدنيا متاع الغرور ، والآخرة خير وأبقى - استذكار ما ينبغي ، بل ما يجب عمله لأثقال الموازين يوم القيامة ، وأن يكون هو ممن يؤتون كتبهم بأيامهم .

وإن تعجب: فعَجَبَ نومُ اَهْأرب من النار عما يقتضيه خوفه منها ، وهلعُه من الخلود فيها ، فهو ساءٍ لاهٍ لا يابه للذكرى ، ولا يلتفت إلى قيمة الوقت .

وإن تعجب أيضاً. فعجب نوم طالب الجنة ، عما يقتضيه التطلع الصادق إليها ؛ من أخذ النفس بعزائم الأمور ، والارتفاع بها إلى حيث النَّصَبُ في طاعة الله ، ومخالطة الحقيقة المستتيرة التي نبه عليها سيد النصحاء وإمام المرين محمد عليه الصلاة والسلام ، من أن الجنة حُفَّت بالمكاره وأن النار حُفَّت بالشهوات .

ثم إن الله تبارك وتعالى لا يظلم أحداً من خلقه ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ لذا فهو - جل شأنه - لا يساوي في حكمه يوم القيامة - والهول مطبق ، والفرع آخذ بالنواصي - بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وجاهدوا في سبيله ؛ نصرةً للإسلام وأهله ، وبين المفسدين في الأرض ، الصادقين عن سبيل الله ، السالكين طريق الغواية والضلالة ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ . ويا ويح من أزرى بنفسه وظلمها فكان من أهل الشقوة في سواء الجحيم .

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في كتابه « التذكرة في

أحوال الموتى وأمور الآخرة: « يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر ، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة ، وبينهم حجاب ، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار ، قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله تعالى : ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها﴾ ذكره أبو محمد عبدالحق في كتاب « العاقبة » له : قال : ولعلك تقول : كيف يرى أهل الجنة أهل النار ، وأهل النار أهل الجنة ؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض ، وبينهم ما بينهم من المسافة وغلظ الحجاب ؟ فيقال لك : لا تقل هذا : فإن الله تعالى يقوي أسماعهم وأبصارهم ، حتى يرى بعضهم بعضاً ، ويسمع بعضهم كلام بعض وهذا قريب في القدرة . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : « والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيّدة ، وإن اللهب ليرفعهم ، وإن الملائكة لتقمعهم » .

إنه لمشهد بالغ العظة عميق الدلالة ؛ عافانا الله من الغفلة ، وجنبنا طريق الغافلين ؛ فما أكثر السبل الشيطانية التي يُزَلَّق إلى اتِّباعها نسيانُ الله واليوم الآخر ، ولا يلبث سالكها أن يكون يوم القيامة في عداد من قال الله جل جلاله فيهم : ﴿ومن أظلم ممن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ روى أبو جعفر الطبري بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاث من فعلهنَّ فقد أجرم ؛ من عقد لواء في غير حق ، أو عَق والدِّيه ، أو مشى مع ظالم ينصره : فقد أجرم ، يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ » .

ولاريب في أن من مظاهر الفلاح وعلائم التوفيق : أن يقطع المرء ما قد يكون بينه ، وبين تلكم السبل - التي تنتهي به إلى سوء العاقبة - من أسباب ، وأن يتبصَّر فيما تكون عليه أحوال أهل الجحيم ، يوم تحل نقمة الله بالمجرمين ، حيث لا ملجأ من الله إلا إليه ، وهو سبحانه عزيز ذو انتقام . أورد الحافظ ابن كثير عند

الكلام على قوله تعالى : في سورة المؤمنون : ﴿ تَلْفَحْ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ ما روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن جهنم إذا سيق لها أهلها يلقاهاهم لهابها .. ثم تلفحهم لفحة ، فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقوب » وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز قال : حدثنا الخضر بن علي بن يونس القطان : قال : حدثنا عمر بن أبي الحارث بن الخضر القطان قال : حدثنا سعيد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله : ﴿ تَلْفَحْ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ قال : « تَلْفَحُهُمْ نَفْحَةٌ فَتَسِيلُ لِحُومَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ » وها هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُبرز بكلامه هذا المشهد على صورة تدل على شديد تأثره ، وتنف عنه مع الحقيقة ؛ يقول في قوله سبحانه ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ ألم تر إلى الرأس المشيَّط الذي قد بدا أسنانه وتفنصت شفتاه « ؟ ؟ المشيَّط : الذي أحرق بعضه . من شَيَّطَ اللحم أو الشعر إذا أحرق بعضه . جاء في النهاية لابن الأثير (فيه : إذا استشاط السلطان ، تسلط الشيطان . أي إذا تلهب وتحرق من شدة الغضب . وصر كأنه نار ، تسلط عليه الشيطان فأغراه بالإيقاع بمن غضب عليه ، وهو استغل من شاط يشيط : إذا كاد يحترق وفي صفة أهل النار « ألم تروا إلى الرأس إذا شيط » من قولهم : شَيَّطَ اللَّحْمُ ، أو الشعر أو الصوف إذا أحرق بعضه).

وما دام الأمر بهذه المثابة : فضوبى لمن انتفع بالذكرى ، وعمل على إنقاذ نفسه من أن يكون من أصحاب هذا المشهد ، الذي تنخلع له القلوب وتقرح لهوله الأكباد! روى البيهقي في كتاب « البعث والنشور » بسنده عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة في قوله عز وجل : ﴿ لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ قال : تلقاهم جهنم يوم القيامة ، فتلفحهم لفحة فلا تترك لحماً على عظم إلا وضعت على العراقيب » ورواه أبو نعيم الأصبهاني في « الحلية » ثم قال : لم يروه مرفوعاً متصلاً عن أبي سنان عن عبد الله ، إلا محمد بن سليمان الأصبهاني .

ولا تعجب بعد هذا ، إذا رأيت أهل القرب الفارّين إلى الله ينجون مولا هم -
وقد ملأت الخشية قلوبهم - باكين خاشعين متضرعين ، لا يفتؤون يذكرون اليوم
الآخر وما فيه ، وساعات الحشر وما تنطوي عليه من الأهوال العظام ؛ ومهما
جهدوا في الطاعة يرون - ييقين - أن ما لله أكثر مما يؤتون . والمائل أمام ناظرهم : ما
يرون أنه تفريط في جنب الله ، فهم ظمأٌ أبداً إلى مغفرته ورحمته سبحانه وتعالى .
جاء في مناجاة خاشعة للعباد الثقة القدوة ، عون بن عبدالله المتوفى سنة عشرين
ومائة « .. ومن سوء الحساب فعافني يوم تبعثني فتحاسبني ، ولا تُعرض عني يوم
تُعرّفني بما سلف من ظلمي وجرمي ، وآمني يوم الفزع الأكبر - يوم لا تُهمّني إلا
نفسي - وارزقني نفع عملي يوم لا ينفعني عمل غيري ... »

سبحانك خالقي فأنا تائب إليك متبصّبٌ فاقبل توبتي ، واستجب دعائي ،
وارحم شبابي وأقلني من عثرتي وارحم طول عبرتي ، ولا تفضحني بالذي قد كان
مني » .

متبصص : طامع بالنجاة خائف من العذاب ، وفي « القاموس المحيط »
تبصص إذا تملّق .

منازل الشهداء يوم القيامة..

حجة على القاعدين

من المشاهد التي لا يسأم العباد يوم القيامة التَّمَلُّي من رؤيتها ، والاعتبار العظيم بدلالاتها ، والاستنارة بنورها ... مشاهد قوافل النور ، من أولئك الذين قتلوا في سبيل الله صابرين محتسين ، مقبلين غير مدبرين .. حيث لا يكون وجودهم في الجنة أنفأ ، ولكنه امتداد طبيعي لما كانوا عليه بعد أن قضوا نحبهم صادقين تحت راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وسبحان من فضله هو الفضل ، وعطاؤه هو العطاء !

أخرج الإمام أحمد بسنده في المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ؛ فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن متقلبهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا ، لئلا يزهّدوا في الجهاد ، ولا ينگلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ؛ فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

هكذا يفرح هؤلاء البررة الطيبون الطاهرون ، الذين استعذبوا الموت في سبيل الله فقدّموا أرواحهم ، برضا نفس ، وطمأنينة قلب ، لإعلاء كلمة الله ، وهم يستبشرون بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، إذا كانوا على السنن نفسه

- بذلاً وإخلاصاً - أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. إنهم - بما بذلوا في سبيل الله - يأمنون يوم القيامة ، حيث يخاف الناس ، وتطمئن قلوبهم بعتاء الله وفضله ، حيث الهلَّعُ مطبق على قلوب الظالمين الغافلين .

وهكذا يبصرهم الناس في حُلَلِ الكرامة في جنات عدن ، وقد كانت أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل . والملاحظ أن اللفظ عام - وإن كان السبب خاصاً - واستبشارهم بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، يؤكد ذلك العموم ، وأن الفضل كائن لكل من أخذ نفسه بطريق الجهاد الخالص في سبيل الله ، ولم يخل بروحه على معركة من معارك الحق مع الباطل ... ومعلوم أن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ عند المحققين .

والرواية التي أوردها الإمام أحمد في المسند - وهي عند غيره أيضاً - تدل على أن الآيات تنزلت في قتل أحد ، وهنالك روايات أخرى ، تدل على أنها نزلت في « أهل بئر معونة » الذين غدر بهم المشركون وأخذوهم على غرة - وهم يدعون إلى الله - . قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري : حدثنا محمد بن مرزوق قال : حدثنا عمر بن يونس عن عكرمة قال : حدثنا ابن إسحاق بن أبي طلحة ، قال حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي ﷺ الذين أرسلهم نبي الله عليه الصلاة والسلام إلى أهل بئر معونة - قال : لا أدري أربعين أو سبعين - . وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ؛ فخرج أولئك نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء ، فقعدهوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فقال : - أراه ابن ملحان الأنصاري - أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ . فخرج حتى أتى حياً منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله . فخرج إليه رجل من كِسر البيت برمح ، فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة ؛ فاتبعوا أثره ،

حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل . وقال : قال إسحاق : حدثني أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآناً ، رُفِعَ بعد ما قرأناه زماناً وأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ . والذي في تاريخ الطبري وعند الحافظ ابن كثير نقلاً عن أبي جعفر : أنزل فيهم قرآناً : «بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه» ثم نسخت ، فرفعت بعدما قرأناه زماناً وأنزل الله : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ الآيات . ونجد نحو هذا عند البخاري .

هذا : وليس ما يمنع - كما يذكر العلماء - أن يكون للآية أو الآيات أكثر من سبب نزول ..

ومن نافلة القول ، أن النصوص - على ما دلت عليه من كون الآيات نزلت في قتلى أحد ، وما حظوا به من الكرامة أو في قتلى بئر معونة ، وما أكرمهم الله ، جزاء ما نالهم من الأذى وأنهم قتلوا في سبيل الله - .. من نافلة القول التذكير بعظمة مشهدهم يوم القيامة ، وقد تبوأوا منازل الشهداء ، بعد الذي كانوا عليه من أن أرواحهم في جوف طير خضر . في قناديل من ذهب معلقة بالعرش ، تشرح في الجنة حيث شاءت ، فكان المآل نوراً على نور !! وكم في ذلك من عظيم البشري لمن يرتفعون بتضحياتهم وبذخهم في سبيل الله ، إلى أن يكونوا على سنن هؤلاء البررة المكرمين ، فيفوزوا بأن يكونوا كفاء ذلك المشهد المشرق العظيم .

هذا والحديث رواه مسلم وأبو داود والحاكم في «المستدرک» والبيهقي في «السنن الكبرى» وفي «البعث والنشور» كما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» وغيرهم .

ولفظ رواية مسلم كما جاءت بسنده عن مسروق قال : سألتنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ قال : أما إنا قد سألتنا عن ذلك . فقال : «أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تشرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى

تلك القناديل ، فاطّلع إليهم ربهم إطلالة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : لا شيء نشتهي ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يُسألوا ، قالوا : يارب نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا ، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا .

وإذا كان الجهاد ماضياً إلى يوم القيامة - كما بيّن رسول الله ﷺ - فليهنأ من يُكرمون بالتسامي إلى ساحات الجهاد ، وتبوء منازل الشهداء ، وليستبشروا بنعمة الله وفضله وأن الله لا يضيع أجر المحسنين .

شَهِيدَ كَلِمِهِ رَبِّهِ كَفَاحاً .. المشهد الأمانة .. والعطاء الكبير

ما كان لمؤمن ولا مؤمنة ، مهما تكاثفت العوائق ، واشتد ظلام المادة الصارفة عن استذكار اليوم العسير ، أن يصرُّوا على السلوك المردي في نسيان الله واليوم الآخر ، والغفلة عن أن من أبرز أركان الإيمان — بعد الإيمان بالله تعالى — التصديق الجازم اليقيني بيوم المعاد ، يوم التغابن الذين يتلاوم فيه بنو البشر ؛ المحسنُ : لو أنه زاد في الإحسان ، والمسيءُ : لو أنه أقصر عن الإساءة ، لما يرون من الهول وثقل المسؤولية ، وأن النار من أحدهم قاب قوسين أو أدنى ؛ ذلك بأن كل صغيرة وكبيرة محصاة ، ويأويح من يحرم الرحمة ويتدحرج — بعماه عن الحقيقة ، وضلاله سواء السبيل — إلى جهنم وبئس المهاد ﴿ وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ وما أكثر ما أدى رسول الله الأمانة ، في بيان ذلك على خير وجه .

أجل ما كان لمؤمن ولا مؤمنة — وعلم ذلك كله عندهم — أن تضرب الغفلة بجِرائها على قلوبهم ، فينسوا تلك الحقائق التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ، وهو يؤدي أمانة البيان للكتاب العزيز ، ويقصِّروا في الاستعداد للموت ، ولما بعد الموت ، ويكونوا ممن هم في غفلتهم يعمهون .

روى الطبراني بإسناده إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين ، نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء ، فقال النبي ﷺ : « اجمعوا من وجد عوداً فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به ، قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً ، فقال النبي ﷺ : أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل

منكم، كما جمعتم هذا، فليتنق الله رجل ، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة ؛ فإنها محصاة عليه .

ألا إن هذا المشهد الذي يخبر الرسول ﷺ أنه كائن يوم القيامة ، جدير أن يعمل عمله في الإيقاظ من الغفلة ، وشحذ الهمم في طاعة الله تعالى ، والحذر من الوقوع في حبائل النفس الأمارة بالسوء والشیطان . ومبتغي رحمة الله ، وشفاعة أهل الشفاعة يوم القيامة : عليه أن يعمل جاهداً في دار العمل، كيما يكون أهلاً لما يرجو من النجاة يوم تُحدث الأرض أخبارها ويقوم الأشهاد . ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ .

ولقد كان من رحمة الله بهذه الأمة : أن هياً لها ذلك الجيل الفريد ، جيل الصحابة عليهم الرضوان ، الذين يرى فيهم المرء خيرَ قدوة بعد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام . لأنهم كانوا أمناء في الأخذ عنه ، أمناء في تطويع سلوكهم لما علموا منه - صلوات الله وسلامه عليه - حتى إن أحدهم ليرحل الليالي والأيام الطوال من أجل التثبت من حديث عن رسول الله، يريد أن يعمل به ، كيما يفوز - برحمة الله - بالجنة وينجو من النار، وكيما يبلغه الناس أداءً لحق التبليغ وعدم كتمان العلم . روى الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول : «بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ ، فاشتريت بعيراً ، ثم شددت عليه رحلي ، فسرت إليه شهراً ، حتى قدمت عليه الشام ، فإذا عبدالله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب . فقال : ابن عبدالله ؟ فقلت : نعم . فخرج يثأ ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال العباد - غراً غراً بهماً - قال : قلت : وما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء . ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل

النار - وله عند أحد من أهل الجنة حق - حتى أَقْصَهُ منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة - وله عند رجل من أهل النار حق ، حتى أَقْصَهُ منه ، حتى اللطمة . قال : قلنا : كيف ، وإنما نأتي الله عز وجل عراً غراً بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات . وجاء في رواية أخرى لأحمد عن جابر رضي الله عنه قال : «بلغني حديث في القصاص - وصاحبه بغزة - رحلت إليه مسيرة شهر» . وقال الإمام البخاري في كتاب العلم من الجامع الصحيح : «ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في حديث واحد» . وقال في كتاب التوحيد من الجامع أيضاً : «ويذكر عن عبدالله بن أنيس الأنصاري ... فذكر طرفاً من الحديث . وأخرجه أيضاً في كتابه «الأدب المفرد» . كما أخرج الحديث المذكور أبو يعلى في مسنده من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل ، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : «بلغني عن رجل حديث سمعته من رسول الله ﷺ ، فاشتريت بعيراً ، ثم شددت رحلي ، فسرت إليه شهراً . حتى قدمت الشام . فإذا عبد الله بن أنيس ... فذكر الحديث .

وعبدالله بن أنيس بضم احمزة مصغراً هو الجهني حليف الأنصار . شهد رضي الله عنه العقبة وما بعدها ، وكانت وفاته بالشام سنة أربع وخمسين للهجرة .

ولكم تَقَرُّ عين المؤمن - في دار البقاء - بما يغمره من العطاء الجزيل ، إن هو أقبل على الله ، وقد عمل الصالحات ، ولم يتوان عن القيام بما يستطيع من أعمال البر والجهاد في سبيل الله . وهنيئاً ثم هنيئاً ، لأولئك الذين رُزقوا أن يكونوا من أهل القُرب من الله عز وجل ، لاستدامة إقبالهم عليه سبحانه مخلصين منيبين ، راجين ثوابه ، خائفين غضبه وعقابه ، في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار . جاء في واحد من أسباب نزول قول الله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ - وقد رأينا سبيين من قبل - ما روى ابن مردويه من طريق علي بن عبدالله المدني عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : «نظر إليَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام ذات يوم فقال : يا جابر ، ما لي أراك

مهما؟ قال : قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك ديناً وعيلاً ، قال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً - قال علي : الكفاح : المواجهة - فقال : سلني أعطك . قال : أسألك أن أُرَدَّ إلى الدنيا ، فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب عز وجل : إنه سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون ، قال : أي رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً... ﴾ الآية .

قال الحافظ ابن كثير : ثم رواه - أي ابن مردويه - من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سَلِيط الأنصاري ، عن أبيه عن جابر به نحوه . وكذا رواه البيهقي في « دلائل النبوة » من طريق علي بن المديني به . وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث جابر وسنده حسن .

هذا : ونقع في بعض النصوص على مكرمة أخرى لهذا الصحابي الجليل ؛ فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا جابر - وهو عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنه - قتل يوم أحد شهيداً . قال البخاري : وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر قال : سمعت جابراً قال : « لما قُتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونني والنبي ﷺ لم ينه ، وقال النبي ﷺ : لا تبكه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » إنها الأمانة في أعناق المسلمين أن يتخذوا من هذه الواقعة وأمثالها باعث استئناف واع لطريق الجهاد في سبيل الله - وما أكثر ميادينه - ، وفي ذلك خير الدنيا بالتمكين ، وخير الآخرة بالفوز بما يفوز به المجاهدون المخلصون .

إنها لمناقب عظيمة لهذا الصحابي المجاهد الذي رزق الشهادة يوم أحد ، ولسوف يشهد العباد نورها يوم يوفي الله عباده دينهم الحق ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ وهي في الوقت نفسه بشارة أي بشارة لأهل الإيمان المجاهدين ، الذين يرجون الله واليوم الآخر ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ .

وفي خاتمة المطاف : أحمد الله على كريم فضله وعونه . وهذا ما يسّر الله من القول في القيامة ؛ عظمتها ومشاهدتها في السنة النبوية المطهرة ، بدءاً من القيامة الصغرى وسؤال القبر ، والسنة ببيان الكتاب الكريم - مصحوباً ذلك بطائفة مباركة من سير وكلام أبناء الآخرة أولي النهى الذين يؤرقهم ما يمكن أن تكون عليه الحال يوم الحساب .

ولعلّ الله يفتح - مستقبلاً - باستكمال نقص وتلافي تقصير .

وهو المسؤول أن يتفضل علينا جميعاً بغفر الزلات وتكفير السيئات ، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع من ذي البضاعة الزجاة في العلم والعمل ، زلفى لمرضاته إنه سميع مجيب .

وصلّى الله وسلم وبارك على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان وصدق في الاستمسك بنهجهم إلى يوم الدين .

فَهَارِيسُ
الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

وَضَعَهَا
سُلَيْمَانُ مَسَامُ الْحَرَشِ

فهرست الآيات القرآنيّة

| الآية | رقم الصفحة |
|--|-------------------------|
| حرف الهمزة | |
| أتهلكنا بما فعل السفهاء منا .. (الأعراف: ١٥٥) | ٣٨٨/٢ |
| احشروا الذين ظلموا وأزواجهم (الصافات: ٢٢) | ٤٢/٣ |
| اخسئوا فيها ولا تكلمون .. (المؤمنون: ١٠٨) | ٥٤/٣ |
| الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين .. (الزخرف: ٦٧) | ٤٣/٣-٣٣٨/٢ |
| ادخلوا الجنة لا خوف عليكم .. (الأعراف: ٤٩) | ٢٩٩/٢-١٤٥/١ |
| ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (ق: ٣٤) | ٢٢٣/٢ |
| إذ الظالمون في غمرات الموت .. (الأنعام: ٩٣) | ٣٤/١ |
| إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً .. (الفرقان: ١٢) | ٣١٤/١ |
| إذا السماء انشقت . (الانشقاق: ١) | ١٦٤ / ١٦٣/٣-٢٤٧/٢ |
| إذا السماء انفطرت . (الانفطار: ١) | ١٦٣/١٦٣/٣-٢٤٧/٢ |
| إذا الشمس كورت . (التكوير: ١) | ١٦٦/١٦٥/١٦٤/١٦٣/٣-٢٤٧/٢ |
| أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم . (الصافات: ٦٢) | ١٤٩/٣ |
| ارجعي إلى ربك راضية مرضية . (الفجر: ٢٨) | ٣١٦/٣ |
| أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً . (الفرقان: ٢٤) | ٦٣/٢-٤٣٥/١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|-----------------|
| أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً (الفرقان: ٢٤) | ٢٣٣،٩/٣ |
| أفمن يعلم أنها أنزل إليك من ربك الحق ... (الرعد: ١٩) | ٢٤١،١١٧/٣ |
| أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ... (الملك: ٢٢) | ٣٠/٣ |
| أفرايت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون .. (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٦) | ٢٩٧/٣ |
| اقتربت الساعة وانشق القمر . (القمر: ١) | ٣٩/٣-٥٢/٢ |
| اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . (الأنبياء: ١) | ١٧٦/١ |
| اقرأ باسم ربك الذي خلق . (العلق: ١) | ١٠،٦/٢ |
| اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . (الإنشراء: ١٤) | ٨١،٢٩/١ |
| اقرأ وربك الأكرم . (العلق: ٣) | ١١/٢ |
| أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل .. (الإنشراء: ٧٨) | ٢٨١/١ |
| ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . (يونس: ٦٢) | ٢٥٨،٢٥٦/٣ |
| إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل: ١٠٦) | ٥٨/٣ |
| ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . (المطففين: ٤) | ١٧٩،١٧٥/٣-١٤٩/١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|-----------------------|
| الذين آمنوا وكانوا يتقون . (يونس: ٦٣) | ٢٥٨/٣ |
| الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم..(الأنعام : ٨٢) | ١٢/١ |
| الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم... (الفرقان : ٣٤) | ١٤٧، ١٣٩/١ |
| الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . (الرعد : ٢٠) | ١١٧/٣ |
| الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون . (البقرة : ٤٦) | ١٧٤ /٣ |
| الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة ... (النساء : ٨٧) | ٩ /١ |
| الله يستهزئ بهم ... (البقرة : ١٥) | ٣٨٨/٢ |
| ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً (إبراهيم : ٢٨) | ٢٥٩/١ |
| ألم يجدك يتيماً فآوى . (الضحى : ٦) | ٢٢٨/٣ |
| إلى ربك يومئذ المستقر . (القيامة : ١٢) | ١٨٣/١ |
| إلى ربها ناظرة . (القيامة : ٢٣) | ٣٥٧/٢ |
| أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم .. (الجاثية : ٢١) | ٢٨/٢ |
| أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ص : ٢٨) | ٣٢٩/٣ |
| إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون . (المطففين : ٢٣) | ١٥١، ٤١ /٢-٢٤٦، ١٣٧/١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|------------------------|
| إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم ... (المائدة : ١١٨) | ٣٠٤،٣٠٣،٣٠٢،٣٠١ / ١ |
| إن جهنم كانت مرصاداً . (النبا : ٢١) | ٢٢٠ / ٣ |
| إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . (الدخان : ٤٣) | ١٥٠ / ٣ - ٢٢ / ٢ |
| إن عذاب ربك لواقع .. (التطور : ٧) | ٤٣٣،٢٩٠،٢٨٠،٢٤٠،٢٣ / ٢ |
| إن عذابها كان غراماً . (الفرقان : ٦٥) | ٤٣٢ / ٢ |
| إن في ذلك لبلاغاً لقوم عابدين . (الأنبياء : ١٠٦) | ٤١٤ / ٢ |
| إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... (ق : ٣٧) | ٣٦ / ٣ |
| أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ... (الأعراف : ٤٤) | ٣٣٠ / ٣ |
| إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان .. (الأعراف : ٢٠١) | ٣٨٤،٨٥ / ٢ - ٢٦٧ / ١ |
| إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم ... (الكهف : ١٠٧) | ٣٥١، ٣٣٥ / ٢ |
| إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا . (النساء : ٥٦) | ٧٧ / ٣ |
| إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . (المؤمنون : ٥٧) | ٨٥ / ٣ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|-------------------|
| إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق .. (الفتح: ١٠) | ٢٢٠/٢ |
| إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة ... (الملك: ١٢) | ٤٧/٣-٣١٣/١ |
| إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً .. (آل عمران: ٧٧) | ١٠٣، ١٠٢/٣ |
| إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب ... (ص: ٢٦) | ١٧٦/١ |
| إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ... (التوبة: ١١١) | ٣١١، ٨٤، ٨٣، ٢٠/٢ |
| إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . (النحل: ١٢٨) | ٢١٢/٢ |
| إن الله لا يضيع أجر المحسنين . (التوبة: ١٢٠) | ١٧٨ /١ |
| إن الله لا يظلم مثقال ذرة ... (النساء: ٤٠) | ٣٦٤/٢-٢٤٨، ٢٤٥ /١ |
| | ٤١، ٤٠٩، ٤٠٨، ٣٦١ |
| | ٣٣٨، ١٤٦/٣ |
| إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . (الرعد: ١١) | ٣٠٧/٢ |
| إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً . (الأحزاب: ٦٤) | ٣٦٦/٢ |

| رقم الصفحة | الآية |
|----------------------|--|
| ١٥٥/٣ | إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ... (الصف: ٤) |
| ٢٩٥/٢-٤٣٨/١ | إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق ... (القمر: ٥٤) |
| ٣٦١، ١٧/٢ | إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون . (الدخان: ٥١) |
| ١٣٣، ٦٥/٢ | إن يوم الفصل كان ميقاتاً . (النبا: ١٧) |
| ٣٧٧، ٣٧٢، ٣٢٣، ٣٢١/١ | إنا أعطيناك الكوثر . (الكوثر: ١) |
| ٤٢٢/٢ | إنا أنشأناهم إنشاءً فجعلناهم أبكاراً . (الواقعة: ٣٦) |
| ١١/٢ | إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً . (الزلزل: ٥) |
| ٢٢٥، ٢٢٣/٣ | إن عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ... (الأحزاب: ٧٢) |
| ٣٣٠/٣ | إنا من المجرمين منتقمون . (السجدة: ٢٢) |
| ٢٤٠/١ | انظرونا نقبس من نوركم .. (الحديد: ١٣) |
| ٢١٣/٣ | إنك من تدخل النار فقد أخزيتَه (آل عمران: ١٩٢) |
| ٧٠/١ | إنك ميت وإنهم ميتون . (الزمر: ٣٠) |
| ٥٤/٣ | إنكم ماكثون . (الزخرف: ٧٧) |
| ٢٦٢/٣ | إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ... (الأنبياء: ٩٨) |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|----------------|
| إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً.. (المنكيات: ٢٥) | ٣٣٨/٢ |
| إنما يخشى الله من عباده العلماء . (فاطر: ٢٨) | ٢٣٥، ١٠١، ٤٧/٣ |
| إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت .. (الأحزاب: ٣٣) | ٤٤١/١ |
| إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . (الزمر: ١٠) | ٣٦٩/١ |
| إنها ساءت مستقراً ومقاماً . (الفرقان: ٦٦) | ٤٣٢/٢ |
| إنهم كانوا يسارعون في الخيرات .. (الأنبياء: ٩٠) | ٣٨/٣ - ١٢٦/٢ |
| أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى . (القيامة: ٣٤) | ١١/٣ |
| أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . (البقرة: ٨٢) | ٣٤٠/٣ |
| أولئك الذين امتحن الله قلوبهم .. (الحجرات: ٣) | ٢٩٩/٣ |
| أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا .. (الأحقاف: ١٦) | ٤٠، ٣٩/٢ |
| أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات .. (آل عمران: ١٣٦) | ١٢٩/٣ |
| أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون . (المؤمنون: ٦١) | ٣٨/٣ |
| أولم تلك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى .. (غافر: ٥٠) | ٥٤ / ٣ |
| أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة .. (يس: ٧٧) | ١٧ / ١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|------------------------------|
| حرف الباء | |
| بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى . (الأعلى: ١٧) | ١٢٤ / ٣ |
| بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً . (التفرقان: ١١) | ١١٧ / ٢ |
| حرف التاء | |
| تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. (السجدة: ١٦) | ٣٦، ٣٥ / ٢ - ١٩٥ / ١ |
| تري الظالمين مشفقين مما كسبوا .. (الشورى: ٢٢) | ٣٢٢، ٢٨، ٢٧ / ٣ - ١٣٩ / ٣ |
| تلفح وجوههم النار .. (الأنعام: ١٠٤) | ٣٣١، ١٤ / ٣ |
| تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار . (الزمر: ٣٥) | ١٢٠ / ٣ |
| حرف الثاء | |
| ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم (الصفات: ٦٧) | ١٤٩ / ٣ |
| ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون . (الزمر: ٣١) | ٦٩ / ١ |
| ثم لا يموت فيها ولا يحيا . (الأعلى: ١٣) | ٣٦٨ / ٢ |

| رقم الصفحة | الآية |
|------------------|---|
| ٦٩ / ١ | ثم لتسألن يومئذ عن النعيم . (التكاثر: ٨) |
| ٦٢ / ٣ - ٤١٨ / ٢ | ثم لنحصرنهم حول جهنم جثياً . (مريم: ٦٨) |
| ٦٤ / ٣ - ٢٢٠ / ٢ | ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً . |
| ٢٦٩ ، ٢٦٨ | (مريم: ٧٢) |
| | حرف الجيم |
| ١١٧ / ٣ | جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم .. (الرعد: ٢٣) |
| | حرف الحاء |
| ١٥ / ٢ - ٣٠ / ١ | حتى إذا جاء أحدهم الموت قال : .. (المؤمنون: ٩٩) |
| ١٥٠ / ٢ | حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف .. (التوبة: ١٦٨) |
| ٣٠٥ / ٣ | حور مقصورات في الخيام (الرحمن: ٧٢) |
| | حرف الخاء |
| ٣٠٥ / ٢ | خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ... (آل عمران: ٨٨) |
| ٥٠ / ٣ | خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه . (الحاقة: ٣٠) |

| رقم الصفحة | الآية |
|---|-------|
| <p style="text-align: center;">حرف الذال</p> <p>٣٠٧ / ٢ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم .. (الأنفال: ٥٣)</p> <p>١٣٠ / ٢ - ٢٩٩ / ١ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . (المائدة: ٥٤)</p> <p>٢٨٣ / ٣ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً . (النساء: ٧٠)</p> <p>٤٢٣ / ١ ذلك لمن خشى ربه . (البينة: ٨)</p> | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| <p style="text-align: center;">حرف الراء</p> <p>٢٤٢ / ٢ رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أوله تؤمن .. (البقرة: ٢٦٠)</p> <p>٢٤٧ / ٢ - ٣٠٢ ، ٣٠١ / ١ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس .. (إبراهيم: ٣٦)</p> <p>١٧٥ / ١ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب . (إبراهيم: ٤١)</p> <p>٣٤١ / ١ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا (آل عمران: ٨)</p> <p>٥٤ / ٣ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . (المؤمنون: ١٠٦)</p> <p>١٧٩ / ٢ ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا .. (آل عمران: ١٩٤)</p> | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|--|
| رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من .. (الأحزاب: ٢٣) | ١ / ٣٦٨ - ٢ / ٢٦٣ ، ٢٦٠ |
| رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه . (المائدة ١١٩) | ١ / ١٤١ |
| حرف الزاي | |
| زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا .. (التغابن: ٧) | ٦ / ١ |
| حرف السين | |
| سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها .. (الحديد: ٢١) | ٣ / ٣٨ |
| سبح اسم ربك الأعلى .. (الأعلى: ١) | ٣ / ١٢٤ |
| سخر الله منهم . (التوبة: ٧٩) | ٢ / ٣٨٤ |
| سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . (الرعد: ٢٤) | ٢ / ٥٨ - ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٩٠ / ٣ |
| سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . (الزمر: ٧٣) | ١ / ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ١ / ٥٧ ، ٣٦ - ٢ / ٤١١ ، ١٤٤ |
| سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم . (التوبة: ١٠١) | ١ / ٣٥ ، ٣٤ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|------------------|
| حرف العين | |
| عتلٌ بعد ذلك زنيم .. (القلم: ١٣) | ٤٠٥/٢ |
| عرباً أتراباً .. (الواقعة: ٣٧) | ٤٢٠/٢ |
| عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. | ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٨٢/١ |
| (الإسراء: ٧٩) | ٣٨٦/٢ - ٢٩٥، ٢٨٨ |
| علمت نفس ما أحضرت . (التكوير: ١٥) | ١٦٥/٣ |
| علم الإنسان ما لم يعلم . (العلق: ٥) | ١١/٢ |
| على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم . (النظفنين: ٢٤) | ٦٣/٢ |
| حرف الفاء | |
| فإذا جاءت الصاخة . (عبس: ٣٣) | ١٦٨/٣ - ١٣٤/١ |
| فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فانصب . (الشرح: ٧) | ٣٤/٢ |
| فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ... (المؤمنون: ١٠١) | ٤١٣/٢ - ١١٢/١ |
| فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير . (المدثر: ٨) | ٣١٤/٣ - ٥٧، ٥٣/١ |
| فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله .. (البقرة: ١٤٨) | ٣٨/٣ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|-----------------|
| فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم .. (آل عمران : ١٩٥) | ٢٣٢/٣ |
| فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . (الصفات : ٥٠) | ٢٩٢/٢ |
| فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . (الليل : ٥) | ٣٠١/٢ |
| فأما من طفئ وأثر أخياة الدنيا فإن الجحيم .. (النازعات : ٣٧) | ٢١/٢-٣٥٦/١ |
| فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف .. (الانشقاق : ٧) | ٢٥١، ١٨١، ١٧٩/١ |
| فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول .. (الحاقة : ١٩) | ١٧٣/٣ |
| فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . (القارعة : ٦) | ٢٧٧/٣-١٩٥/١ |
| فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . (طه : ١٢٤) | ٢٥٢/٢ |
| فإنها هي زجرة واحدة . (الصفات : ١٩) | ١١٠/١ |
| فاليوم ننساهم ... (الأعراف : ٥١) | ٢٠٢/١ |
| فبئس مثوى المتكبرين . (الزمر : ٧٢) | ٤٠٥/٢ |
| فسوف يحاسب حساباً يسيراً . (الانشقاق : ٨) | ١٨٠/١ |
| فطرة الله التي فطر الناس عليها . (الروم : ٣٠) | ١٥٨/٣ |
| فكبت وجوههم في النار . (النمل : ٩٠) | ٣٠/٣ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|-------------------------|
| فكذبوا فيها هم والغاوون .. (الشعراء: ٩٤) | ٨٩، ٣١، ٣٠ / ٣ |
| فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم .. (محمد: ٢٧) | ٣٥ / ١ |
| فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .. (المؤمنون: ١٠١) | ٤١٣ / ٢ |
| فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام .. (إبراهيم: ٤٧) | ٤٢ / ٣ |
| فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين .. (السجدة: ١٧) | ٤٤، ٤٣، ٤٠، ٣٨ / ٢ |
| فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم .. (نجم: ٣٣) | ٣١٠ / ٣ - ٢٩٤، ٢٨٣، ١٠٤ |
| فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر .. (النساء: ٦٥) | ٣٣٤ / ١ |
| فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .. (آل عمران: ١٨٥) | ٢٦٨ / ١ |
| فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً .. (الكهف: ١١٠) | ٥٤ / ٣ - ١٠١ / ١ |
| فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .. (الزلزلة: ٧) | ٢٨ / ٢ - ٧٨ / ١ |
| | ٢٥٧، ٦٣ / ١ |

| رقم الصفحة | الآية |
|---------------|--|
| ١٩١/١ | فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه . (الأنبياء : ٩٤) |
| ٤٤٥/١ | فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك .. (مريم : ٢٤) |
| ٤١٩،٣٧٦،٣٣٦/٢ | فهم في روضة يجبرون . (الروم : ١٥) |
| ٦٣/٣ | فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول .. (مريم : ٦٨) |
| ٣٥.٣٠ /١ | فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون .. (غافر : ٤٥) |
| ٤٣٠ /٢-٣٨١/١ | في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ... (النور : ٣٦) |
| ٢٥٠/٢ | في عيشة راضية . (الحاقة : ٢١) |
| ٢٧٠/١ | فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ... (الروم : ٥٧) |
| ١٥٥/١ | فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء .. (الحاقة : ١٥) |

| رقم الصفحة | الآية |
|------------|--|
| | حرف القاف |
| ٢٤٦/٢ | قل هو الله أحد . (الإخلاص : ١) |
| ٤٠٤/١ | قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم .. (المائدة : ٧٧) |
| ٢٥٣-٦٥/٣ | قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير .. (النساء : ٧٧) |
| ٢٣٤/٢ | قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (يونس : ٥٨) |
| ٢٠٥/٣ | قل أمر ربي بالقسط . (الأعراف : ٢٩) |
| ١٧٨/٢ | قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون .. (الفرقان : ١٥) |
| ١٣٥/٢ | قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . (المائدة : ١٥) |
| ٢٣١/١ | قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها . (الشمس : ٩) |
| ٣٥٢/١ | قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . (المؤمنون : ١) |
| ٥٠/١ | قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .. (غافر : ١١) |
| ١٤٣/٢ | قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا |

| رقم الصفحة | الآية |
|----------------------|---|
| | بمثل هذا القرآن ... (الإسراء: ٨٨) |
| ١٧٩/٢ | كان على ربك وعداً مسؤولاً . (الفرقان: ١٦) |
| ٤٢٠/٢ | كأنهن بيض مكنون . (الصافات: ٤٩) |
| ١٥/٢ | كتب ربكم على نفسه الرحمة .. (الأنعام: ١٢) |
| ٤٠٥/٢ | كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . (غافر: ٣٥) |
| ٢٥٧/٢-١٠٦/١ | كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم .. (آل عمران: ١٨٥) |
| ٣٧٢، ٣٧١، ٣٥٧/٢ | كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . (المطففين: ١٥) |
| ٣٥٥/١ | كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة . (القيامة: ٢٠) |
| ٣٣٠، ٢١٣/٣ | كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها . (السجدة: ٢٠) |
| ١٨٤/٣-٢٥١/٢-٣٦١/١ | كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية . (الحاقة: ٢٤) |
| ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٧/١ | كما بدأنا أول خلق نعيده . (الأنبياء: ١٠٤) |
| | حرف اللام |
| ١٠٦/٣ | ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة . (النحل: ٢٥) |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|--|
| ليس لهم طعام إلا من ضريع . لايسمن .. (الغاشية: ٧) | ١٤٩/٣ |
| لتركبن طبقاً عن طبق . (الانشقاق: ١٩) | ٥٩/١ |
| لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه .. (التوبة: ١٢٨) | ٤٣/١ |
| لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .. (الفتح: ١٨) | ٢٦٩/٣-٢٢١/٢ |
| لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . (عبس: ٣٧) | ١٣٥، ١٣٤، ١٣٢، ١٢٨/١ ١٦٩، ١٦٨/٣-٢٨٦ |
| للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . (يونس: ٢٦) | ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤/٢ ٣٠٦/٣-٣٦٨، ٣٦٩ |
| لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار . (غافر: ١٦) | ١٤/٢-٢٩٩/١ |
| لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم . (الأنعام: ١٢٧) | ١٥٧/٢ |
| لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد . (ق: ٣٥) | ٢٧١/٣ |
| لواحة للبشر . (المدثر: ٢٩) | ٣٣١/٣ |
| ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة .. (النحل: ٢٥) | ١٠٦/٣ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|---|
| لو أن الله هداني لكنت من المتقين . (الزمر : ٥٧) ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله . (النور : ٣٨) ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . (الشورى : ١١) | ٣٣٩ / ٢ ٤٣٠ / ٢ - ٣٨١ / ١ ٣٩٦ ، ٣٥٧ / ٢ |
| حرف الميم | |
| ما يلفظ من قول إلا لنديه رقيب عتيد . (ق : ١٨) ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم .. (يس : ٤٩) مثل الذين كفروا أعماهم كرماد اشتدت .. (إبراهيم : ١٨) من أراد الآخرة وسعى لها سعيها . (الإسراء : ١٩) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع .. (النمل : ٨٩) من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً .. (البقرة : ٢٤٥) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها . (غافر : ٤٠) من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها . (فصلت : ٤٦) | ٤٥ / ٣ ١١٠ / ١ ١٥٩ / ٣ ١٨٩ / ٢ ٣٠ / ٣ ٢٣٩ / ١ ٢٣٣ / ٣ ٩٢ / ٣ |

| رقم الصفحة | الآية |
|------------------|--|
| ٢٣٣/٣ | من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن .. (النمل: ٩٧) |
| ٨٠/١ | من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها .. (هود: ١٥) |
| ٣٥٦/١ | من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها .. (الاسراء: ١٨) |
| ١٢١/٣ | من المؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. (الأحزاب: ٢٣) |
| ١٠٢، ١٠١/٢ | من يطع الرسول فقد أطاع الله .. (النساء: ٨٠) |
| حرف النون | |
| ٤٩/١ | النار يعرضون عليها غدواً وعشياً. (فاطر: ٤٦) |
| حرف الهاء | |
| ٢٥٢/١ | هؤلاء الذين كذبوا على ربهم .. (هود: ١٨) |
| ٣١٧/٣ - ١٤/٢ | هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ... (الأعراف: ٥٣) |
| ٣٢٥/٢ - ٢٠٣/١ | هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . (الرحمن: ٦٠) |
| ٣٠/٣ | هل تجزون إلا ما كنتم تعملون . (النمل: ٩٠) |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|---------------|
| هل امتلأت وتقول هل من مزيد . (ق: ٣٠) | ١٣٦/٣-٥/٢ |
| هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن .. (الإنسان: ١) | ٢٣/٣ |
| هاؤم اقرؤا كتابيه . (الحاقة: ١٩) | ١٧٤/٣-٢٣٣/١ |
| هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . (المرسلات: ٣٨) | ٨٢/٣ |
| هذان خصمان اختصموا في ربهم (الحج: ١٩) | ٢٨٠/٣ |
| حرف الواو | |
| واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله .. (البقرة: ٢٨١) | ١١٦/١ |
| واجعلنا للمتقين إماماً . (الفرقان: ٧٤) | ٢٢١/٣ |
| وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين (الفرقان: ١٣) | ٤٢/٣-٣١٤/١ |
| وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً و .. (الإنسان: ٢٠) | ٢٣/٣-٢٩١/٢ |
| وإذا السماء كُشِطت . وإذا الجحيم سُعِّرَتْ . (التكوير: ١١-١٢) | ١٦٥/٣ |
| وإذا الصحف نُشِرت . (التكوير: ١٠) | ١٦٤/٣ |
| وإذا العشار عطلت . (التكوير: ٤) | ٧٢/١ |
| وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين . (الشعراء: ٩٠) | ٢١٧، ٨٩، ٣١/٣ |
| وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد .. (ق: ٣٢، ٣١) | ٣٨٧/٢ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|-------------------|
| وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . (الواقعة: ٢٧) | ١٦٥ / ٢ |
| وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . (الصفافات: ٢٧) | ٢٩٢ / ٢ |
| وأقسموا بالله جهد أيمانهم . (الأنعام: ١٠٩) | ٤٠٥ / ٢ |
| وأوفوا الكيل إذا كلتم، وزنوا بالقسطاس المستقيم . (الإسراء: ٣٥) | ١٧٥ / ٣ |
| وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفساً إلا وسعها . (الأنعام: ١٥٢) | ١٧٥ / ٣ |
| واقرب الوعد الحق ، فإذا هي شاخصة أبصار الذين .. (الأنبياء: ٩٧) | ١٩١ / ١ |
| وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . (الخجرات: ٩) | ٢٠٥ / ٣ |
| وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . (الرحمن: ٩) | ١٧٥ / ٣ |
| والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء .. (يونس: ١٢٠) | ١٦٠، ١٥٧، ١٥٥ / ٢ |
| والله يقول الحق .. (الأحزاب: ٤) | ١٥٩ / ٣ |
| والذين كفروا أعماهم كسراب بقيعة . (النور: ٣٩) | ٣٤٣ / ٢ |
| والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم .. (فاطر: ٣٦) | ٣١٨ / ٣ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|-------------|
| والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم .. (الفرقان: ٦٥) | ١٤٨/٣-٤٣١/٢ |
| والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .. (الرعد: ٢٥) | ١٢٠، ١١٩/٣ |
| والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة .. (المؤمنون: ٦٠) | ٨٥/٣ |
| وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً .. (الجن: ١٥) | ٢٠٥/٣ |
| وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول .. (الحاقة: ٢٥) | ١٧٣/٣ |
| وأما من أوتي كتابه وراء ظهره .. (الانشقاق: ١٠) | ٨٩/١ |
| وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه .. (فاطر: ١٨) | ١٠٦/٣ |
| وإن الدار الآخرة هي الحيوان .. (العنكبوت: ٦٤) | ٣٠/٢ |
| وإن الفجار لفي جحيم. يصلونها يوم الدين . (الأنفطار: ١٤-١٥) | ٤١/٢ |
| وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. (النجم: ٣٩) | ٦٧/١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|---|
| وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته .. (النساء: ١٥٩) | ٧١/١ |
| وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً . (مريم: ٧١) | ٢٢٠-٣/٢٦٣، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠ |
| وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه . (الأَنْعَام: ١٥٣) | ١٣٤/٢ |
| وأنا به زعيم . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب . (يوسف: ٧٢) | ٣٢٦/٣ |
| وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الخناجر . (إبراهيم: ٤٤) | ٢٧٠-٣/٣١٧ |
| وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الخناجر . (غافر: ١٨) | ١٣٩، ٥١/٣ |
| وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر .. (مريم: ٣٩) | ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥/٢ |
| وأنزّلنا إليك الذكر لتبين للناس .. (النحل: ٤٤) | ٣٣/١ |
| وإنما توفون أجوركم يوم القيامة .. (آل عمران: ١٨٥) | ٢٥٧/٢ |
| والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس .. (آل عمران: ١٣٤) | ١٣٦/٣ |

| رقم الصفحة | الآية |
|-------------|--|
| ٢٣/٢ | والطور وكتاب مسطور في رق منشور . (الطور: ١-٣) |
| ٢٤٤/٢ | والسابقون السابقون أولئك المقربون . (الواقعة: ١١) |
| ٩/١ | وبالآخرة هم يوقنون . (البقرة: ٤) |
| ١٣٦/١ | وترى كل أمة جاثية .. (الجاثية: ٢٨) |
| ٧٣ ٣ | وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . (إبراهيم: ٤٩) |
| ٥٥.١٤ ١ | وتزودوا فإن خير الزاد التقوى . (البقرة: ١٩٧) |
| ٢٧٣.٢٥٠.٥١٢ | وتلك الجنة التي أوردتموها به كنتم تعملون . |
| ٢٧٤ | (الزخرف: ٧٢) |
| ١٢ ٣ | وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون . (السجدة: ١٤) |
| ١٠٤/٢ | ورضوان من الله أكبر (التوبة: ٧٢) |
| ٥٨/١ | وجاءت سكرة الموت باخق . (ق: ١٩) |
| ٦٢/٣ | وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم .. (الحج: ٧٨) |
| ٤٤٦/٢ | وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة . (عبس: ٣٨) |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|-----------------------------|
| وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة . | ٣٢٢، ٣٢١ / ٢ - ٤٠٣، ٢٤٤ / ١ |
| (القيامة: ٢٣) | ٣٧١، ٣٦١، ٣٢٤، ٣٢٣ |
| وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية | ٣٣٥ / ٢ |
| (الغاشية: ٨) | |
| جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم | ١١٧ / ٣ |
| (الزمر: ٢٣) | |
| وحففناهما بنخل . | ١٦٩ / ١ |
| (الكهف: ٣٢) | |
| وحاق بآل فرعون سوء العذاب . | ٣٥، ٣٤ / ١ |
| (عامر: ٤٥) | |
| وحسن أولئك رفيقاً . | ٢٨٣ / ٣ |
| (النساء: ٦٩) | |
| وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً . | ٤٠٢ / ٢ - ١٠ / ١ |
| (الزمر: ٧٣) | |
| وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها | ١٢٨، ٣٨ / ٣ - ٢٦٤ / ١ |
| السموات والأرض .. (آل عمران: ١٣٣) | |
| وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل | ١٧٤ / ٢ |
| الغروب . (ق: ٣٩) | |
| وشهد شاهد من بني إسرائيل .. | ٤٢٨ / ١ |
| (الأحقاف: ١٠) | |
| وعنت الوجوه للحي القيوم .. (طه: ١١١) | ١٢٢ / ١ |
| وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر .. (النحل: ٩) | ١٣٤ / ٢ |

| رقم الصفحة | الآية |
|--------------------|---|
| ٣٣٣/٢ | وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين .. (الزخرف: ٧١) |
| ٢٧٣، ١٠٤/٢ | وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . (المطففين: ٢٦) |
| ٢١٩/٢ | وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . (البقرة: ٥٨) |
| ٢٣٩/١ | وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة .. (التحریم: ٦) |
| ٢٩٥، ٢٩٤/١ | وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق . (الإسراء: ٨٠) |
| ٦٧/١ | وقل اعملوا فسيرى الله عملكم .. (التوبة: ١٠٥) |
| ١٧٧، ١٢٧، ١٠٢، ٦/١ | وقفوهم إنهم مسئولون . (الصفاء: ٢٤) |
| ٢٦٧، ٢٦٥ | |
| ١٥٩/٣-٣٤٣، ٣١٧/٢ | وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه .. (الفرقان: ٢٣) |
| ٣٩٤/٢ | وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . (الملك: ١٠) |
| ٣٨٧/٢-١٤٤/١ | وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده .. (الزمر: ٧٤) |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|------------|
| وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .. (فاطر: ٣٤) | ٣٥٠/٢ |
| وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا .. (التعنكوت: ١٢) | ١٠٥/٣ |
| وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . (غافر: ٦٠) | ١٧٧/٢ |
| وكننت عليهم شهيداً مادمت فيهم . (التائدة: ١٧٧) | ١٣٠، ١٢٧/١ |
| وكل شيء أحصيناه في إمام مبين . (يس: ١٢) | ١٧٢/٣ |
| وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون . (التعنكوت: ١٣) | ١٠٧/٣ |
| وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم .. (التعنكوت: ١٣) | ١٠٧، ١٠٦/٣ |
| ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . (الأنعام: ٢٨) | ١٥٩/٣ |
| ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت .. (الأنعام: ٩٣) | ٣٥/١ |
| ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً .. (الزمر: ٤٧) | ١٥٩/٣ |
| ولن خاف مقام ربه جنتان . (الرحمن: ٤٦) | ٣٠٩، ٣٠٨/٣ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|---------------------------|
| ولما ورد ماء مدين .. (القصص: ٢٣) | ٢٦٤ / ٣ |
| ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل .. (الأنعام: ١٣٢) | ٣٣٧ / ٢ |
| ولكل درجات مما عملوا .. (الأحقاف: ١٩) | ٤٠٧ / ٢ |
| ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .. (الأعراف: ١٧٩) | ٧٣ / ٣ - ٤٢٩ / ٢ - ٦٩ / ١ |
| ولسوف يعطيك ربك فترضى . (الضحى: ٥) | ٣٠٢ / ١ |
| ولدينا مزيد .. (ق: ٣٠) | ٢٧٢، ٢٧٠ / ٣ |
| ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك .. (الأنبياء: ٤٦) | ١٤ / ٣ |
| ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم . (النساء: ٩٣) | ٨٦ / ٢ |
| ومن يغلل يأتِ بما غل يوم القيامة .. (آل عمران: ١٦١) | ٧١، ٧٠ / ٣ |
| ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى .. (النساء: ١٢٤) | ٢٣٢ / ٣ |
| ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم .. (النساء: ٦٩) | ٢٨٥، ٢٨٤ / ٣ |
| ومن يشرك بالله فكأنها خرّ من السماء .. (الحج: ٣١) | ٣٢ / ١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|--------------------|
| ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .. (آل عمران: ٨٥) | ١٥/١ |
| ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً .. (البقرة: ١٦٥) | ٢٢٨/١ |
| ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك .. (الإسراء: ٧٩) | ٣٩٩، ٢٩٤/١ |
| ومن دونهما جنتان . (الرحمن: ٦٢) | ٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٦/٣ |
| ومن جاء بالسيسة فكبت وجوههم في النار . (النمل: ٩٠) | ٣٠/٣ |
| ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً .. (طه: ١٢٤) | ١٤٧/١ |
| ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها .. (السجدة: ٢٢) | ٣٣٠/٣ |
| ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً .. (العنكبوت: ٦٨) | ٣٤/١ |
| ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها .. (الإسراء: ١٩) | ١١٧، ١٠٢/٢ - ٢٩٢/١ |
| ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ... (التوبة: ١٠١) | ٣٥/١ |
| وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو .. (العنكبوت: ٦٤) | ١٥١/١ |
| وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . (الأعراف: ٤٣) | ٣٣٩/٢ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|---|
| وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت .. (آل عمران: ١٦١) | ٢٠٩، ٦٦/٣ |
| وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله .. (الأحزاب: ٣٦) | ٤١١/٢ - ٢٦٨/١ |
| وما كان عطاء ربك محظوراً .. (الإسراء: ٢٠) وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته .. (الأنعام: ٩١) | ١٠/٢ - ٤٣٢/١ ٤٠٠/٢ |
| وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (آل عمران: ١٨٥) وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . (الإسراء: ٨٥) | ٢٠٤/٢ ١٠٣/٢ |
| وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين .. (البينة: ٥) | ١١٤/٣ |
| ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً . (مريم: ٨٦) | ٢٦٣/٣ |
| ونضع الموازين القسط ليوم القيامة .. (الأنبياء: ٤٧) | ١٧٩، ١٧٧، ١٧٥/١ ١٨٩، ١٨٨/٣ - ٢٥٨ |
| ونفخ في الصور فصعق من في السموات .. (الزمر: ٦٨) | ٢٧٥، ١٩٢، ١٩١ ١١١، ١٠٩، ١٠٧/١ ١٢١ |
| ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون . (الأعراف: ٤٣) | ٢٧٣، ١٣١/٢ |

| الآية | رقم الصفحة |
|--|--|
| وهم فيها كالحون . (المؤمنون: ١٠٤) | ٣٣١/٣ |
| وهو كَلٌّ على مولاه . (النحل: ٧٦) | ١١/٢ |
| ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين .. (الكهف: ٤٩) | ٣٣٧، ١٧٢/٣ |
| ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله .. (آل عمران: ١٦٩) | ٤٢٦، ٤٢٣، ٣١٤، ١٩٢/٢ ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٧ |
| ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون . (إبراهيم: ٤٢) | ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٥، ٣٣٣/٣ ١٣٩/٣ - ٢٧٠، ١٨٩/١ |
| ولا تخزني يوم يبعثون .. (الشعراء: ٨٧) | ٤٤٦/٢ |
| ولا تزر وازرة وزر أخرى .. (الأنعام: ١٩٤) | ١٠٦/٣ - ١٨٩، ١٨٨/١ |
| ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم .. (الحشر: ١٩) | ١٢٨/٢ |
| ولا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة .. (يونس: ٢٦) | ٣٧١/٢ |
| ويقول الإنسان أنذا مامت لسوف أخرج .. (مريم: ٦٦) | ٦٣/٣ |
| ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس .. (المطففين: ١-٢) | ١٧٨، ١٧٦، ١٧٥/٣ |
| ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله .. (الزمر: ٦٠) | ٢٩/١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|-----------------|
| ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون .. (فصلت: ١٩) | ٢١٧/١ |
| ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات .. (النمل: ٨٧) | ١٠٧/١ |
| ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً .. (الإنسان: ١٧) | ٢٤٥/٣ |
| حرف اللام ألف | |
| لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة .. (الأنبياء: ١٠٣) | ١٧/٢ |
| لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة .. (الدخان: ٥٦) | ٣٠٥/٢ |
| لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة .. (الحشر: ٢٠) | ٣٢٩/٣-١٦١، ٣١/٢ |
| لا يسمعون حسيسها .. (الأنبياء: ١٠٢) | ٢٦٣/٣ |
| لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ... (فاطر: ٣٦) | ٣٦٨/٢ |
| لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيه لغوب . (فاطر: ٣٥) | ٢١٣/٢ |

| رقم الصفحة | الآية |
|------------|--|
| | حرف الياء |
| ٨٩/١ | يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً .. (الانشقاق: ٦) |
| ٣١٣/٣ | يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم .. (سورة الانقطار: ٦) |
| ٤٣٦/٢ | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا .. (الحديد: ٢٨) |
| ٣٥/٢ | يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم .. (التحريم: ٦) |
| ١٦٠/٣ | يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن .. (التبقة: ٢٦٤) |
| ١٠٧/٢ | يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق .. (الخجرات: ٢) |
| ١٠/٣ | يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء .. (المائدة: ١٠١) |
| ١٥٤/٣ | يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة .. (الصف: ١٠) |
| ٣١٤/٣ | يا أيها المدثر . (المدثر: ١) |
| ١٤٣/١ | يا أيها الناس إن زلزلة الساعة .. (الحج: ١) |
| ٩٧/٣ | يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً .. (البقرة: ١٦٨) |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|--------------------------|
| يا أيُّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية.. (البلد: ٢٧) | ٣١٥ / ٣ |
| يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . (الزخرف: ٦٨) | ٣٣٢ / ٢ |
| يا مالِك ليَقض علينا ربك .. (الزخرف: ٧٧) | ٥٤ / ٣ |
| يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة .. (إبراهيم: ٢٧) | ٢٥٢ / ٢ - ٤٩٤ / ٢ / ١ |
| يجعل الولدان شيباً . (المزمل: ١٧) | ١٠٦ / ١ |
| يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . (النور: ٣٧) | ٤٣٠ / ٢ |
| يريدون أن يبدلوا كلام الله .. (الفتح: ١٥) | ٤٠٣ / ١ |
| يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم .. (الحديد: ١٢) | ٢٣٩ / ١ |
| يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ .. (الرحمن: ٤١) | ٧٥ / ٣ - ١٩١، ١٨٣ / ١ |
| يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار .. (هود: ٩٨) | ٢٦٢ / ٣ |
| يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ... (النحل: ١١١) | ٥٧ / ٣ |
| يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .. (إبراهيم: ٤٨) | ٢٤٣، ١٨٠ / ٣ |
| يوم تجد كل نفس ما عملت من خير ... (آل عمران: ٣٠) | ١٦٥، ٩٣، ٣٣ / ٣ - ٩٩ / ١ |

| الآية | رقم الصفحة |
|---|----------------------|
| يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن .. (المعارج: ٨) | ١٦٧/٣ |
| يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . (الانفطار) | ٢٧٨/٣-٢٠٨، ٢٩/١ |
| يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة .. (غافر: ٥٢) | ٧٩/٣ |
| اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم .. (يس: ٦٥) | ٢١٨، ٢١٢/١ |
| يوم ندعوا كلّ أناس بإمامهم فمن أوتى .. (الاسراء: ٧١) | ١٧٢/٣ |
| يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه .. (هود: ١٠٥) | ١٠٥/٣ |
| يوم يقوم الناس لرب العالمين . (المطففين: ٦) | ١٤٨/١-١٧٧، ١٧٦/٣ |
| | ١٨١، ١٨٧ |
| يوم يُكشف عن ساق . (القلم: ٤٢) | ١٠٦/١ |
| يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر .. | ١٨٨/١-٤٢٧، ٣٠٠ |
| (النبا: ٤٠) | ٢٧١، ٢٣٤/٣-١٥٥، ٢٤/٢ |
| يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا .. (النبا: ١٨) | ١١٠/١ |
| يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . (الحاقة: ١٨) | ١١٦، ٤٥/١ |
| يومئذ يتبعون الداعي لا عوج .. (طه: ١٠٨) | ١٢٢/١ |

فهرس الأحاديث النبوية

| | |
|--------------------|---|
| ٤٠٩/٢ | المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف |
| ٤١٦/١ | المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.. |
| ١٢٨/١ | الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك .. |
| ٢٦٦/٣ | الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط الجسر .. |
| ١١٦/١ | زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا .. |
| ٢٧٠، ٢٦٨، ١٨٩/١ - | الظلم ظلمات يوم القيامة .. |
| ١٣٤، ١٤٠/٣ - | |
| ٢٣٤/٢ - ٢١٧/٣ | آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح .. |
| ٤٠٧/٢ | ابن آدم طأ الأرض بقدمك فأنها .. |
| ٢١٤، ٢١٣/٢ | أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة .. |
| ٢٤٢/٢ | أتاني جبريل فأخذ بيد فأراني باب الجنة .. |
| ٢٧٣/٣ | أتاني جبريل وفي يده كالمرأة البيضاء .. |
| ٣١١/١ | أتاني آت من عند ربي فخيرني .. |
| ٢٢٨/٢ | أتحبه ؟ أما يسرك أن لا تأتي باباً .. |
| ٣١١/١ | أتدرون ما خيرني ربي الليلة .. |
| ١٠٨/٣ - ١٨٧، ١١٩/١ | أتدرون من المفلس ؟ .. |
| ٢٩٨/٢ | أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة .. |
| ٤٤٢/٢ | أترونها حمراء كناركم هذه لهي أسود من القار .. |
| ٤٤٣/٢ | أترونها حمراء مثل نارك هذه التي توقدون .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-------------------|
| أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر .. | ٣٦٢/٢ |
| أتعجبون من لين هذه ؟ .. | ٢٠٤/٢ |
| أتعجبون من هذا ؟ .. | ٢٠٣/٢ |
| اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله .. | ١٤٣/٣ |
| اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم .. | ١٤٩/٣ |
| اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . | ١١٩/١، ١٢٢، ٢٦٨ - |
| | ١٣٧/٣، ١٤٣ |
| اتقوا النار ولو بشق تمرة . | ٢٢٠/١ - ٩٤، ٩٣/٢ |
| أتكرر علينا الخصومة .. قال ﷺ : نعم . | ٦٩/١ |
| إئذن له وبشره بالجنة . | ١٢٤/٢ |
| أثبت حراء إنه ليس عليك إلا نبي .. | ٢١٥/٢ |
| اجمعوا من وجد عوداً فليأت به .. | ٣٣٧/٣ |
| أجورهم يدخلهم الله الجنة ويزيدهم من فضله .. | ٤٣٠/٢ |
| احتجت الجنة والنار .. | ٣٩٧/٢ |
| احتجت الجنة والنار : فقالت النار في الجبارين والمتكبرين .. | ٢٧٨/٣ |
| آخر من يدخل الجنة رجل .. | ٣٩٠/٢ |
| أخبرني بهن جبريل عليه السلام أنفاً .. | ٢٤٥/٣ |
| اخرج يا فلان فإنك منافق .. | ٣٥/١ |
| إذا أضطجع الرجل فتوسد يمينه ثم قال : .. | ١٨٧/٢ |
| إذا أقعد المؤمن في قبره .. | ٤٢/١ |
| إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع .. | ٤٣/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-----------------------|
| إذا حضرتم المريض - أو الميت - فقولوا خيراً .. | ٨٧/٣ |
| إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا .. | ٢٩٥/٣ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى : .. | ٣٠٦/٣ - ٣٢٤/٢ - ٣٥٤/٢ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءهم خيول .. | ٢٨٩/٢ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : أتستهون شيئاً .. | ٣٦٣/٢ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة .. نادى مناد .. | ٣٢٤/٢ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .. | ٣٢٤، ٢٧٤/٢ |
| إذا دخل أهل الجنة الجنة يشتاق الإخوان .. | ٢٩٣/٢ |
| إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل .. | ٣٥١/٢ |
| إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول .. | ٢٩١، ٢٨٧/١ |
| إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة .. | ٢٢٠/٣ |
| إذا قال العبد : لا حول ولا قوة إلا بالله .. | ١٨٣/٢ |
| إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان .. | ٣٨/١ |
| إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد .. | ١٧٧/٣ |
| إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتبع كل أمة .. | ٢٤٧/١ |
| إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم ... | ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٧/١ |
| إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض .. | ٢٧٨/١ |
| إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول .. | ١٢٩/٢ |
| إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك .. | ٢٥٨/١ |
| إذا مات الرجل عرض عليه مقعده .. | ٢٦/١ |
| إذا مات الإنس طويت صحيفته .. | ١٦٤/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-------------------|
| إذا مات ولد العبد المؤمن قال الله للملائكة .. | ٣٤٤ / ٢ |
| إذا مررتهم برياض الجنة فارتعوا .. | ١٨٧، ١٨٦، ١٨٠ / ٢ |
| إذا وضعت الجنازة فحتملها الرجال .. | ٢٦ / ١ |
| أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال .. | ٤٢٢ / ١ |
| أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا .. | ٢٢٢ / ٣ |
| أربع من أمر الجاهلية لا يترك : الفخر بالأحساب | ٤٢ / ٣ |
| أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم .. | ١٨٢ / ٢ |
| ارموا ، من بلغ العدو بسهم رفعه الله .. | ٢٢٤ / ٢ |
| الأرض كلها نار يوم القيامة .. | ١٥٥ / ١ |
| أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل .. | ٣٣٥ / ٣ |
| أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة .. | ١٩٢ / ٢ |
| استحيوا من الله حق الحياء .. | ١١٨ / ٢ - ١٠٠ / ٣ |
| استعيذوا بالله من عذاب القبر ... | ٣١ / ١ |
| استوصوا بأصحابي خيراً .. | ٣٤١ / ٢ |
| الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. | ١١ / ١ |
| أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله .. | ٤١٦، ٤١٥، ٤١٣ / ١ |
| اصبروا حتى تلقوني على الحوض .. | ٣٢١ / ١ |
| أصحاب الجنة ثلاثة : ذو سلطان مصدق ومقسط موفق | ٤٢٨ / ١ |
| اطلبي أول ما تطلبي على الصراط .. | ٣٣٠، ٣٢٧، ٢٢٩ / ١ |
| أظل الله عبداً يوم لا ظل إلا ظله .. | ١٧٤ / ١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|----------------|
| أعاذك الله من إمارة السفهاء .. | ٩٨ / ٣ |
| اعبد الله ولا تشرك به شيئا وأقم الصلاة .. | ٢٣ / ٣ |
| اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام .. | ٢٥١ / ٢ |
| أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت .. | ٤٧، ٤٤، ٤٣ / ٢ |
| أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي .. | ٢٧٣ / ١ |
| أعطها إياه بنخلة في الجنة .. | ١٨٨ / ٢ |
| أعيزك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء .. | ٩٨ / ٣ |
| اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك .. | ٤٠ / ٣ |
| افتح له وبشره بالجنة .. | ١٢٠ / ٢ |
| افتح وبشره بالجنة .. | ١٢١ / ٢ |
| أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة الذين .. | ٢٣٦ / ٣ |
| أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة | ٤٤٥ / ١ |
| أكثر ذكرها ذم أو هادم اللذات .. | ١٩٦ / ١ |
| ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم .. | ١٢٦ / ٣ |
| ألا أخبركم بأهل الجنة .. | ٤٠٨، ٤٠٥ / ٢ |
| ألا أخبرك بملاك ذلك كله .. | ٢٩ / ٣ |
| ألا أخبرك عن الأجود الأجود .. | ٢٣٩ / ٣ |
| ألا أدلك على سيد الاستغفار .. | ١١٠ / ٢ |
| ألا أدلكم على أهل الجنة .. | ٤٠٨، ٤٠٥ / ٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|---------------|
| ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم .. | ٣٠١/٢ |
| ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة .. | ٧٧/١ |
| ألا إني فرط لكم على الحوض .. | ٣٢٣/١ |
| ألا تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة .. | ٣٤٧/٢ |
| ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها .. | ٦٣/٢ |
| ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر فيها .. | ٢٨١/٢ |
| ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة .. | ٣٣٦/٢ |
| الذين إذا رؤوا ذكر الله .. | ٢٥٨/٣ |
| الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم .. | ٢٣٦/٣-٣١٨/٢ |
| الذين إن يلقون في الصف لا يلفتون وجوههم .. | ١٥٦/٣ |
| السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. | ٣٥٢،٣٤٩،٣٤٤/١ |
| الله في أصحابي .. | ٢١٦/٢ |
| اللهم اجعله منهم .. | ٢١٢/٢ |
| اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك .. | ٣٥٨/١ |
| اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري .. | ١١٣/٣ |
| اللهم اغفر لعبيد الله أبي عامر .. | ٣٦٠،٣٥٩/١ |
| اللهم اغفر لعبيد الله بن قيس ذنبه .. | ٣٦١،٣٦٠،٣٥٨/١ |
| اللهم أمتي أمتي .. | ٢٤٧/٢-٣٠١/١ |
| اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم .. | ٤١/١ |
| اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم .. | ١٤٨/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|--------------------------|
| اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر .. | ٤٣ / ١ |
| اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق .. | ٢٩٦ / ٢ |
| اللهم ذا الجبل الشديد والأمر الرشيد .. | ٢٠٥ / ٢ |
| اللهم الرفيق الأعلى .. | ٢٨٤ / ٣ |
| اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض .. | ١٠٦ / ٢ |
| اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض .. | ١٠٥ / ٢ |
| اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً .. | ٢٦٦ / ١ |
| اللهم هؤلاء أهل بيتي .. | ٤٤١ / ١ |
| أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً .. | ١٤٧، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩ / ١ / |
| أليس الله يقول : في سدر مخضود .. | ١٦٦ / ٢ |
| أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق .. | ٤٣٤ / ١ |
| أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت .. | ٣١٥ / ٣ |
| أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون | ١٧٤ / ٢ |
| أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات .. | ٢٧ / ١ |
| أما إنه سيقال لك هذا .. | ٣١٥ / ٣ |
| أما إنه سيكون .. | ٦٩ / ١ |
| أما إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير .. | ٥٦ / ١ |
| أما أهل النار الذين هم أهلها .. | ٣٦٧ / ٢ |
| أما بعد : فإن الدنيا قد آذنت بصرم .. | ٣٤ / ٣ |
| أما بعد : ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته .. | ١٨ / ٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-----------------------------|
| أما ترضى أن تعيش سعيداً وتموت شهيداً ؟ .. | ١٠٨ / ٢ |
| أما تقرأ كتاب الله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » .. | ١٨٨ / ٣ |
| أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله .. | ٥٩ / ١ |
| أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً .. | ٤٤٢ / ٢ - ٣٦٤، ٣٣١، ٢٣٣ / ١ |
| أما لئن حلف على ما له ليأكله ظلماً .. | ١٠٤ / ٣ |
| أما مررت بوادي قومك جدياً .. | ١١١ / ١ |
| أمتي أمتي .. | ٣٢٠ / ١ |
| أمرت أن أبشر خديجة بيت من قصب .. | ٤٤٠ / ١ |
| إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف .. | ٣١٤ / ٢ |
| إن أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة .. | ٢٠٦، ٢٠٥ / ٣ |
| إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة .. | ١٣٤ / ٣ |
| إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده .. | ٣٦، ٢٥ / ١ |
| إن أدنى أهل النار عذاباً يتعل بنعلين .. | ٥٥ / ٣ - ٤٣٨ / ٢ |
| إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر .. | ٢٢ / ٣ - ٣٣٢، ٣٢٢ / ٢ |
| إن أرواح الشهداء في حواصل طير .. | ٣١٢ / ٢ |
| إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن .. | ٤٢١ / ٢ |
| إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي .. | ٢٤٣ / ٣ |
| إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم .. | ٣٧٤ / ١ |
| إن الأعلى ينحدرون إلى من هو أسفل .. | ٢٨٥ / ٣ |
| إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال .. | ٢٢٣، ٢٢١ / ٣ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|-------------|---|
| ٢٢١/٣ | إن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال .. |
| ٣١٠/٢ | إن الجنة حجبت أو حفت بالمكاره .. |
| ٢٤١/٢ | إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها .. |
| ١٩٣/٢ | إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة .. |
| ١٤٨/٣ | إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ .. |
| ٤٢١/٢ | إن الحور العين ليغنين في الجنة ، يقلن .. |
| ٣٠٩/٣ | إن الخيمة درة مجوفة طولها في السماء .. |
| ٨٥/١ | إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً .. |
| ٢٣٥/٣ | إن الدين النصيحة قالوا : لمن يارسول الله .. |
| ٤٦/٣ | إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله .. |
| ١٥٥/١ | إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة .. |
| ١٥/٣ | إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله .. |
| ٧٤/٢ | إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه .. |
| ٤١/٣ | إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم .. |
| ٥٠، ٣٦/١ | إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه .. |
| ١٢٦/٣ | إن العبد ليلبغ بحسن خلقه عظيم درجات .. |
| ٤٥/٣ - ١٩/٢ | إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله .. |
| ٨٥/٢ | إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل الجنة |
| ١٥٢، ١٤٩/١ | إن العرق ليذهب يوم القيامة في الأرض سبعين .. |
| ١٧٦/٣ | إن العرق ليلبغ أنصاف آذانهم من هول .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-------------------|
| إن القبر أول منازل الآخرة .. | ١٩٧، ٢٥٠، ٢٠ / ١ |
| إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة .. | ١٦٠ / ٣ |
| إن الكافر ليلجمه العرق .. | ١٥٥ / ١ |
| إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة .. | ١٥٤ / ٣ |
| إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس .. | ٢٨٤ / ٢ |
| إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس .. | ٤١٧ / ٢ |
| إن الله تعالى أخرج رجلاً من الجنة ورجلاً من النار .. | ١٦٩ / ٣ |
| أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل .. | ٧٩ / ١ |
| إن الله تعالى ليس بأعور .. | ٨٥ / ١ |
| إن الله تبارك وتعالى ليسأل العبد يوم القيامة .. | ٨٠، ٧ / ١ |
| إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة .. | ٣٦٣ / ٢ |
| إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .. | ١١٤ / ٢ |
| إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق | ١٩٢ / ٣ - ٢٥٦ / ١ |
| إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً على كنفى الصراط | ١٥٧، ١٥٥ / ٢ |
| إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي .. | ١٩٠ / ٣ |
| إن الله عز وجل يعذب يوم القيامة .. | ١٨٦ / ٣ |
| إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته .. | ١١٩ / ١ |
| إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب .. | ٢٠٦ / ١ |
| إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم .. | ٩٩ / ٣ |
| إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفية .. | ٣٤٧ / ٢ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|--|
| ١٥٩/٣ | إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا .. |
| ٤٨/٣ | إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد .. |
| ١٥٩/٢ | إن الله نظر في قلوب العباد .. |
| ١١٤/٢ | إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به .. |
| ٣٣٨/١ | إن الله يبغض الفحش والتفحش .. |
| ٢٥٢/١ | إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه .. |
| ١٨٥، ١٨٤/٣ | إن الله يعذب الذين يعدّون في الدنيا .. |
| ١٨٦/٣ | إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعدّون .. |
| ٤٤٣، ٤٤٢/١ | إن الله يقرىء خديجة السلام .. |
| ٢٨٣، ١٠٣/٢ | إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة .. |
| ١٧٢/١ | إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي .. |
| ٢٠٤/٣ | إن المقسطين عند الله على منابر من نور .. |
| ٣١١/٣ | إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة .. |
| ٢٥١/٢ | إن الميت إذا وضع في قبره .. |
| ٤٩/١ | أن الميت يسأل في قبره .. |
| ١٧١/٢ | إن الميت يصير إلى القبر فيُجلَسُ الرجل الصالح .. |
| ١١٤/١ | أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمور |
| ٢٧٢/٣ | إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله على قدر .. |
| ١٤٨/١ | أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج .. |
| ٢٨٦/١ | إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثّاً .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|------------------|
| إن الناس يمرون يوم القيامة على الصراط .. | ٨٩ / ٣ |
| أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس .. | ١٠٧ / ٢ |
| أن النبي ﷺ كان عند أبي طالب فاستأذنه .. | ٤٣٥ / ١ |
| إن الولاة يحياء بهم يوم القيامة فيقفون على جسر .. | ٢٤٠ / ١ |
| إن أمتي ستحشر يوم القيامة .. | ٩٠ / ٣ |
| أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا .. | ٩١ / ٢ |
| إن أهل الجنة يتراءون أو يتراءون أهل الغرف .. | ١١٩ / ٢ |
| إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف .. | ١١٩ / ٢ |
| إن أهل المدينة ليوفون الكيل فقال : وما .. | ١٧٦ / ٣ |
| إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان .. | ٥٥ / ٣ - ٤٣٨ / ٢ |
| إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة .. | ٥٥ / ٣ - ٤٣٧ / ٢ |
| إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه .. | ١١٤ / ٣ |
| إن أول زمرة تدخل الجنة .. | ٣٠٩ ، ٢٢٤ / ٢ |
| إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم .. | ٢٠٤ / ١ |
| إن أول ما يحاسب به العبد بصلاته .. | ١٩٢ / ١ |
| إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة .. | ١٩٣ ، ١٩٢ / ١ |
| إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة .. | ٢٠٤ / ١ |
| إن أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء .. | ٢٠٥ / ١ |
| إن تمسك بها أمر به دخل الجنة .. | ٤٢٠ / ١ |
| أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .. | ١٣ / ١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-------------------|
| إن جبريل يقرأ عليك السلام .. | ٤٤٤ / ١ |
| إن جهنم لما سيق إليها تلقتهم فلفحتهم فلفحتهم .. | ٧٥ / ٣ |
| إن حبك إياها يدخلك الجنة .. | ٢٤٦ / ٢ |
| إن حبها أدخلك الجنة .. | ٢٤٦ / ٢ |
| إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن .. | ٣٥٢، ٣٤٨، ٣٤٣ / ١ |
| إن ذلك سيكون .. | ٧٠ / ١ |
| إن رجلاً حضره الموت فلما ينس من الحياة أوصى .. | ١٨ / ١ |
| إن رجلاً كان قبلكم رزقه الله مالاً .. | ٤٣٩ / ٢ |
| إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة .. | ٧٩ / ٢ |
| أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه .. | ٢٨٣ / ٢ |
| أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله .. | ١٠٠ / ٢ |
| أن رسول الله ﷺ سأل بلالاً .. | ٢٤٤ / ٢ |
| أن رسول الله ﷺ سمع رجلين يغلطان القول .. | ٢٣٧ / ٣ |
| أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم .. | ٤٠١ / ٢ |
| إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً .. | ١٢٦ / ٣ |
| أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة .. | ٤٠٥ / ١ |
| أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور .. | ٢٤٠ / ٣ |
| أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية | ٢٥٣ / ٣ |
| إن شر الرعاة الحطمة فإياك أن تكون منهم .. | ٢٠٢ / ٣ - ٣٤٠ / ١ |
| إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي .. | ٣١٨، ٢٧٥ / ١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|-------------------|
| إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد .. | ١٠٧ / ١ |
| إن ظل المؤمن يوم القيامة صدقته .. | ١٧٤ / ١ |
| إن عبداً في جهنم لينادي ألف سنة .. | ٤٣٤ / ٢ |
| إن في الجنة جنتين أنيتها وما فيها من فضة .. | ٣٠٧ / ٣ - ٢٣١ / ٢ |
| إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مخوفة .. | ٣٠٥ / ٣ |
| إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها .. | ١٦٦ / ٢ |
| إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها .. | ٢٥١ / ٢ |
| أنا فاعل : أول ما تطلبني على الصراط .. | ٤٤٤ / ٢ |
| إن في الجنة لخيمة من درة مخوفة .. | ٣٠٧ / ٣ - ٢٠٠ / ٢ |
| إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة .. | ٢٨٩ / ٢ |
| إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد .. | ١٦٦، ١٦٥، ١٦٣ / ٢ |
| إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين .. | ٤١٩ / ٢ |
| إن في جهنم لوادياً تستعيز جهنم من ذلك الوادي .. | ٨٣ / ٣ |
| إن في الجنة مائة درجة أعدها الله .. | ١٦٢ / ٢ |
| إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله .. | ٣٣٢ / ٢ |
| إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها .. | ٢٢ / ٣ |
| إن لكل نبي حوضاً وأنهم يتباهون .. | ٣٢٦ / ١ |
| إن لكل نبي حوضاً يُباهون أيهم أكثر .. | ٣٣٤ / ١ |
| إن للقبر ضغطه لو كان أحد ناجياً منها .. | ٣٠، ٢١ / ١ |
| إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها .. | ١٧٩ / ٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---------------|
| إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس .. | ٢٤٩/٣ |
| إن لله مائة رحمة بها يترحم الخلق .. | ١٦/٢ |
| إن لله ملائكة يطوفون في الطرق .. | ٦٧/١ |
| إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة .. | ٣٠٧/٣ |
| إن معه ماءً وناراً فاناره ماء بارد .. | ٨٢/١ |
| إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً .. | ٢٧٧/٣ |
| إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس .. | ٣١٨/١ |
| إن من عباد الله عباداً يغبطهم .. | ٢٥٦/٣ |
| إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء .. | ٢٥٦/٣ |
| إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاوون .. | ٢٩٤/٢ |
| إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه .. | ٥٦/٣ - ٤٣٨/٢ |
| أن ناساً قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله ﷺ .. | ١٥٥/٣ |
| إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس .. | ٣٢٤/٣ |
| إن هذا الشيء ما سألني عن أحد من أمتي .. | ٢٣٣/١ |
| إن هذه الأمة تفتن في قبورها .. | ٣٩/١ |
| إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه .. | ٨٧، ٨٦/١ |
| أنا أعلمكم .. يعني به .. | ٣٢٧/٣ |
| أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة .. | ٢٣٤/٢ |
| أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة .. | ٢٣٩/٢ |
| أنا أول من يفتح باب الجنة .. | ٢٣٣/٣ - ٢٣٦/٢ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|---------------------|--|
| ٣٥٣ / ١ | أن أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة .. |
| ٢٣٧ / ٢ | أن أول الناس خروجاً إذا بعثوا .. |
| ٢١٧ / ٣ - ٢٣٤ / ٢ | أن أول الناس يشفع في الجنة .. |
| ٣٨٣ / ١ | أنا بعقر حوضي يوم القيامة أذود عنه الناس .. |
| ٣٨٧ / ١ | أنا بين أيديكم فإن لم تجدوني فأنا على الحوض .. |
| ٣٢٦ / ٣ | أن زعيم بيت في ربح الجنة لمن ترك المراء .. |
| ٧٣ / ٢ | أن زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر في سبيل الله .. |
| ١١٠ / ٣ | أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذاك ؟ .. |
| ٣٠٠ / ١ | أنا سيد ولد آدم ، وأول من تنشق عنه الأرض ... |
| ٣٠٠ ، ٢٩٩ / ١ | أنا سيد ولد آدم يوم القيامة .. |
| ٣٨٣ / ١ | أنا عند عقر حوضي أذود الناس عنه .. |
| ٣٣١ / ١ | أنا فرط بين أيديكم فإن لم تجدوني .. |
| ٣٨٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٢ / ١ | أنا فرطكم على الحوض .. |
| ٢٣١ / ٣ | أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين يوم القيامة .. |
| ٢٢٨ / ٣ | أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا .. |
| ٢٣٠ / ٣ | أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة .. |
| ٤٠٣ / ٢ | أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي .. |
| ١٩ / ٢ | انتدب الله لمن خرج في سبيله .. |
| ٣٦٨ / ١ | الأنصار شعار والناس وثار .. |
| ١٤٧ / ٣ | إنك سألت الله لآجال مضروبة .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|--------------|
| إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم .. | ١٤٤ / ٣ |
| إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر .. | ٣٢١ / ٢ |
| إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .. | ٣٥٧ / ١ |
| إنها أخاف عليكم اثنين .. | ١٥١ / ١ |
| إنها الأعمال بالخوانيم .. | ١٠٠ / ٢ |
| إنها تفتن يهود .. | ٤٧ / ١ |
| إنها القبر روضة من رياض الجنة .. | ٢٧ / ١ |
| إنها كنت خليلاً من وراء وراء .. | ٢١٧ / ٣ |
| إنها مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً .. | ١٤٦ / ٢ |
| إنها مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل .. | ١٤٤، ١٣٩ / ٢ |
| إنه أتاني آت من ربي .. | ٣١٦، ٣١٥ / ١ |
| إنه أتاني الليلة من ربي آت ... | ٣١٦ / ١ |
| إنه خلق كل إنسان من بني آدم .. | ١٩١ / ٢ |
| إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم .. | ٣٤٤ / ١ |
| إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون .. | ١٥٠ / ٣ |
| إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء .. | ١٩٨ / ٢ |
| إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد ينجزها في الدنيا .. | ٣١٠ / ١ |
| إنه لما أصيب إخوانكم في أحد .. | ١٩٣ / ٢ |
| إنها لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .. | ٨٢ / ٣ |
| إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات .. | ٩٨ / ١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-----------------------|
| إنهم يسمعون قرع نعالهم .. | ٤٩/١ |
| إني أراكم تفتنون في قبوركم .. | ٢٠/٣ |
| إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً .. | ١٩/٣ |
| إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي .. | ١٥٩، ١٣٨/٢ |
| إني سألت ربي عز وجل الشفاعة .. | ٣٠٤، ٣٠٣/١ |
| إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم .. | ٣٨٠/١ |
| إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم .. | ٣٧٢/١ |
| إني فرطكم على الحوض انتظر من يرد علي .. | ٣٨٧/١ |
| إني لأول الناس تنشق الأرض عنه .. | ٢٣٩/٢ |
| إني لبقعر حوض أذود الناس لأهل .. | ٣٢٦/١ |
| إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه .. | ٨٢/١ |
| إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار .. | ٢١١/٣ - ٣٩٠/٢ |
| إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً .. | ٢١٢/٣ - ٣٩٢/٢ - ٢٦١/١ |
| إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً .. | ٣٨٩، ٣٨٧/٢ |
| إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته .. | ٣٥٠، ٣٤٩/٢ |
| أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة .. | ٣١١/٣ |
| أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم .. | ٣٤٢/٢ |
| أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت .. | ٨١/٣ |
| أول ثلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين .. | ٢٤٠، ١١٨/٣ |
| أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر .. | ٣٠٨، ٢٢٣، ١١٨/٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|--------------|
| أول زمرة تدخل الجنة من أمتي .. | ١٧٠ / ٢ |
| أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا .. | ٦ / ٢ |
| أول ما تطلبني على الصراط .. | ٣٢٧ / ١ |
| أول ما يحاسب به العبد صلاته .. | ٢٠٣، ١٩٣ / ١ |
| أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة .. | ٢٤٣ / ٢ |
| أول من يدعى يوم القيامة آدم .. | ٤٤٥ / ٢ |
| أول من يصفحه الحق عمر .. | ٢٤٣ / ٢ |
| أي أخي أشركنا في دعائك .. | ١١٤ / ٢ |
| إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول : .. | ١٠٧ / ٣ |
| أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة .. | ٢٨٠ / ٣ |
| أيما رجل رمى بسهم في سبيل الله عز وجل .. | ٣٢٠ / ٣ |
| أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً .. | ١٥٢، ٣٦ / ٢ |
| أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله .. | ٣٦ / ٢ |
| أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ .. | ١٥١ / ٢ |
| الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه .. | ١٥، ١٢ / ١ |
| أيها الناس اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات .. | ١٤٠ / ٣ |
| أيها الناس أربعوا على أنفسكم .. | ١٨٣ / ٢ |
| أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة .. | ١٠٢ / ١ |
| أيها الناس استعينوا بالله من عذاب القبر .. | ٤٨ / ١ |
| أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام .. | ٢٥٠ / ٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|---------------|
| أيها الناس مثلي ومثلكم مثل قوم .. | ١٤١/٢ |
| الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله .. | ٣٧/٣ - ١٨/٢ |
| الجنة والريادة: النظر إلى وجه الله عز وجل .. | ٣٢٦/٢ |
| الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .. | ٣٤/٣ |
| الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً .. | ٢٠٢/٢ |
| الشهداء على بارق نهر بباب الجنة .. | ٤٢٢/٢ |
| الصلاة على مواقيتها قلت وماذا يا نبي الله .. | ٢٩٧/٢ |
| الصراط جسر جهنم .. | ٢٢٧/١ |
| القتل ثلاثة: رجل مؤمن قاتل بنفسه .. | ٣١٦/٢ |
| القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله .. | ٢٩٩/٣ - ٣١٧/٢ |
| القبر أول منازل الآخرة .. | ٤٥، ٢٢/١ |
| النظر إلى وجه الرحمن عز وجل .. | ٣٢٥/٢ |
| ***** | |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|---|
| | حرف الباء |
| ١٩٩، ١٩٦/١ | بادروا بالأعمال سبقاً هل تنتظرون إلا فقراً .. |
| ١٠١، ٩٩/١ | بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم .. |
| ١٢٦/٢ | بارك الله لكما في غابر ليلتكما .. |
| | بخ لقد سألت عن عظيم وهو يسير على من يسيره الله .. |
| ٣٢/٣ | بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد . |
| ١١٢/٣ | بشر هذه الأمة بالسوء والنصر . |
| ١١٧/٢ | بعثت أنا والساعة كهاتين .. |
| ٢٢٨/٣ | بل هو من أهل الجنة .. |
| ١٠٨/٢ | بلى والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها .. |
| ٦٥/٣ | بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة .. |
| ١١٥/٢ | بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش .. |
| ١٤٦/٣ | |
| | حرف التاء |
| ٣٤٩/١ | تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء .. |
| ٣٩٥/٢ | تحتاج الجنة والنار فقالت النار .. |
| ١٦٨/٣ | تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً .. |
| ١٣٥/١ | تحشرون حفاة عراة غرلاً .. |

| رقم الصفحة | الحديث |
|-----------------|--|
| ١٤٩/١ | تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس .. |
| ١٨٠/٣ | تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل .. |
| ١٧٧/٣، ١٥٢/١ | تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق .. |
| ٣٥١/١ | تردون عليّ الحوض غراً محجلين .. |
| ٣٠٤/٣، ١٩/٢ | تضمن الله لمن خرج في سبيله .. |
| ٢٢٩/١ | تطلبني أول ما تطلبني على الصراط .. |
| ٤٢٤، ٤٢١، ٤٢٠/١ | تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة .. |
| ٨٣/٣ | تعوذوا بالله من جب الحزن .. |
| ٤٢/١ | تعوذوا بالله من عذاب القبر .. |
| ١٠٩/٢ | تعيش حميداً وتموت شهيداً .. |
| ٢٠/٢ | تكفل الله لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته .. |
| ٣١٠/٢ | تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة .. |
| ٣٣١/٣ | تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم .. |
| ٤٣٢، ٤٢٩/١ | تلك الروضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام |
| ٢٥٨/٢ | تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله .. |
| ١٩١/٣ | توزن ذنوبهم بعقوبتك فإن كانت سوء .. |
| ٢١٩/٣ | توضع الرحم يوم القيامة لها حُجْنة .. |
| ١٧٧/١ | توضع الموازين يوم القيامة .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|------------------|
| حرف الثاء | |
| ثلاث من فعلهنّ فقد أجره .. | ٣٣٠/٣ |
| ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه .. | ١٣٥/٣، ١٧٣/٢ |
| ثلاثة أقسم عليهن وأحدنكم حديثاً .. | ٢٠٩/٢، ١٥٩/١ |
| ثلاثة على كتابان المسك .. | ٢٣/٣ |
| ثلاثة كلهم ضامن على الله : رجل خرج .. | ٢٥٠/٢ |
| ثلاثة لا ترد دعوتهم .. | ١٣٠/٢ |
| ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم .. | ١١٨، ١١٧/١ |
| ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .. | ٤٣/٣ |
| ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله .. | ١٥٥/٣ |
| ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد .. | ٢٣٧/١ |
| ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل .. | ١١٠/١ |
| حرف الجيم | |
| وجبت الجنة .. | ٢٩٩، ٢٤٥/٢ |
| جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ .. | ١٣٥/٢ |
| جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده .. | ١٥/٢ |
| جنتان من فضة آنيتهما وجنتان من ذهب آنيتهما .. | ٣١٠/٣ |
| جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما .. | ٣١٠/٣-٣٥٣، ٢٠١/٢ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|----------------------|---|
| | حرف الحاء |
| ١١٦/١ | حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .. |
| ٥١،٤٢/٢-١٦٣،١٦١/١ | حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره. |
| ١٦٦/٣-٤٢/٢-١٦٣،١٦١/١ | حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .. |
| ٤٢٠/٢ | حور بيض عين ضخام شفر الحوراء .. |
| ٣٢٢/١ | حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن .. |
| ٣٣٥/١ | حوضي من عدن إلى عمان البلقاء .. |
| ٧٤/٣ | حول ذلك ندندن .. |
| ٧٥/٣ | حولها ندندن .. |
| | حرف الخاء |
| ١٣٤/٢ | خط رسول الله ﷺ خطأ بيده .. |
| ٤٢٤/١ | خمس صلوات في اليوم واللييلة .. |
| ٣١٨/١ | خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة .. |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------|--|
| | <p style="text-align: center;">حرف الدال</p> <p>دخلت امرأة النار من جراء هرة لها .. ١٤٦/٣</p> <p>دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب .. ١٢٠، ١١٩/٢</p> <p>دخلت النار امرأة في هرة ربطتها فلم تطعمها .. ١٤٥/٣</p> <p>دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنة .. ٤٣/٢</p> <p>دعوت لأمتي .. ٣٠٣/١</p> <p>دعوة المظلوم مستجابة . ١٤٤/٣</p> <p>دلني على عمل أعمله يدني من الجنة .. ٤٢٠/١</p> <p>دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة .. ٤٢١/١</p> |
| | <p style="text-align: center;">حرف الذال</p> <p>ذاك نهر أعطانيه الله .. ٩٢/٢</p> <p>ذر الناس يعملون فإن في الجنة مائة درجة .. ٧٢، ٧٠/٢</p> <p>ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات .. ٣٢٨/٣</p> |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------------|---|
| | حرف الراء |
| ٢٠٢/٣ | رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً .. |
| ١٢٦/٢ | رأيتني دخلت الجنة فإذا بالرميصاء .. |
| ٢٩٥/٣-١٨٥، ١٢٠/١ | رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة .. |
| | حرف السين |
| ٥٤/٢ | سابق رسول الله بين الخيل التي ضمرت .. |
| ٢٣٢/١ | سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : (يوم تبدل الأرض) .. |
| ١٠٠/١ | سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن .. |
| ١٥٧، ١٥٦/١ | سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله |
| ٢١٢/٢ | سبقك بها عكاشة .. |
| ٣٧٧/١ | سحقاً سحقاً .. |
| ٩٠/٢ | سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن .. |
| ٢١/٣ | سل واستفهم من قال لا إله إلا الله .. |
| ٢٨٨/١ | سلوا الله في الوسيلة .. |
| ٢٣٣/٢ | سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله |
| ١٠٩/٣-١١١/٢ | سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت .. |
| ١٩٨/٢ | سيكون أقوام يعتدون في الدعاء .. |
| ١٩٩/٢ | سيكون قوم يعتدون في الدعاء .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|------------|
| حرف الشين | |
| شجرة طوبى مائة سنة .. | ١٦٧/٢ |
| شراك أو شرا كان من نار .. | ٦٦/٣ |
| شعار المؤمن على الصراط رب سلم سلم .. | ٢٢٨/١ |
| شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .. | ٣١٧.٢٧٥/١ |
| شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون .. | ٣٦٥/٢ |
| حرف الصاد | |
| صبراً آل ياسر موعدكم الجنة .. | ٥٧/٣ |
| صدقنا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم .. | ٥٥/١ |
| صلوا على صاحبكم .. | ٧٢.٧١/٣ |
| حرف الضاد | |
| ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي .. | ٣٠١/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|------------|
| حرف العين | |
| وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين .. | ٤٣٨/٢ |
| وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين .. | ٤٠/٣-٣٥/٢ |
| وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظلم .. | ١٢٢/١ |
| عائد المريض في مخرفة الجنة .. | ٢٢٥/٢ |
| عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت .. | ١٤٦/٣ |
| عرض علي أول ثلاثة في أمتي يدخون الجنة .. | ٢٤٣/٢ |
| عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم .. | ١٠/٣-٤٤٠/٢ |
| عشرة في الجنة .. | ٢١٣/٢ |
| على الصراط .. | ٢٣٢/١ |
| عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين .. | ٢١٥/٢ |
| عوذوا بالله من عذاب الله .. | ٤٣/١ |
| عينان لا تمسهما النار .. | ٢٢/١ |
| حرف الغين | |
| غدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا .. | ١٦٧/٢ |
| غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم .. | ٨٦/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|------------|
| حرف الفاء | |
| فإذا أراد الله أن يصدع بين خلقه .. | ٢٣٥/٢ |
| فاصبروا حتى تلقوني على الحوض .. | ٣٦٦/١ |
| فأعني على نفسك بكثرة السجود .. | ٢٨٦/٣ |
| فإنا نجد في الكتاب أنه يخرج عنق من النار .. | ٨٢/٣ |
| فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة. | ١٢٥/٢ |
| فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده .. | ٩٤/٣ |
| فلقد رأيتها يتقلب في ظلها في الجنة .. | ٣٤٣/٢ |
| في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة .. | ٣٠٧/٣ |
| في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها .. | ١٦٦/٢ |
| في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين .. | ١٦٢/٢ |
| فيلقى العبد فيقول أي فل أم أكرمك وأسودك .. | ٣٦/٣ |
| فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر .. | ٣٨/٢ |
| حرف القاف | |
| قال الله : لك ذلك وعشرة أمثاله .. | ٣٧٩/٢ |
| قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين | ٣٨/٢ |
| قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك .. | ١١٤/٣ |
| قال الله تعالى: بارزني عبدي بنفسه .. | ٧٩/٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|------------|
| قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي .. | ٣٠٣/١ |
| قام النبي ﷺ حتى إذا أصبح بآية .. | ٣٠٤/١ |
| قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور .. | ٤١/١ |
| قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي .. | ٣٢٠/٣ |
| قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله | ٢٩٨/١ |
| قرأ رجل عند عمر هذه الآية: كلما نضجت جلودهم | ٧٨/٣ |
| قرن ينفخ فيه .. | ١٠٧/١ |
| قل كل يوم حين تصبح: اللهم لييك وسعديك .. | ٢٩٦/٢ |
| قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل .. | |
| قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض .. | ٥٤/١ |
| قولي: اللهم اغفر لنا وله وأعقبني عقبى حسنة .. | ٦٤/٢-٤١٠/١ |
| قيل لي: لتنم عينك وليعقل قلبك .. | ٨٧/٣ |
| | ١٥٨/٢ |
| حرف الكاف | |
| كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة .. | ٢٣٠، ٢٢٩/٣ |
| كان إذا قام كبر عشراً وحمد الله عشراً .. | ١٨١/٣ |
| كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتعجد .. | ٣٩٩/١ |
| كان النبي ﷺ يدعو من الليل .. | ٤٠٣/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|------------|
| كان أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا .. | ٩/٢ |
| كان خلقه القرآن .. | ١٣٤/٣ |
| كان رجل يسرف على نفسه ولما حضره الموت .. | ٤٣٩/٢ |
| كان رجلان في بني إسرائيل متواخين .. | ١٠٠/٢ |
| كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت .. | ٤٤٦/١ |
| كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع .. | ٧٨/٢ |
| كذبت لا يدخلها فإنه شهد بداراً والحديبية .. | ٢٦٩/٣ |
| كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى .. | ١٣٩/٢ |
| كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى .. | ١٠١/٢ |
| كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس | ١٧٤/١ |
| كل أهل النار يرى منزله من الجنة .. | ٣٣٩/٢ |
| كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله .. | ٣٠٢/٣ |
| كل مخمَّر أو كل مخمَّر خمر ، وكل مسكر حرام .. | ٢٨٨/٣ |
| كل مسكر حرام .. | ٢٨٧/٣ |
| كلا إني رأيته في النار في بردة .. | ٧١/٣ |
| كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب .. | ٦٩،٦٨/٣ |
| كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر .. | ٢١٩/٢ |
| كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .. | ١٣٦/١ |
| الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .. | ١٤٥،٢٧/١ |
| كيف أصبحت يا حارثة ؟ .. | ٢٩٣/٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|------------|
| كيف انت صانع في يوم يقوم الناس .. | ١٨١/٣ |
| كيف أنتم وربيع أهل الجنة .. | ٣١١/٣ |
| كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن .. | ٥٧،٥٤/١ |
| كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن .. | ١١٢/١ |
| كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم .. | ٧٤/١ |
| كيف بكم إذا نزل ابن مريم .. | ٧٣،٧٢/١ |
| كيف تقول في الصلاة .. | ٤٢٣/١ |
| حرف اللام | |
| لئن صدق ليدخلن الجنة .. | ٤٢٥/١ |
| لتدخلن الجنة إلا من أبى و شرد على الله .. | ١٠٢/٢ |
| لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة .. | ١٩٤/٣ |
| لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا .. | ٢٥٦،٥٩/٢ |
| لغدوة في سبيل الله خير مما تطلع .. | ٥٩/٢ |
| لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع .. | ٥٩/٢ |
| لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث .. | ٣١٩/١ |
| لقد سألتني عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله .. | ٢٧/٣ |
| لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي .. | ٢٣٧/٣ |
| لقنوا موتاكم لا إله إلا الله .. | ٨٦/٣ |
| لقنوا هلكاكم لا إله إلا الله .. | ٨٦/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-----------------------|
| لكل نبي دعوة قد دعى بها .. | ٣٠٥/١ |
| لكل نبي دعوة فأريد ان أختبىء دعوتي .. | ٣٠٥/١ |
| لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها .. | ٣٠٥، ٢٧٥، ٢٧٤/١ |
| | ٣٠٧ |
| لكل نبي دعوة وأردت إن شاء الله .. | ٣٠٦/١ |
| لكل نبي دعوة يدعو بها .. | ٣٠٩/١ |
| لكل نبي دعوة يدعوها .. | ٣٠٦، ٢٧٤/١ |
| للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى .. | ٣٢٦/٢ |
| للشهيد عند الله ست خصال : .. | ٣١٢/٢ |
| لله تسعة وتسعين اسماً .. | ١٨٠/٢ |
| لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم .. | ٣٣٣/٣-٤٢٥، ٤٢٣، ١٩٢/٢ |
| لما خلق الله الجنة والنار أرسل .. | ١٦٨، ١٦٤/١ |
| لما خلق الله الجنة والنار قال لجبريل .. | ١٧٠/١ |
| لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش | ١٤/٢ |
| لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ .. | ٢٦٧/٢ |
| لما كان يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ .. | ٣٠٦/٢ |
| لما نزلت هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا .. | ١٠٧/٢ |
| لن يدخل أحد الجنة بعمله .. | ٩٠، ٨٩/٢ |
| لو أن حجراً قذف به في جهنم لهوى .. | ٥٠/٣ |
| لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا .. | ١٤٩/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-------------|
| لو أن ما يقل طفر مما في الجنة بدا لتزخرقت .. | ٢٥٥/٢ |
| لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ من أحدهم | ٣٥٠/١ |
| لو أنكم إذا خرجتم تكونون على حالكم عندي.. | ١٣٠/٢ |
| لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً | ١٤٤/١-٢/٤٤٠ |
| لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها | ١٢٩/٢ |
| لوددنا أنا رأينا إخواننا .. | ٣٤٤/١ |
| لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة ... | ٢٦٩/٢ |
| لو كان أبوك حياً وكلمني فيهم لوهبتهم .. | ٢٥/٢ |
| لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار .. | ٣٦٨، ٢٩٧/١ |
| ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة .. | ٢١٧/٢ |
| ليردن أقوام علي الخوض حتى إذا رفعوا .. | ٣٨٧/١ |
| ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني .. | ٣٧٨/١ |
| ليردن علي الخوض رجال حتى إذا رفعوا إلي .. | ٣٨٧/١ |
| ليس أحد يحاسب إلا هلك .. | ١٨٠/١ |
| ليس بأحق بي منكم ، وله لأصحابه هجرة واحدة... | ٢٦٩/١ |
| ليس من والي أمة قلت أو كثرت .. | ٢٠١/٣ |
| ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه . | ٧٠/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|-----------------|
| حرف الميم | |
| ما أحد يدخل الجنة يجب أن يرجع .. | ٣١٣/٢ |
| ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم .. | ٢٥٢/٣ |
| ما استجار عبد من النار سبع مرات .. | ١٧٨/٢ |
| ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .. | ٤٩/١ |
| ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ .. | ٣٨٦/١ |
| ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور .. | ٨٣/١ |
| ما بين النفختين أربعون .. | ١١٠، ١٠٩، ١٠٨/١ |
| ما تقول في الصلاة .. | ١٩٦/٢ |
| ما حديث بلغني عنكم .. | ٣٦٨/١ |
| ما رأيت في الخير والشر كالיום قط .. | ٨/٣ |
| ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفضع منه .. | ٤٥، ٢٢، ٢٠/١ |
| ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في حي .. | ٤٢٩/١ |
| ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي .. | ٤٣٠، ٤٢٩، ٤٢٨/١ |
| ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة .. | ٢٧٧/٣ |
| ما غرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة .. | ٤٣٧/١ |
| ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على .. | ٤٤٦/١ |
| ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة | ٤٣٦/١ |
| ما قتلت نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم .. | ١٠٧/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|------------|
| ما مثل الدنيا في الآخرة .. | ٢٥٢/٣ |
| ما من أحد الا وله منزل في الجنة .. | ٣٣٩/٢ |
| ما من أحد يموت إلا ندم .. | ٢٢١/١ |
| ما من إمام أو والٍ يغلق بابه دون ذوي الحاجة .. | ١٩٧/٣ |
| ما من أمتي أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة .. | ٣٥٣/١ |
| ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد هم .. | ٢٠١/٣ |
| ما من رجل استرعاه الله رعية يموت يوم يموت .. | ٣٤٠/١ |
| ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق .. | ١٢٥/٣ |
| ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي .. | ١٨١/٣ |
| ما من عبد يخطب خطبة إلا الله عز وجل سائله عنها | ٣٢٤/٣ |
| ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت .. | ٢٠٠/٣ |
| ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها .. | ١٩٨/٣ |
| ما من ليلة تأتي إلا وتنادي اعملوا ما استطعتم .. | ٢٠٣/٣ |
| ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة .. | ٢٨٣/٣ |
| ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش | ١٩٨/٣ |
| ما من مسلم أو إنسان أو عبد يقول .. | ١٨٨/٢ |
| ما من يوم طلعت فيه شمسها إلا وبجنتها .. | ١٦٠/٢ |
| ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقول .. | ٣٨١/٢ |
| ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه .. | ٢٢٥/٢ |
| ما منكم من أحد إلا وقد كتبت مقعده .. | ٣٠١/٢ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|-------------|---|
| ٢١٩/١ | ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة .. |
| ٣٠١/٢ | ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة إلا كتب مكانها .. |
| ٣٨٢/٢ | ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء .. |
| ٣٨٢/٢ | ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء .. |
| ٦/١ | ما منكم من رجل إلا سيكلمه ربه يوم القيامة .. |
| ٥٠/٣ | ما هذا الصوت يا جبريل .. |
| ٢٨٣/١ | ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة |
| ٨٣/١ | ما يضررك منه ؟ بل هو أهون على الله من ذلك .. |
| ٤٣٦/٢ | مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل .. |
| ٢١٠/٢-١٦٠/١ | مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر .. |
| ١٤٩/٢ | مثلي كمثل رجل استوقد ناراً .. |
| ١٤٤/٢ | مثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوماً .. |
| ١٤٩/٢ | مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً .. |
| ٣٢٧/٣ | مرحبا بأخي وشريكي .. |
| ١٨١/٣ | مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة .. |
| ٢٣٤/٣ | من ابتلي بشيء من هذه البنات كن له ستراً من النار |
| ٢٩٩/٢ | من أئتم عليه خيراً وجبت له الجنة .. |
| ١٢٥/٣ | من أحب دنياه أضر بآخرته .. |
| ٢٥٧/٢ | من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل .. |
| ٦/٣ | من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|-----------------------|
| من أحب أن يظله الله في ظله فليُنظر .. | ١٧٤/١ |
| من أحب أن ينظر الى رجل من أهل النار .. | ٨٥/٢ |
| من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ .. | ١٦٤/٣ |
| من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .. | ٢٣٠، ٢٢٩/٢ |
| من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً .. | ٢٤٩/٣ |
| من استرعى رعية فلم يحطهم بنصيحة .. | ٢٠١/٣ |
| من استطاع منكم أن يقي وجه حر النار ولو بشق .. | ١٠٢/١ |
| من استطاع منكم أن يقي وجه حر النار .. | ٢٢١/١ |
| من استعملناه على عمل فليجيء بقليله وكثيره .. | ٢١٠/٣ |
| من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيلاً .. | ٢٠٩/٣ |
| من أطاعني فقد أطاع الله .. | ١٠٢، ١٠١/٢ |
| من أظلم رأس غاز أظله الله يوم القيامة .. | ١٧٣/١ |
| من أقام الصلاة وأتى الزكاة ومات لا يشرك .. | ٧٢/٢ |
| من اقتطع حق مسلم بيمينه فقد أوجب الله .. | ١٠٣/٣ |
| من اقتطع أرضاً ظالمًا لقي الله .. | ١٠٤/٣ |
| من أكل طيباً وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه | |
| دخل الجنة .. | ٩٦/٣ |
| من البهلاء والحسن إلى ربها ناظرة .. | ٣٢٤/٢ |
| من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة .. | ١٣٠، ١٢٩/٣ - ٦٨، ٥٨/٢ |
| من أنظر معسراً أو وضع له .. | ١٣٠/٣ - ١٧٤/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|--------------------|
| من أنفق زوجين في سبيل الله نودي .. | ٢٢٦،٩٨،٥٥/٢ |
| من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله | ٩٩/٢ |
| من أنفق على ابنتين أو أختين أو زواقي قرابة .. | ٢٣٤/٣ |
| من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة | ٣٢٥/٣ |
| من ترك المرء وهو مبطل بني له بيت .. | ٣٢٦/٣ |
| من تعلم علماً مما يتبغي به وجه الله عز وجل .. | ١١٥/٣ |
| من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : .. | ٣٨٣،٣٨٢/٢ |
| من حالت شفاعته دون حد من حدود الله .. | ٢٨١/٣ |
| من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى .. | ٢٦٩/٣ |
| من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ | ١٠٣/٣ |
| من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ مسلم | ١٠٢/٣ |
| من حوسب عذب .. | ١٨١،١٨٠،١٧٩/١ |
| من خاف أولج ومن أولج بلغ المنزل .. | ٤٣٨،١٣٤،٣٤/٢-٣٨٩/١ |
| من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور .. | ١٠٦/٣ |
| من ذكر امرأة بشيء ليس فيه ليصيبه به .. | ٢٨٠/٣ |
| من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت .. | ١٧٨/٢ |
| من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة .. | ٤٢٤،٤٢١/١ |
| من سره أن ينظر إلى يوم القيامة .. | ١٦٣/٣-٢٤٧/٢ |
| من سمع سمع الله به ومن رأى .. | ١١٥/٣ |
| من سمع سمع الله به يوم القيامة .. | ٢٦٥/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-----------------|
| من شاب شبيبة في سبيل الله كانت له .. | ٢٢٥، ٢٢٤، ٣٦/٢ |
| من شرب الخمر سقاه الله من رذغة الخبال .. | ٢٨١/٣ |
| من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً | ٢٨٩/٣ |
| من شرب الخمر لم تقبل صلاته أربعين ليلة .. | ٢٨٩/٣ |
| من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين .. | ٢٩٠/٣ |
| من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. | ٤٠٤/١ |
| من صام رمضان وصلى الصلوات وحج البيت .. | ٧١/٢ |
| من صلى البردين دخل الجنة .. | ١٧٥/٢ |
| من طال عمره وحسن عمله .. | ١٦١/٢-٢٦٢/١ |
| من عمل لنا منكم على عمل .. | ٢١٠/٣ |
| من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة .. | ١١٢/٣ |
| من قال إذ سمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة .. | ٢٩٠/١ |
| من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له | ٤١٤، ٤٠٤، ٤٠٠/١ |
| من قال: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة .. | ٣٤٥/٢ |
| من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة .. | ٢٩٣، ٢٩٠، ٢٨٧/١ |
| من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له .. | ١٨٨/٢ |
| من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه .. | ٢٨١/٣ |
| من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه .. | ٣١٩/١ |
| من قال: لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله .. | ٢٢/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|-------------|
| من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة .. | ٣٣٠/٢ |
| من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .. | ٨٦/٣-٤١٨/١ |
| من كان له فرطان من أمتي دخل الجنة .. | ٢٢٨/٢ |
| من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه .. | ٩١/٣ |
| من كانت الدنيا همه فرق الله عليه .. | ٩١/٣ |
| من كانت عنده مظلمة لأخيه .. | ١٨٤/١ |
| من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه .. | ٢٩٣/٣-١٨٤/١ |
| من كظم غيظاً وهو يقدر على أن .. | ١٣٦/٣-١٧٣/٢ |
| من كفّل له ذا قرابة أو لا قرابة له فأنا .. | ٢٣١/٣ |
| من لا يسأله يغضب عليه .. | ١٧٧/٢ |
| من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره فلا .. | ٢٤٩/٣ |
| من لم تكن فيه واحدة من ثلاث فلا يعتد بشيء .. | ٣٣٠/٢ |
| من لم يسأل الله يغضب عليه .. | ١٧٧/٢ |
| من مات له ثلاثة لم تمسه النار .. | ٢٧٠/٣ |
| من مات له ثلاثة من الولد دخل الجنة .. | ٣٤٨/٢ |
| من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله .. | ٤١٢/١ |
| من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا .. | ٢٥٠/٣-١١٣/٢ |
| من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين | |
| فاحتجب دون .. | ١٩٦/٣ |
| من نوقش الحساب عذب .. | ١٧٩/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|----------------|
| من نوقش الحساب هلك .. | ٢٥١/١ |
| من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فماتوا .. | ٣١٦/٣ |
| من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب .. | ١٩٧/٣ |
| من يدخل الجنة ينعم لا يبأس .. | ٢٧٤، ١٣٠، ٤٤/٢ |
| من يردهم عنا وله الجنة .. | ٢٨٦/٣ - ٢٦٦/٢ |
| من يردهم عنا وهو رقيقي في الجنة .. | ٢٦٥/٢ |
| من يشتري بقعة آل فلان .. | ٢٠٢/٢ |
| من يشتريها ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين .. | ٢٠٢/٢ |
| من يصعد الثانية ثنية المزار .. | ٢١٩/٢ |
| منهم من تأخذ النار إلى كعبه .. | ٥٦/٣ |
| المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة .. | ٣٨٤/٢ |
| موضع سوط في الجنة خير من الدنيا .. | ٢٥٦/٢ |
| موعدكم حوضي .. | ٣٤٣/١ |
| حرف النون | |
| نادى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .. | ٢٦١/٢ |
| نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين .. | ٤٤٢/٢ |
| ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .. | ٤٤١/٢ |
| ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين .. | ٤٤١/٢ |
| ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد .. | ٤٤١/٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|------------|
| نحن الآخرون الأولون يوم القيامة .. | ٢٤١، ٢٣٨/٢ |
| نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .. | ٢٣٧/٢ |
| نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة .. | ٢٣٨/٢ |
| النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .. | ٣٦٩/٢ |
| نعم بشرها بيت في الجنة من قصب .. | ٤٣٩/١ |
| نعم عذاب القبر ... عذاب القبر حق .. | ٤٧/١ |
| نعم عذاب القبر حق .. | ٣٩/١ |
| نعم في ثلاثة مواطن عند الميزان وعند النور .. | ٩١/٣ |
| نعم يميئك الله تعالى ثم يبعثك .. | ١٧/١ |
| نعم يميئك الله ثم يحييك .. | ١٧/١ |
| نعمتان مغبون فيها كثير من الناس .. | ٢٠٠، ٩٧/١ |
| نعوذ بالله من النار .. | ١٤٨/٣ |
| نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء .. | ٤٢٤/١ |
| حرف الهاء | |
| وهل يكب الناس في النار على وجوههم .. | ٣١/٣ |
| هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة .. | ٢٩٩/٢ |
| هذا الذي تحرك له عرش الرحمن .. | ٣٠/١ |
| هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً .. | ٥٠/٣ |
| هذا لك وعشرة أمثاله .. | ٢٢٥/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|-------------|
| هذا من أهل النار .. | ٨٦،٨١/٢ |
| هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله .. | ٢٤٠،١١٨/٣ |
| هل تدرون مما أضحك ... من مخاطبة العبد ربه .. | ٢٥٥،٢١٦/١ |
| هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب .. | ٢٢٤/١ |
| هل تضارون في القمر ليلة البدر .. | ٣٧٤،٣٥٤/٢ |
| هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة .. | ٣٥٩/٢-٢١١/١ |
| هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو | ٢٤٩/١ |
| هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر .. | ٣٥٨/٢-٢٣٦/١ |
| هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل .. | ٢٥٧/٣ |
| هو في النار .. | ٦٩/٣ |
| هي الشفاعة .. | ٢٨٢/١ |
| حرف اللام ألف | |
| لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته .. | ٧٠/٣ |
| لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إلى رجل .. | ١٥٣/٢ |
| لا تبكه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها .. | ٣٤٠/٣ |
| لا تتمنوا الموت فإن هول المطلاع شديد .. | ١٧١/١ |
| لا تحف الأرض من دم الشهيد حتى تبدره .. | ٦٠/٢ |
| لا تدخلوا مسالك الذين ظلموا أنفسهم .. | ١١٥/١ |
| لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذيين .. | ١١٥/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|-----------------|
| لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عنده .. | ٢٠٧،٧/١ |
| لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل .. | ٢٠٧،٦/١ |
| لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم .. | ٨/٣ |
| لا تسبه فإنه الآن يتلبط في الجنة .. | ٢٣٧/٣ |
| لا تعلموني به قد كان صاحبي في الجاهلية .. | ٣٢٧/٣ |
| لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله .. | ٦٢،٦١/٢ |
| لا تنسانا يا أخي من دعائك .. | ١١٤/٢ |
| لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة .. | ١٨٢/٢ |
| لا فتنة أعظم من فتنة الدجال .. | ٩٥/١ |
| لا يتبع الجنازة صوت ولا نار .. | ٦١/١ |
| لا يحل لأحد من أهل الجنة أن يدخل .. | ٢٩٦/٣ |
| لا يحولن بين أحدكم وبين الجنة .. | ٢٦٦/١ |
| لا يدخل أحد الجنة إلا أُرِي مقعده .. | ١٦٨/٢ |
| لا يدخل الجنة أحد إلا أُرِي مقعده من النار .. | ١٧١/٢ |
| لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة .. | ٢٢٠/٢ |
| لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة .. | ٢٦٩،٢٦٨/٣-٢٢٠/٢ |
| لا يسترعي الله عبداً رعية يموت حين يموت .. | ٢٠٠/٣ |
| لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم .. | ٣٠٣/٣ |
| لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد .. | ٢٧٠/٣ |
| لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد تمسه النار .. | ٢٧٠/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|---------------|
| لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة .. | ٣٢/١ |
| حرف الواو | |
| وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن .. | ٦٣،٦١/٣-٤١٨/٢ |
| ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء .. | ٤٤٦/١ |
| والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم .. | ٧١/١ |
| والذي نفسي بيده - ثلاث مرات - ثم أكب فأكب | |
| رجل منا يبكي ... | ٧٥ /٢ |
| والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ... | ٦٤/٢ |
| والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم .. | ٣٥/٢ |
| والله إني لأنظر إلى حوضي الآن .. | ٣٧٣/١ |
| والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل .. | ٢٥٢،٢٥١/٣ |
| والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم .. | ٢٥٣/٣ |
| والله لينزلن ابن مريم حكماً .. | ٧٢/١ |
| والله ما نسخها منذ أنزلها .. | ٣٢٣/٢ |
| وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً .. | ٢٧١/١ |
| وإن الله عز وجل لا يعطفه على الناس شيء من | |
| أمرهم .. | ٣٥٢/٢ |
| وأنا فرطهم على الحوض .. | ٣٨٢/١ |
| الورود : الدخول لا يبقى بربولا فاجر إلا دخلها .. | ٢٦٧/٣ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|------------------|---|
| ٢٢/٣ | وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً .. |
| ٩٩/٢ | وأرجوا أن تكون منهم يا أبا بكر .. |
| ٣١٣/٢ | واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف .. |
| ٤١٦/٢ | والذي نفسي بيده - ثلاث مرات - ثم أكب فأكب كل رجل .. |
| ٣٨٣/١ | والذي نفس محمد بيده لأذودن رجالاً منكم .. |
| ٣٢٣، ٣٢٢/١ | والذي نفس محمد بيده لآتيه أكثر من عدد نجوم |
| ٦/٣ | والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار .. |
| ١٤٤/١ | والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً .. |
| ٢٤٩/٢ | والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات .. |
| ٣٣٣/٢ | والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة .. |
| ٦٨/٢ | ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي .. |
| ٢١٧/١ | ويدعى الكافر والمنافق للحساب .. |
| ٣٤/١ | ويأتيه رجل حسن الوجه حسن النياب .. |
| حرف الباء | |
| ١٨٤/٢ | يا أباهريّة ألا أدلك على كنز .. |
| ١٨٦/٢ | يا أباهريّة هلك المكثرون .. |
| ٢٤٢/٣ - ٦٨/٢ | يا أم حارثة إنها جنات في الجنة .. |
| ٤٢٢/٢ | يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجز .. |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---------------|
| يا أيها الناس إنكم محشرون إلى الله حفاة عراة .. | ١٣٠، ١٢٧/١ |
| يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات | ١٤/٣ |
| يا أيها الناس إياكم والظلم فإن الظلم .. | ١٤٣، ١٤٠/٣ |
| يا أيها الناس لا يغترون أحدكم بالله .. | ٣١٤/٣ |
| يا بلال قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن .. | ٨٧/٢ |
| يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته .. | ١٢٥/٢ |
| يأتي الدجال - وهو محرم - عليه أن يدخل نقاب .. | ٩٤/١ |
| يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة .. | ٩٤، ٩٠/١ |
| يا جابر ألا أبشرك .. | ٤٢٨/٢ |
| يا جابر مالي أراك مهتماً .. | ٣٣٩/٣ - ٤٢٧/٢ |
| ياخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه .. | ١٢٤/١ |
| يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت .. | ٢١٥/١ |
| يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي | ٢٨٥/٣ |
| يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين .. | ١٢٠/٣ |
| يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام .. | ٤٤٢، ٤٣٧/١ |
| يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة .. | ٩٧/٣ |
| يا عائشة، أما عند ثلاث : .. | ٤٤٤، ٤٣٤/٢ |
| يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام .. | ٤٤٤/١ |
| يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي .. | ٢٩٤/٣ |
| يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة .. | ١٨٣/٢ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|---------------|
| يا عدي هل رأيت الحيرة .. | ٩٤/٢ |
| يا فلان مالي أراك محزوناً .. | ٢٨٤/٣ |
| يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات | |
| على إصبع .. | ٤٠١/٢ |
| يا محمد مر أمتك أن يكثرُوا من غراس الجنة .. | ١٨٦/٢ |
| يا معاذ بن جبل لا تكن فتاناً .. | ١٩٥/٢ |
| يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي .. | ٣٦٥/١ |
| يا معشر الأنصار ماقالة بلغتني عنكم وجدة | |
| وجدتموها .. | ٣٧٠/١ |
| يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له .. | ١٩٤/٣ |
| يبعث الناس حفاة عراة غرلاً .. | ١٣٦/١ |
| يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً .. | ١٦٩/٣ |
| يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال: نزلت .. | ٤٢/١ |
| يجاء بابن آدم يوم القيامة وكأنه بذج .. | ٢٥٩، ٢٠٨/١ |
| يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار .. | ٣٢٢/٣ |
| يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : .. | ١٥٧/٣ |
| يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح .. | ٢٧١/٢ |
| يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون .. | ٢١٥/٣ |
| يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد .. | ٢٨٥/٢ - ٢٤١/١ |
| يُجمع الناس في صعيد واحد فيسمعهم الداعي .. | ٢٨٤/١ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|--|---------------|
| يحبس المؤمنون يوم القيامة حتي يهيموا بذلك .. | ٣٨٦/٢ |
| يحسب ماخانوك وعصوك وكذبوك .. | ١٨٩/٣-١٧٧/١ |
| يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف .. | ١٤١/١ |
| يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمه .. | ١٢٢/١ |
| يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة عراة .. | ٣٣٨/٣-١٣١/١ |
| يحشر المتكبرن يوم القيامة أمثال الذر .. | ٢٩٠/٣ |
| يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء .. | ١٢٦،١٢٥،١٢٤/١ |
| يحشرون حفاة عراة غرلاً .. | ١٣٢/١ |
| يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقاع بهم | ٢٣٠/١ |
| يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين .. | ١٠٦/١ |
| يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين .. | ٩١/١ |
| يخرج خلق من أهل الجنة فيمر الرجل بالرجل .. | ٢٤٨/٣ |
| يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة .. | ٢٩٦/٣ |
| يدخل الجنة من أمتي زمرة .. | ٢١٢/٢ |
| يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار .. | ٣٦٦،٢٧٢/٢ |
| يدخل عليكم رجل من أهل الجنة .. | ٤٣٠/١ |
| يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة .. | ٢١٨/٢ |
| يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل .. | ٢٥٣/١ |
| يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه ... | ٩٣/٣ |
| يدعى أحدهم فيعطى كتباه يمينه .. | ١٧٢/٣ |

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---------------|
| يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة .. | ٢١٧/١ |
| يرد الناس النار ثم يصدون عنها بأعمالهم .. | ٢٦٥، ٢٦٤/٣ |
| يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى .. | ٢٩١/٢ |
| يصاح برجل من أمتي يوم القيامة .. | ١٩٣/٣ |
| يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً .. | ٩٨/١ |
| يضرب جسر على جهنم فأكون أول من يجيز .. | ٢٤١/١ |
| يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة .. | ٢٠٧/٢ |
| يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة. | ٢٠٥/٢ |
| يطلع عليكم رجل من أهل الجنة .. | ٢١١/٢ |
| يطلع عليكم من تحت هذا السور رجل من أهل الجنة .. | ٢١١/٢ |
| يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة .. | ١٢٣، ٣٨/١ |
| يعذبان وما يعذبان في كبير .. | ٥٥/١ |
| يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات .. | ٢٥١/١ |
| يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم .. | ١٧٩/٣ - ١٤٩/١ |
| يقال: لأهل الجنة خلود لا موت ولأهل النار .. | ٣٠٤/٢ |
| يقبض الله الأرض ويطوي السماء يمينه .. | ١٢٣/١ |
| يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء .. | ٣٤٦/٢ |
| يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل الأرض .. | ١٥٧/٣ |
| يقول الله عز وجل لأهون أهل الأرض عذاباً .. | ١٥٨/٣ |
| يقول الله يوم القيامة: ابن آدم ما غرك بي .. | ٣١٣/٣ |

| رقم الصفحة | الحديث |
|-----------------|---|
| ١٤٩/١ | يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه .. |
| ٩٨/١ | يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل .. |
| ١٥٠/٣ | يكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء .. |
| ٤٤٦/٢ | يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة .. |
| ٤٤٦/٢ | يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني .. |
| ٥٣/٣ | يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه .. |
| ٢٧٤/٢ | ينادى مناد إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا .. |
| ٢٧٣، ١٣١/٢ | ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا .. |
| ٧٩/٣-٣٧٧/٢ | يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا .. |
| ٧٩/٣-٣٧٧/٢ | يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار .. |
| ٤٠/٢ | يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتصر بعضها ببعض |
| ٣٢٣/٣ | يؤتى بالرجل الذي كان يطاع في معاصي الله تعالى |
| ٣١٣/٢ | يؤتى بالرجل من أهل الجنة .. |
| ٣٢٣/٣ | يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار .. |
| ٢٦٠، ٢٠٨، ٢٠٢/١ | يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له .. |
| ٢٧١/٢ | يؤتى بالموت كهنية كبش أملح فينادى مناد .. |
| ١٤٨/١ | يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه .. |
| ***** | |

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| فلم أرَ كالـيوم في الخير والشر | ٥ |
| لضحكتكم قليلاً ... ولبيـكتـم كثيراً | ٩ |
| مخافة أن يصيبني من لفحها | ١٣ |
| أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار | ١٧ |
| يغبطهم الأولون والآخرون | ٢١ |
| حصائد الألسنة .. والكبُّ في النار | ٢٥ |
| عودة إلى حصائد الألسنة والكبُّ في النار | ٢٩ |
| سجن المؤمن ... وجنة الكافر | ٣٣ |
| ما أقرب الجنة والنار | ٣٧ |
| أكثرُوا من ذكر النار | ٤١ |
| ذلكم أشقى الأشقياء | ٤٥ |
| جهنم عقبى الظالمين | ٤٩ |
| أدنى أهل النار عذاباً | ٥٣ |
| عظيم من أبناء الآخرة | ٥٧ |
| دعوة الجاهلية وجُثاء جهنم | ٦١ |
| التهاب الشملة ... والمسؤولية والجزاء | ٦٥ |
| هو في النار | ٦٩ |

| | |
|---|-----|
| حوّلها ندندن | ٧٣ |
| نار لا تُطفأ ... وعذاب لا ينفذ | ٧٧ |
| وإِذْ تتعوذ منه جهنم | ٨١ |
| عقبى المؤمن ... والخوف والرجاء | ٨٥ |
| الذين يكذبون في جهنم | ٨٩ |
| أهل الآخرة ... وأخذ الحذر في الدنيا | ٩٣ |
| المحرمات وإعانة الظالمين ... المسؤولية والجزاء | ٩٧ |
| الذين يشترّون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً | ١٠١ |
| المفلس ... والطرح في النار | ١٠٥ |
| العطاء الرباني ... الآفاق والجنة | ١٠٩ |
| المراءون ... والنار | ١١٣ |
| أين عقبى من عقبى ... لا تستويان | ١١٧ |
| والآخرة خير وأبقى | ١٢٣ |
| عمل الجنة ... وعمل النار الحزن والسَّهل | ١٢٧ |
| أحاسنُ المؤمنين أخلاقاً ... والقُرب العظيم | ١٣٣ |
| الظلم ظلماتٌ يوم القيامة | ١٣٧ |
| اتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ !! دَخَلَتْ النار بظلم هرة | ١٤٣ |
| إن عذابها كان غراماً | ١٤٧ |
| تجارة تنجي من العذاب الأليم | ١٥٣ |
| كذبت ... سئلت أيسر من ذلك | ١٥٧ |

| | |
|-----|---|
| ١٦٣ | كيف تنظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين !! |
| ١٦٧ | ذهبوا وبقيت أعمالهم ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ... |
| ١٧١ | كتاب المؤمن يوم القيامة ... وكتاب الكافر والمنافق |
| ١٧٥ | في اليوم العظيم يكونون في العرق على قدر أعمالهم ! |
| ١٧٩ | سورة المطففين .. والهول العظيم |
| ١٨٣ | جهنم .. ومشهد من يعذبون الناس !! |
| ١٨٧ | يوم القيامة ... والموازين القسط |
| ١٩١ | وضع الموازين القسط .. والبطاقة العظمى |
| ١٩٥ | ماذا عن مشهد الغاش لرعيته .. لا يجد ريح الجنة |
| ١٩٩ | يُكَبَّبُ على وجهه في النار .. لأنَّ شرَّ الرِّعاء الحُطْمَةُ |
| ٢٠٣ | أهل العدل وأهل الجور .. مشاهد ومشاهد |
| ٢٠٧ | يخافون سوء العقبي .. ويكون بُعد السفر وقلة الزاد |
| ٢١١ | مشاهد الفضل ... والبشريات |
| ٢١٥ | الأمانة والرحم .. على جنبتي الصراط |
| ٢١٩ | حق الرحم والأمانة .. وعاقبة التجاوز يوم الدين |
| ٢٢٣ | رفع الأمانة ... وسوء العقبي |
| ٢٢٧ | ياله مشهداً .. قرب كافل اليتيم من رسول الله في الجنة |
| ٢٣١ | كافلة أيتامها .. ومشهد الاعتبار هناك ! |
| | سلكوا طريق الجنة .. شهداء مقربون .. علماء عاملون |
| ٢٣٥ | توَّابون متطهِّرون |

| | |
|-----|---|
| ٢٣٩ | سلام عليكم بما صبرتم .. فنعم عقبى الدار |
| ٢٤٣ | العين السلسيل لأهل الصدق وللقوم البُهِتِ النارُ وبُشِ القرار |
| ٢٤٧ | من مشاهد الإحسان .. يشْفَعُ الله فيمن صنع معه المعروف . |
| ٢٥١ | الدنيا في المثل النبوي .. والآخرة خيرٌ وأبقى |
| ٢٥٥ | المتحابون في الله .. مشهدهم على منابر النور يوم القيامة |
| ٢٥٩ | وإن منكم إلا واردها .. وقلوب أهل الخشية |
| ٢٦٣ | دعاء الملائكة عند الورود : اللهم سلِّم سلِّم |
| | لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة .. لا تمسه النار إلا تحلّة |
| ٢٦٧ | القسم |
| ٢٧١ | الجمعة في أبواب الخير .. والفضل الإلهي يوم الحساب |
| ٢٧٥ | موازين القسط .. ما يثقلها ويقرب من رسول الله يوم الدين |
| ٢٧٩ | المفسدون .. وردغة الخبال يوم المعاد |
| ٢٨٣ | وحسن أولئك رفيقاً |
| ٢٨٧ | في جهنم ... يسقون من طينة الخبال |
| ٢٩٣ | المقيمون على مظالم العباد .. مشهدهم هناك ! |
| ٢٩٧ | مواكب السنّا .. والشهيد الممتحن في دار الخلود |
| ٣٠١ | عاقبتهم يوم الدين .. اللون لونُ دم والريحُ ريحُ منك |
| ٣٠٥ | جنتان .. جنتان وحود مقصورات في الخيام |
| ٣٠٩ | أهل الرسوخ في الطاعة .. وبشريات ما يكون يوم الدين |
| ٣١٣ | اليوم العسير .. ومبشرات النجاة والفوز |

| | |
|-----|--|
| ٣١٧ | تلك عقبى الذين اتقوا .. وعقبى الكافرين النار |
| ٣٢١ | تندلق أقتاب بطنه في النار .. ومسؤولية الكلمة |
| ٣٢٥ | مكارم الأخلاق .. ومنازل من يتركون المراء في الجنة |
| ٣٢٩ | الذين تلفح وجوههم النار .. والمتنفعون بالوعيد |
| ٣٣٣ | منازل الشهداء يوم القيامة .. حجة على القاعدين |
| ٣٣٧ | شهيد كلمه ربه كفاحاً .. المشهد الأمانة .. والعطاء الكبير |
| ٣٤٥ | فهرس الآيات القرآنية |
| ٣٨١ | فهرس الأحاديث النبوية |
| ٤٣٣ | المحتوى |
